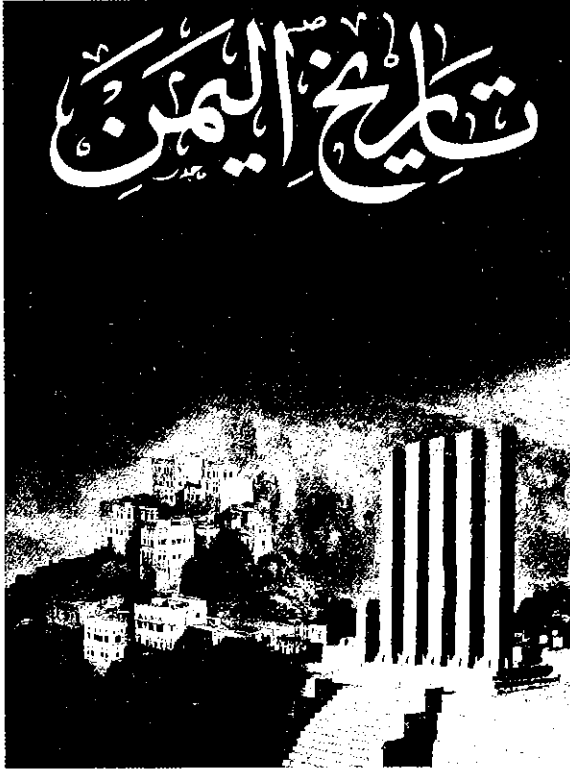


الدكتور محمد علي البار

إضاءات قرآنية ونبوية
في



مجموع الحقون محفوظة
الطبعة الثانية - مزيدة ومنقحة
١٤٣٢م - (٢٠١١م)



كنوز المعرفة

هاتف: 6510421 - 6514222 فاكس: 6516593
جدة - الشرفية - شارع الستين - عمارة أبا الخيل
E-mail: info@konoozb.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي قصَّ لنا أحسن القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣) ومن هؤلاء الأقوام الذين قصَّ الله علينا أخبارهم قوم عاد الذين سكنوا الأحقاف (رمال ما بين حضرموت وعمان) والذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، ولم يستمعوا للنصيحة نبيهم هود عليه السلام، بل سخروا منه وقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَأْخُذَنَا عَنْ هَيْئَتِنَا فَأَتَيْنَا بِهَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٢) واغترتوا بقوتهم وقالوا من أشدُّ منا قوَّةً، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥). وقال لهم نبيهم هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (الأعراف: ٦٩)، فأرسل عليهم الله ريحاً صرصراً عاتية، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٤ - ٨)؛ وقال تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ (الذاريات: ٤١ - ٤٢).

والصلاة والسلام على خير الأنام وآله مصاييح الظلام وصحبه فرسان النهار والقائمين بالليل والناس نيام والذي قال: «نُصِرْتُ بالصِّبَا، وَأُهْلِكْتُ عاد بالدَّبُور» أخرجه البخاري ومسلم.

وقد أنكر الباحثون الغربيون فترة من الزمن وجود قوم عاد لأنها لم تُذكر في كتبهم المقدَّسة لديهم، ولم يذكرها أهل التاريخ من اليونان والرومان، ولم يجدوا لها

آثاراً. وحاول بعض هؤلاء أن يجعلوا قوم عاد في شمال الجزيرة العربية، وأن إرم هي رم و«أرموه» التي ذكرها بطليموس، وأن عاد هي قبيلة إياد العربية المعروفة في شمال الجزيرة العربية. وهؤلاء الأقوام متأخرون وظهروا في شمال غرب الجزيرة العربية، ويرجعون إلى عهد الأنباط الذي امتد إلى القرن الثاني والثالث بعد الميلاد. وأين عاد منهم مكاناً وزماناً؟

ثم ظهرت أبحاث جديدة عن وجود آثار هامة وضخمة في الربع الخالي فيما بين عمان وحضرموت (وهي الأحقاف)، وتناالت الأبحاث عن حضارة قديمة قامت قبل خمسة آلاف سنة من الميلاد أو أكثر أي قبل سبعة آلاف عام أو تزيد عن زمننا الحالي، وأن الرياح العاتية طمرتها وأن موقعها في الربع الخالي.

وهذا يوضح لنا أن ما يقوله المؤرّخون المحدثون والآثاريون ليس هو القول الفصل في هذه القضايا. فكم من آثار قد اندثرت ولم يعثر عليها هؤلاء العلماء، وكم من آثار لم يصلوا إليها إلا في الآونة الأخيرة. فإنكار قوم عاد ليس إلا جهلاً فاضحاً. وكان اللائق بأهل العلم أن يقولوا: لم نجد حتى الآن ما يثبت وجود آثار قوم عاد في الأحقاف (ما بين عمان وحضرموت)، ولا نستطيع أن ننفي وجودهم. وبالفعل جاءت الأبحاث الجديدة وأثبتت وجود هؤلاء القوم الأشداء.

في هذه الطبعة أضفنا ما جاء في الأنترنت من صور للأبنية الضخمة الموجودة تحت الرمال والتي اكتشفت حديثاً في منطقة ظفار (وهي ما بين عمان وحضرموت) التي كانت مساكن عاد الأولى. ثم أضفنا صور قبر هود عليه السلام الذي انتقل غرباً إلى حضرموت بعد أن عذب الله قومه بريح صرصر عاتية، وقبره هناك معروف، في موضع يقال له الهنيبق بجوار نهر يسمى «الحفيف». وبالقرب منه بئر برهوت وهو كهف عميق مظلم. وكنت قد ذكرت في الطبعة الأولى أن النهر قد جفّ منذ زمن طويل. والواقع غير ذلك، كما ذكر العلامة السيد سالم بن عبد الله

الشاطري في كتابه «نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود»، والذي تفضّل وأهداني نسخة منه. وفي الكتاب المذكور صورة للنهر والزوّار ينزلون فيه ويغتسلون. وقد قلّ ماء هذا النهر عمّا كان عليه في الأزمنة السابقة ولكنه لا يزال موجوداً. كما ذكره أيضاً العلامة السيد عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف. وقد أضفت بعض ما ذكره العلامة السيد الحبيب سالم الشاطري من معلومات عن قبر هود وتاريخه وموقعه وأنه معروف في الجاهلية والإسلام، كما نقلت الصور عن هذا الكتاب القيّم.

وفي فصل مملكة سبأ الباذخة في القرآن الكريم والتاريخ، وجدت محاولة علمية لتفسير انتقال عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في أقلّ من طرفة عين كتبه الأستاذ غنيم البورسعيدي في متديات طيف بالإنترنت في ٢٨/٢/٢٠٠٧ فأضفته بعد ذكر قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ (المعروفة في التاريخ باسم بلقيس). وخلاصته أن الذي عنده علم من الكتاب قد استخدم علوماً لم تتوصّل إليها وذلك بتحويل المادة إلى طاقة ثم إعادة الطاقة إلى مادة. وهو أمرٌ معروف علمياً ولكن تطبيقه ليس في مقدور البشر اليوم.

وفي نهاية هذا الفصل ذكرت ما جاء في الأنترنت عن معرض إقامة المتحف البريطاني عن «ملكة سبأ: كنوز من اليمن القديم» وقد استمرّ المعرض من ٩ يونيو إلى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢ ولاقى اهتماماً كبيراً من المختصين والجمهور.

وفي الفصل السادس: التبابعة: ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعراهمو طود (نجد) وتهتمم (أي تهامة)، وجدت أن ما ذكره الإخباريون مثل وهب بن منبه الصنعاني في كتابه التيجان في ملوك حِمير، وابن جرير الطبري في تاريخ الرسل والملوك، والمسعودي في مروج الذهب، والهمداني في كتاب الإكليل، وابن الأثير في الكامل في التاريخ، ونشوان بن سعيد الحميري في منظومته المشهورة

«ملوك حمير وأقيال اليمن»، وابن قتيبة في المعارف، وابن خلدون في ديوان المبتدأ والخبر (تاريخ ابن خلدون) وكتب التفسير، والبداية والنهاية لابن كثير: من أن التبابعة قد وصلوا إلى الصين وأنهم احتلوا التبت ودمروا سمرقند ثم بنوها. وأن أفريقش بن شمر يرعش هو الذي غزا إفريقيا وباسمه عُرفَت. وإفريقيا عند العرب كانت تطلق على شمال إفريقيا وبالذات تونس وما جاورها. كما أن الهجرات اليمنية إلى الحبشة وأرتيريا والصومال قديمة جداً. وقد أقام أفريقش هذا دولة باذخة في أكسوم بالحبشة.

وكان الباحثون ينظرون إلى هذه الأخبار على أنها أساطير. ولكن الباحث اليمني السيد حمود محمد جعفر السقاف، وهو أحد الدارسين للأثار اليمنية ونقوشها قدّم كتابين حديثين أحدهما بعنوان: «ملوك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنت: تاريخ اليمن من شمر يرعش وحتى حسان مليكرب (٢٧٠ - ٣٧٨ ميلادية)»، والثاني: تبابعة وملوك اليمن (٣٧٨ - ٥٧١ م). وفي هذه الكتابين حاول (أولاً) أن يوفّق بين الأسماء المتعددة الموجودة للملوك اليمن في هذه الفترة في النقوش وعند الإخباريين، وهو عمل مُضني نتيجة لاختلاف الأسماء. حتى في النقوش اليمنية، والتي تعتبر أهم مصدر للتاريخ في هذه الحقبة. وكذلك الأسماء تختلف عند الإخباريين أنفسهم فقام السيد حمود السقاف بجهد حثيث بالمقارنة والدراسة حتى وضع جدولاً بأسماء هؤلاء الملوك في النقوش وعند الإخباريين، فعلى سبيل المثال شمر يهرعش في النقوش (٢٧٠ - ٣٠٥ م) هو شمر يرعش بن عمرو ياسر النعم عند وهب بن منبه، وهو شمر يرعش بن أفريقس بن أبرهة عند نشوان الحميري وعبيد بن شريه الجرهمي. وعند الهمداني هو تبع شمر يرعش بن مالك ناشر النعم، وعند ابن قتيبة هو شمر بن أفريقس، وكذلك هو عند المسعودي. أما ابن خلدون فقد سبّاه شمر يرعش بن مالك.

وقد تولى بعده (ومعه) ابنه ذمار علي يهبر كما في النقوش (٣٠٥-٣١٩م) وهو عند وهب بن منبه صيفي بن شمر يرعش. وقد اشترك معه في الحكم أخوه ثاران يهنعم (٣٠٥-٣٣٠م) ثم استمر في الحكم بعد وفاته. وفي النقوش هو ثاران يهنعم. وليس له ذكر في كتب التاريخ الإسلامية.

وهناك كرب إيل (وتر يهنعم) في النقوش، وهو عمران بن عامر ماء السبأ بن حارثة عند وهب بن منبه وابن خلدون.

ثم هناك ياسر يهنعم الثالث مع ابنه أمر أيمن وثاران أيفع في النقوش (٣٣٠-٣٣٩م) وهو عند وهب بن منبه عمرو تبع الأقرن (ذو القرنين) بن شمر. وعند نشوان الحميري تبع الأقرن بن شمر يرعش بن أفريقس وهو أيضاً ذو القرنين. وعند ابن قتيبة هو نفسه تبع الأقرن الأكبر الذي جاء ذكره في القرآن الكريم. وعند ابن خلدون هو أفريقس بن شمر.

وهكذا تستمر القائمة باختلاف الأسماء، (أولاً في النقوش ذاتها أحياناً) ثم اختلافها عند المؤرخين المسلمين.

وشمر يرعش عند الإخباريين غزا فارس ومنها أرسل أولاده لغزو التبت وشمال الهند وسمرقند (بلاد ما وراء النهر والمقصود نهر جيحون المعروف اليوم باسم أموداريا). ثم مضى شمر يرعش فغزا مصر ومنها إلى النوبة وغزا الحبشة، كما أنه قاتل الروم وغزا أرضهم.

ويقول السقاف إن البروفسور دريفز Drewes يذكر أن سمبروئس الذي يُعْتَبَرُ أول ملوك إكسوم (الحبشة وأرتيريا) هو نفسه شمر يرعش اليميني. وفي نقش ٣ DAE شمال أسمره (أرتيريا) يشير النقش إلى غزوات قام بها سمبروئس إلى السودان وجنوب مصر كما قام بغزوات في الجنوب العربي.. وأن هذا القول مبني على أنها متعاصران وقاما بالغزوات نفسها. وأن الارتباط بين اليمين والحبشة

و(أرتيريا) ارتباط قوي والهجرة بينهما مستمرة. وأن هذا الملك الإكسومي سمبروشس والذي سبق الملك المشهور عزانا الذي تنصّر هو في الغالب شمر يهرعش (٢٧٠ - ٣٠٥). ويرى المستشرق جلازر أيضاً، أن سمبروشس (صاحب النقش ٣ DAE) ينحدر من أصل عربي جنوبي وليس من أصل حبشي، ويرجح أن ذلك ينطبق على بداية فترة حكم شمر يهرعش والذي يُعرّف عند بعض الإخباريين بأنه أفريقيس وأنه قد حكم إفريقيا.

كذلك يرى جلازر ودريفز أن الملك عزانا الذي تولى الحكم حوالي ٣٣٠ ميلادية والذي تنصّر وحمل اللقب اليمني الطويل: «ملك حمير وريدان وسبأ وسلحن (اسم قصر في مأرب) وملك البجّة وإكسوم» هو في الغالب من نسل شمر يهرعش. ولهذا استخدم الملك عزانا الأبجدية العربية الجنوبية في نقوشه قبل الأبجدية الحبشية. وقد استخدم كلا الأبجديتين في نقشيه ٦٠٧ DAE اللذين نُقشا على الحجره نفسها حيث يأتي النقش الذي كُتب بالأبجدية السبئية في المقام الأول.

وبما أن الفترة التي حكم فيها عزانا مملكته العريضة الواسعة هي الفترة نفسها التي كان يحكم فيها شمر يهرعش وابنه ذمر علي يهبر (وهو عمرو بن ذي القرنين عند الإخباريين وشرف الدين) وقد كانت الدولة اليمنية قوية وممتدة في زمنه وتمتّع باللقب الطويل ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت، فإنّ من المنطقي أن يكون عزانا ملكاً يمينياً جنوبياً، وليس من المعروف أن الأحباش استولوا على اليمن في تلك الفترة.

على أية حال هناك تداخل كبير بين اليمن وإكسوم (أرتيريا) والحبشة. ومنذ عهود قديمة جداً بدأ اليمنيون، وهم ساميون، بالهجرة إلى إكسوم (أرتيريا) القريبة جداً من الساحل اليمني واختلطوا بأهلها الكوشيين (الحاميين) اختلاطاً شديداً حتى أن دائرة المعارف الإسلامية تذكر تحت مادة حَمِير أن كتاب اليونان والرومان

مثل مرقابنوس قد وصفوا الحَمِيرِيِّين بأنهم شعب أثيوبي. وهو وصف يتردّد عند المصنّفين البيزنطيين القدماء.

وتؤكّد الأبحاث أن الآثار والنقوش التي عُثِرَ عليها في البرّ الإفريقي الحبشي (أرتيريا والحبشة) لا ترقى إلى أبعد من القرن الخامس قبل الميلاد، بينما تعود أقدم النقوش اليمنية إلى القرن العاشر قبل الميلاد، كما أن أقدم الأخبار الموثقة عن مملكة إكسوم لا ترقى إلى أبعد من القرن الأول قبل الميلاد، بينما تعود أقدم النقوش اليمنية في سبأ إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وقد لاحظ الباحثون والأثريون أن كل المظاهر الحضارية التي وُجِدَت في البرّ الإفريقي كانت لها خصائص المظاهر الحضارية اليمنية نفسها. ولذا نجد أن النقوش الأثيوبية التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد كُتِبَت بالخط المسند وأنها لغة سبئية صرفة ثم أُضِيفت لها بعض التحويرات والتغييرات بفعل البيئة. وقد ذكرت تلك النقوش العديدة سبأ ومأرب (ماربا) والإله السبئي (المقّه) وهو الإله القمر وبعض الآلهة اليمنية الأخرى.

وقد ذكر مؤلف كتاب رحلة حول البحر الأحمر Periplus Maris Erythrae الذي وضعه مؤلف يوناني مجهول حوالي عام ٧٠ بعد الميلاد أن الحميريين في زمنه كانوا يحتلون جانباً من الساحل الإفريقي الشرقي Azalla أي الزيلع. ثم إن الأبجدية الأثيوبية هي الأبجدية اليمنية (الحميرية السبئية) نفسها بإضافة أو تغيير بعض الحروف. ويقول هذا الكتاب (رحلة حول البحر الأحمر) إن أمير قبيلة المعافر (وهي قبيلة حَمِيرِيَّة موطنها منطقة الحجرية في اليمن) كان يحكم الساحل اليمني والساحل الإفريقي (الأرتيري الحبشي) المقابل له.

وإذا عرفنا هذا التداخل بين اليمن وأرتيريا والحبشة فإننا ندرك تأثيرات الحكم اليمني في الحبشة وعكسه أي الحكم الحبشي في اليمن.

وبهذا يتضح أن ما قاله الإخباريون حول امتداد حكم التبابعة إلى الحبشة

وأفريقيا وإلى العراق وما بعدها إلى بلاد الصغد (بخارى وما حولها وهي الآن في أوزبكستان) وإلى التبت وشمال الهند ليس كله من نسج الخيال.

ويقول الإخباريون إن تبع عمرو بن حسان بن أسعد الكامل (أبي كرب) قد قام بغزو الشام والحيرة وحارب الدولة الفارسية وانتصر عليها. ويُعرف هذا الملك في النقوش اليمنية باسم شرحبيل يعفر (ينكف) بن أبكرب أسعد، وقد حكم من سنة ٤٢٥ إلى ٤٥٥ بعد الميلاد في بعض المصادر، بينما تجعل بعض المصادر حكمه متأخراً أي ٤٧٠ إلى ٤٩٥. وقد قام تبع هذا بتوجيه ابن أخته شمر ذي الجناح لمقاتلة قباز الملك الساساني (فترة حكمه ٤٨٨ - ٥٣١ ميلادية) في الحيرة وجنوب العراق.

ولا شك أن أبكرب أسعد الكامل بن ملكي كرب (٣٨٥ - ٤١٥ م) هو أشهر التباة وأن حكمه امتد من اليمن ليشمل جزيرة العرب بكاملها وأن حكمه امتد إلى مكة المكرمة ويثرب (المدينة المنورة)، وقد انتصر على قبائل الحجاز ونجد. وهناك ما يُثبت تاريخياً انتصاره على قبائل معد ووصوله إلى الحيرة. وقد ذكر المفسرون أن ما ورد في القرآن الكريم عن تبع في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ﴾ (الدخان: ٣٧)، وقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ﴾ (ق: ١٤) يعود إلى أبكرب أسعد الكامل، وأنه هو الذي عظم الكعبة ونحر عندها الجزور وكساها. وأنه قد آمن. وهو بالفعل قد دخل الدين اليهودي على أيدي حبرين من أحبار يهود المدينة عندما ذهب لمحاربتها، وكان الدين اليهودي قد دخل إلى اليمن منذ عهد ملكة سبأ (بلقيس) التي ذهبت إلى سليمان عليه السلام (القرن العاشر قبل الميلاد). ثم اندثر الدين اليهودي، وكان أول من أعاده هو الملك أبكرب أسعد الكامل. ثم تنصّر بعد ذلك شرحبيل يكف (٤٥٥ - ٤٧٠) ومن تبعه من التباة حتى جاء يوسف أسار (زُرعة ذو نواس) وأعاد اليهودية وحارب النصرانية. ويقال إنه هو الذي خدّ الأخدود، وهو الذي نزلت فيه سورة البروج في قصة

أصحاب الأخدود. ولم تحدّد السورة المكان وكذلك الأحاديث النبوية الواردة في هذه القصة. ولكن الإخباريين جعلوها في نجران. وبعضهم قال إن الأحاديث ثلاثة: واحد بالعراق (أو فارس) وواحد بالشام وواحد باليمن في نجران.

ولا شك أن يوسف أسار (ذي نواس) حارب النصرانية والحبشة وانهمزم أمامها. وقد أذاعت المحطة التليفزيونية (العربية) فيلاً وثائقياً عن مجموعة غريبة معزولة تسكن في شمال الهند في منطقة جبلية.. ولهم لغة خاصة بهم، ويسجدون للشمس عند طلوعها، وصوّرت لباسهم وخناجرهم ورقصاتهم، وكلها مماثلة لما هو في اليمن. وأخرج رئيس المجموعة لمقدّم البرنامج صندوقاً فيه بعض آثارهم القديمة وقال إنهم يسمونه «صندوقه». وقد احتار مقدّم البرنامج في أصولهم.. وظن أنهم من الأكراد. ولكن من شاهد البرنامج يرى أن لباسهم وخناجرهم ورقصاتهم كلها يمنية. وبعض كلماتهم عربية، ومعروف أن أهل اليمن القدماء عبدوا الشمس، وأن قوماً منهم وصلوا إلى التبت وشمال الهند. فهل كان وصولهم في جيش تبع الأقرن أم أنها هجرات يمنية وصلت دون غزو عسكري؟

وهذا كله يدلّ على أن ما جاء به الإخباريون ليس كله أساطير، بل لا شك أن له أصل، ولا نجادل في أن الإضافات والتحويلات قد جعلت هذه القصص أشبه بالأساطير منها بالتاريخ. ولكن الأبحاث تدلّ على أن لهذا القصص أصل ولا بد من الاهتمام بهذا الجانب بأبحاث معمّقة وبأعين وقلوب مفتوحة. أما الرفض واعتبار ذلك كله أساطير فليس من شيم العلماء.

والله أسأل أن ينفع بهذه الطبعة أكثر مما نفع بسابقتها، عليه أتوكّل وبه أستعين وإليه أنيب.

محمد علي البار

مقدمة الطبعة الأولى

يعتمد التاريخ القديم لأي منطقة على عدة مصادر:

١ - النقوش والآثار: وهذه يعتبرها المؤرخون المحدثون أهم المصادر وأوثقها لأنها كتابات ونقوش سجلت الأحداث في زمنها. وبالنسبة لليمن تم العثور على آلاف النقوش والمخريشات. وقد بدأ المؤرخ اليمني أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (وفاته سنة ٣٣٤هـ وقيل ٣٤٤) هذا الجهد بمحاولاته العديدة قراءة الخط المسند اليمني القديم وفك رموزه، وصوّر حروف الخط المسند في كتاب «الإكليل»^(١).

ويقول المستشرق أغناطيوس كراتشكوفسكي عن الهمداني: «ولم يكن جغرافياً فحسب، بل وخبيراً كبيراً في أنساب العرب وتاريخ الجزيرة العربية، خاصة آثارها القديمة وهو أمر نادر بين العرب. ومما يدعو إلى الدهشة حقاً أنه استطاع فك رموز الكتابة العربية القديمة في جنوب الجزيرة»^(٢). وقد قام المستشرقون منذ القرن الثامن عشر باكتشاف العديد من النقوش والآثار اليمنية. وساهم في القرن العشرين مجموعة من العرب من مصر وسوريا وأخيراً من اليمن في هذه الاكتشافات^(٣). وللأسف فإن المؤرخين الغربيين يعتمدون اعتماداً مطلقاً على هذه القرائن والآثار ويعتبرون ما ورد

(١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، ج ١/ ١٩٠-١٩١.

(٢) كما ينقله عنه حمد الجاسر في مقدمته الضافية لكتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، تحقيق محمد الأكوخ.

(٣) د. محمد عبد القادر الباقي: تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٥، ص ١٤-١٧.

من تاريخ في الكتب المقدسة من قبيل الفن الأدبي الخلاق، وقد يتوافق بعضهم فيعتبره من الأساطير.

ومن ذلك ما كتبه الفيلسوف والمؤرخ والمفكر روجيه جارودي من أن ما ورد من قصص في الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) عن إبراهيم عليه السلام والأنبياء ليس إلا من القصص الأدبي الخلاق، ولكن لم يثبت تاريخياً. وقد اجتمعت برحاء جارودي في أغادير بالمغرب أثناء انعقاد ندوة «القضايا الخلقية الناجمة عن التحكّم بالإنجاب»^(٤)، وكان المترجم بيني وبينه فضيلة الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة (أمين عام مجمع الفقه الإسلامي الدولي) الذي يجيد الفرنسية.

وسألت جارودي عما كتبه بهذا الخصوص فأقرّه، وأنه لا دليل تاريخي على وجود سيدنا إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب... إلخ.

فسألته هل هو مؤمن بالقرآن الكريم؟

فأقرّ بذلك. فسألته فكيف لا تعتبر ما جاء في القرآن الكريم دليلاً كافياً عن وجود إبراهيم وذريته من الأنبياء عليهم السلام؟ فتمعّر وجهه وغضب وقال: أنت لا تفهم. أنا أحدثك عن الأدلة التاريخية، وأنت تحدثني عن الأدلة الإيمانية. وانتهى النقاش على ذلك.

وهي نظرة مغرقة في المادية بحيث لا يعترف هؤلاء الباحثون إلا بما جاء في النقوش (Epigraphy) والآثار (Archeology). أما الكتب الدينية فهي ليست عندهم دليلاً تاريخياً، رغم أنهم لا ينكرون قيمتها الدينية والإيمانية والأخلاقية.

٢- ما ورد من كتابات المؤرخين من اليونان والرومان: مثل بليني والمؤرخ اليهودي الإسكندراني يوسفوس... إلخ. وهذه الكتب يعتبرونها ذات دلائل تاريخية هامة، وخاصة إن تضمّنت رحلات مثل رحلة برييلوس أرتريا Periplus

(٤) الندوة العاشرة، أغادير- المغرب. ربيع الأول ١٤٠٧هـ / نوفمبر ١٩٨٦م.

of the Erythrean sea طواف (رحلة) للبحر الأحمر لمجهول يوناني زار موانئ اليمن وجزرها.

٣- ما ورد في الكتب الدينية المقدّسة: وبالنسبة لليمن، فقد ورد عنها قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام وبعض المقاطع الأخرى عن تجارة اليمن ومدنها مثل عدن وغيرها. فقد وردت هذه الموضوعات في كتب العهد القديم مما سنذكره في حينه، وكتب العهد القديم قد تعرّضت للتحريف الشديد من قبل المؤلفين العديدين مما يجعلها غير مأمونة، وبالتالي فهي حق وباطل.

ولكن ما ورد عن اليمن في القرآن الكريم، وفي صحيح السنّة المطهّرة لا يداخله أي ريب وشك، فهو في أعلى درجات اليقين بالنسبة لنا. ولكن التفسير وما أضيف إليها تحتاج إلى تدقيق.

٤- ما ورد في كتب المؤرخين والإخباريين المسلمين: وهذه أيضاً فيها حق كثير، ولكن يكتنفها كثير من الأفاصيص والإضافات والأساطير، وتحتاج إلى تدقيق.

وفي هذا الكتاب اخترت أوثق المصادر بلا ريب، وهو القرآن الكريم وصحيح السنّة المطهّرة، وما سطره العلماء المدقّقون من السيرة العطرة للنبيّ محمد ﷺ. ورغم ذلك فإنني استعنت بالمصادر الأخرى التي ذكرتها آنفاً. ولكن جعلت اعتمادي على ما جاء في كتاب الله وسنّة رسول الله أساساً، وأما الآثار والنقوش فإن وجدتها في ما أبحث فإنّي أنقلها عمّن كتب فيها... وهي لا شك مهمة وتوضح كثيراً مما يلبس في الأذهان. ولكن عيبها أنها ناقصة، وأن ما وجدته الباحثون في هذا المجال من آثار اليمن لا يمثل إلا نسبة ضئيلة مما تزخر به أرض اليمن من آثار، والبحث فيها لم يكن منظماً في يوم من الأيام، بل كان متقطعاً، ويقوم به علماء وهواة في ظروف صعبة تجعل عملهم - رغم ما بذلوا فيه من جهود

– بعيد كل البعد عن الكمال^(٥). وكذلك كان اعتمادي على كتب المؤرخين والإخباريين هو من قبيل الشرح والتوضيح لما ورد في القرآن والسنة دون الإغراق في التفاصيل التي تكتنفها الظنون.

محمد علي البار

جدة ٢٩/٦/١٤٢٦هـ

٣/٨/٢٠٠٥م

(٥) يقول المؤرخ وعالم الآثار اليمني الدكتور محمد عبد القادر البافقيه رحمه الله في كتابه: «تاريخ اليمن القديم» عن الآثار والنقوش والكتابات القديمة عن اليمن (ص ١٢ - ٢٠): «من هذه الأدلة والقرائن المتناثرة، يحاول عالم الآثار والكتابات القديمة بمساعدة آخرين في مجالات تخصصية ومعملية أخرى، إعادة تركيب التاريخ القديم... وهي عملية تشبه لعبة تركيب الصور المتقاطعة». ثم ذكر ما قام به علماء الآثار والهواة من الغربيين في تتبع آثار اليمن ونقوشها، منذ القرن الثامن عشر إلى القرن العشرين. واعتبر أن ذلك كله لا يزال ناقصاً نقصاً كبيراً عن أن يمدنا بصورة واضحة عن حضارة اليمن وتاريخها، وأن الأمر يحتاج إلى جهود منظّمة ودقيقة ومتتالية، لمعرفة كنوز الآثار المطمورة، والتي تحتاج إلى البحث عنها بجديّة كاملة. ويقول ما نصّه: «ولكن كل هذه المصادر لا تعطينا حتى الآن تاريخاً مترابطاً، ولا تكوّن صورة واضحة المعالم. فلا يزال العديد من القضايا الهامة المتعلقة بتاريخ هذه الممالك العربية القديمة مبيّنة على الافتراض والحدس والتخمين». ويقول: «بما أن تاريخ هذه المنطقة يعتمد أساساً على الحفريات، وبما أن البعثات الأثرية التي أنجزت أعمالاً علمية قليلة تعدّ على أصابع اليد الواحدة، فإن الكثير من الأسرار الثمينة لا يزال دفيناً تحت الرمال، بانتظار من يرفع عنها أثقالها».

موضوعات الكتاب

٥مقدمة الطبعة الثانية
١٥مقدمة الطبعة الأولى
٢١الفصل الأول: اليمن: أين هي؟ وما حدودها؟ ولمحة عن تاريخها القديم
٤٩الفصل الثاني: القبائل اليمنية: نظرة سريعة
٦٣الفصل الثالث: قوم عاد وهود عليه السلام
١٠١الفصل الرابع: مملكة سبأ الباذخة في القرآن الكريم وفي التاريخ
١٥٩الفصل الخامس: مملكة سبأ وريدان
١٨١الفصل السادس: التبابعة ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت
الفصل السابع: الأحباش واليمن وقصة ذي نواس وأصحاب الأخدود
٢٠٩وأبرهة وأصحاب الفيل
٢٤٣الفصل الثامن: علاقات اليمن التجارية القديمة
٢٦١الفصل التاسع: ما ورد في فضل أهل اليمن في القرآن والسنة
٢٨١الفصل العاشر: وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ
٣١٣الفصل الحادي عشر: قصة وفود نجران من النصارى ومن آمن منهم
الفصل الثاني عشر: ولادة الرسول ﷺ على اليمن ومن بعثهم إليها
٣٢٧لتعليم أهلها الإسلام

الفصل الأول

اليمن:

أين هي؟ وما حدودها؟

ولمحة عن تاريخها القديم

تعريف اليمن في اللغة والأحاديث النبوية

جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي^(١) هذا التعريف لليمن:
 اليَمَن (بالتحريك) قال الشرقي: إنما سُميت باليمن لتيامتهم إليها. قال ابن عباس (رضي الله عنهما) تفرقت العرب فمن تيامن منهم سُميت باليمن، فالتأمت بنو يمن اليمن، وهي أيمن الأرض فسُميت بذلك.
 وقال المحدث والمؤرخ اليمني المشهور عبد الرحمن بن الديبع في كتابه «جزء لطيف في فضل اليمن الميمون» وهو مخطوط^(٢). فاليمن الحرام هو رأس اليمن بشاهد قوله ﷺ: «الكعبة يمانية والحجر الأسود من جهة اليمن».
 وأورد حديثاً آخر للنبي ﷺ (الحديث رقم ٢٤): «أنا يمان والحجر الأسود يمان والدين يمان، ولا تقوم الساعة حتى يرجع الدين من حيث خرج». رواه الترمذي في مسنده.

وجاء في معاجم اللغة (الصحاح للجوهري)^(٣): اليمن بلاد للعرب والنسبة إليها يمنيّ ويان مخففة والألف عوض من ياء النسبة، فلا يجتمعان... وقوم يمانية ويانون... وامرأة يمانية، وأيمن الرجل ويمن ويامن: إذا أتى اليمن، وكذلك إذا أخذ في سيره يميناً. يقال يامن يا فلان بأصحابك، أي خذ بهم يمناً. وتيمن تنسب إلى اليمن... واليمن: البركة، واليمنة خلاف اليسرة. قال الأصمعي: فلان عندنا باليمن، أي على اليمن، واليمن: القسم. وفي القاموس المحيط للفيروزيادي^(٤): اليَمَن (محرّكة): ما عن يمين القبلة من بلاد وهو يمني وياني ويان. ويمن تيميناً وأيمن ويامن: أتاها (أي اليمن، والمقصود ذهب ذات اليمين) وتيمن: انتسب إليها.

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار بيروت، دار صادر، بيروت ١٩٧، ج ٥ / ٤٤٧-٤٤٩.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن الديبع: جزء لطيف في فضل اليمن، مخطوط وعندني نسخة منه.

(٣) الجوهري: الصحاح. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ١٩٨٢، ج ٦ / ٢٢١٩-٢٢٢٠.

(٤) الفيروزيادي: القاموس المحيط، دار الجليل بيروت، طبعة مصورة، ج ٤ / ٢٨١.

وفي المعجم الوسيط^(٥): يَمَن، يَمناً أخذ ذات اليمين، أو أتى اليمن، ويمن بفلان: ذهب به ذات اليمين. يَمَنَ: جاء عن يمينه... يَمُن فلان على آلِه، أي صار مباركاً عليهم فهو ميمون والجمع ميامين. يامن: أخذ ذات اليمين أو أراد اليمن. أَيْمَنَ: أخذ ناحية اليمين، ومثله تيامن.

تَيْمَنَ: انتسب إلى اليمن... وابتداء الأفعال باليد اليمنى والرجل اليمنى والجانب الأيمن، وتَيْمَنَ بالشيء تبركاً ضد تطير.

واليمني واليمني: المنسوب إلى اليمن. واليمنية: مؤنث اليمني، نسبة إلى اليمن، وشعيرة حمراء السنبلية (ضرب من الحبوب) واليمنية: ضرب من برود اليمن.

ومن الواضح من معاجم اللغة وغيرها أن كلمة اليمن تعني يمين المرء، فكل ما وقع عن يمينه فهو يمن، وكل ما هو عن يساره فهو شام. أي أن جنوب البيت الحرام هو اليمن، وشماله هو الشام، والطائف شرق مكة ومحاذية لها تقريباً... فكل ما كان جنوب الطائف فهو يمن، وكل ما كان شمالها فهو شام، بل أن كلمة شام ويمن تطلق في اليمن نفسها على مناطق، فمثلاً يُطلق على صعده خولان (الشام) لأنها شمالية. وكانت هذيل التي تقع ديارها بين مكة والطائف، لها فرع يسكن جنوب الطائف، فعرف ذلك الفرع من هذيل، بهذيل اليمن^(٦).

واليمن كل أرض يمين الكعبة، والركن اليمني مُتَجَهَةٌ نحو اليمن. بل أن الكعبة نفسها أطلق عليها رأس اليمن كما يقول المحدث عبد الرحمن الديبع الذي أورد أحاديث في هذا الصدد منها قوله ﷺ: «الكعبة يمانية، والحجر الأسود من جهة اليمن»، وقوله: «أنا يمان والحجر الأسود يمان والدين يمان»، وكثيراً ما يوصف الرسول ﷺ في المدائح والأشعار النبوية باليمني والتهامي، وتهامة من اليمن.

(٥) إبراهيم أنيس، وعبد الحليم متصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله: المعجم الوسيط، ج ٢ /

١٠٦٦-١٠٦٧، الطبعة الثانية.

(٦) محمد عبد القادر الباقرية: في العربية السعيدة. مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٨٧.

وفي لغة العرب كل جنوب (للكعبة) هو يمن، وكل شمال لها هو شام، وكل أرض مرتفعة هي نجد، وكل أرض منخفضة وقريبة من البحر هي تهامة. والحجاز سلسلة جبال تحجز ما بين غرب الجزيرة وشرقها، وتمتد من اليمن (الجغرافي) إلى حدود الشام.

يقول الهمداني^(٧): تحت عنوان معرفة تفصيل هذه الجزيرة (أي جزيرة العرب): هي عند أهل اليمن يمن وشام، فجنوبها اليمن وشمالها الشام، ونجد، وتهامة. فالنجد ما أنجد منها عن السراة وظهر من رؤوسها ذاهباً إلى المشرق في استواء دون أن ينحدر إلى العروض، وحجاز وهو ما حجز بين اليمن والشام. وسراة هو ما استوسق واستطال في الأرض من جبال هذه الجزيرة مُشَبَّهاً بسراة الأديم. وعروض: وهو ما أعرض من هذه المواضع شرقاً إلى حيز شمال المشرق... وعراق وشحر: فالعراق ما حاذى المياه العذبة والبحر من الأرض مأخوذ من عراقي الدلو. «والشحر مأخوذ من شَحَر الأرض، وهو سبخ الأرض ومنابت الحموض».

وهذا التعريف اللغوي لا علاقة له بالتعريف الجغرافي والتعريف السياسي. فالتعريف السياسي خاصة يختلف من زمن لآخر حسب قوة هذه الدولة أو تلك، وستعرض لذلك في حينه.

وذكر القلقشندي في صبح الأعشى: «سُمِّي اليمن يمناً لأنه يمين الكعبة». وقال: «اليمن قطعة من جزيرة العرب يجدها من الغرب بحر القلزم (البحر الأحمر)، ومن الجنوب بحر الهند، ومن الشرق بحر فارس (الخليج العربي)، ومن الشمال حدود مكة حيث الموضع المعروف بطلحة الملك، وما على سمت (أي محاذة) ذلك بحر فارس (الخليج العربي)»... وهو تعريف كما ترى يشمل معظم جزيرة العرب، ما عدا شمالها.

(٧) الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب. تحقيق: محمد بن علي الأكوع، وتقديم: حمد الجاسر ص ٨٩-٩٠. واختلف في وفاة الهمداني على أقوال أشهرها ٣٣٤هـ / ٩٤٥م. ورجح القاضي محمد بن علي الأكوع، أنه توفي سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م.

بل أن المؤرخين اليونان كما يقول الأستاذ سعيد عوض باوزير في كتابه: «معالم تاريخ الجزيرة العربية»: عندما يذكرون اسم اليمن أو العربية السعيدة يعرفونها بأنها البلاد الواقعة بين خليج العجم (الخليج الفارسي) ويطلق عليه الآن الخليج العربي) من الشرق، وبحر العرب من الجنوب، والبحر الأحمر من الغرب. وذكر باوزير أيضاً أن اليمن سُميت يمناً لكونها تقع يمين الكعبة، وأن اسمها مشتق من اليمن أي البركة.

تهامة من اليمن:

وقد عرّف ابن حجر العسقلاني في كتابه: «هدي الساري»^(٨): تهامة بكسر أوله بأنها ما انخفض من أرض الحجاز. والحجاز ما بين نجد وجبل السراة وهو جبل ممتد من اليمن إلى أطراف الشام.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي^(٩)، قال المدائني: تهامة من اليمن وهو ما أصحح منها إلى حدّ باديتها في مكة، ومكة من تهامة.

وقد أدخل الحافظ بن حجر العسقلاني مكة في تهامة، وتهامة جعلها من اليمن^(١٠)، ونقل في موضع آخر من الفتح^(١١)، أن قول أبي عبيد وغيره معنى الحديث الصحيح: «الإيمان يمان»، أن مبدأ الإيمان، من مكة ومكة من تهامة، وتهامة من اليمن.

وقال الخطابي: «تهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة»^(١٢). وفي أشعار المدائح النبوية يوصف النبي محمد ﷺ بالنبيّ التهامي كما يوصف بالنبيّ الياني، وفيها قولهم:

(٨) هدي الساري، لابن حجر العسقلاني، ص ٩٣.

(٩) معجم البلدان، لياقوت الحموي، ج ٢ / ٦٣.

(١٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، ج ١٣ / ٨٧.

(١١) فتح الباري، ج ٨ / ٩٩.

(١٢) المصدر السابق، ج ١٣ / ٤٧.

ربِّ صلِّ على النبيِّ التهاميِّ صاحب الحوض واللواء والمقام

ومنها قول الحبيب علي الحبشي في ابتهالاته إلى الله سبحانه وتعالى:

واهدي للطريقة وأحيي ميت جناني ذا مرادي الذي قد أعربت به لساني

ثم من بعد هذا عاد مقصود ثاني وهو قربي من المختار طه البياني

المدينة أيضاً من اليمن:

رغم أن حدود اليمن الكلاسيكية تنتهي بالبلد الحرام، مكة المكرمة، شرفها الله، إلا أن كثيراً من القدماء من المسلمين أدخلوا المدينة المنورة في اليمن للأسباب التالية: أن سكان المدينة المنورة (يثرب) من الأوس والخزرج، وهم من اليمن، وهم من الغساسنة من الأزدي. وكان حسان بن ثابت شاعر الرسول الأكرم يفتخر في جاهليته بصلاته بالغساسنة في الشام أبناء عمومته، وكانوا يكرمونه إذا وفد عليهم ويمدحهم بشعره. ومن ذلك قول حسان وهو يصف أحد طواعين الشام (٥٩٠ إلى ٦١٠ ميلادية) قبل ظهور الإسلام:

لمن الدار أوحشت بمعان	بين أعلى اليرموك فالخثان
فالقريات من بلاس فدارياً	فسكّاء فالقصور الدواني
تلك دار العزيز بعد أنيس	وحلول عزيمة الأركان
هبلت أمهم وقد هبلتهم	يوم حلّوا بحارث الجولان
قد دنا الفصح فالولائد	ينظمن عقوداً أكّلة المرجان
يجتئين الجادي في نقب الریط	عليها مجاسد الكتّان
لا يعللن بالمغافر والصمغ	ولا نقف حنظل الشريان
ذاك مغنى من آل جفنة في الدهر	وحقّ تعاقب الأزمان
قد أراني هناك حقّ مكين	عند ذي التاج مجلسي ومكاني

وهذه الأماكن التي وصفها حسان هي موطن الغساسنة من أرض الشام

ويصف حسان الولاتد وهن ينظمن عقود المرجان احتفاء بقرب عيد الفصح (وهو عيد يزعم النصارى فيه أن المسيح قام من قبره بعد صلبه ودفنه بثلاثة أيام، حيث صلب يوم الجمعة، وقام يوم الأحد بزعمهم). والغساسنة كما نعرف قد تنصروا. والجادي هو الزعفران، والنقب جمع نقبة وهي كالإزار، والريط ثياب ليّنة بيضاء، وهؤلاء الولاتد مترفات يصطبغن بالزعفران، كأن على ثيابهن الأزهار قد اجتنينها، ولسن ممن يجتنين صمغ المغاير (وله رائحة غير مقبولة) وقشر الحنظل كما تفعل بنات البادية.

كذلك كان معنى آل جفنة من بني غسان، ولكن الدهر طرفهم: وهكذا الأيام دول، والأيام تتعاقب، وقد طرفهم الحدثان وهو الطاعون في ذلك الوقت، وهو يتوجع لحالمهم لأن له مكانة سامقة، فمجلسه عند الملك نفسه صاحب التاج والصولجان الذي دائماً ما يكرمه ويجلسه بجانبه لشاعريته ولقرايته منهم.

وحضارة الغساسنة بالشام مشهورة، وإن كانوا تحت تأثير الدولة البيزنطية، كما أن المناذرة في الحيرة، وهم أيضاً من اليمن كانوا تحت تأثير الدولة الفارسية، إلا أن يوم ذي قار عند العرب هو يوم الفخار، حيث انتصر العرب على الفرس وذلك قبل الإسلام.

والغساسنة يعودون كما يقول كثير من النسابين إلى الأزدي، والأزدي من اليمن. وممن ذكر أن الأوس والخزرج يمانيون الإمام البغوي^(١٣)، وابن قتيبة الدينوري^(١٤)، والسفارييني^(١٥)، والحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة^(١٦)، قال: «الأنصار كلهم من الأزدي. ومعلوم أن الأزدي من اليمن، بشهادة من لا ينطق عن الهوى، كما في حديث سبأ». وابن كثير في تفسيره^(١٧)، حيث قال: «والأنصار

(١٣) البغوي: شرح السنة، ج ١٢ / ٢٠٢، وج ١٤ / ٢٠١-٢٠٢.

(١٤) ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الأحاديث، ص ١٤٣.

(١٥) السفارييني في ثلاثيات مسند الإمام أحمد، ج ٢ / ٤٠٠.

(١٦) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٢ / ٢٥٣.

(١٧) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٣ / ٥٣٢.

أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ». والإمام الشافعي في مسنده^(١٨)، حيث روى أن رسول الله ﷺ وقف على ثنية تبوك وقال: «ما هاهنا شام»، وأشار بيده إلى جهة الشام. «وما هاهنا يمن» وأشار بيده إلى جهة اليمن. وقد ذكر المحب الطبري في كتابه: «القرى لقاصد أم القرى»^(١٩): إن المدينة من اليمن، ونقل ذلك عن البيهقي في السنن والآثار، والإمام ابن أبي الصيف. والإمام النووي في شرح صحيح مسلم^(٢٠)، في قوله ﷺ: «إني لبعقر حوضي يوم القيامة أذود الناس لأهل اليمن، وأضربهم بعصاي حتى يرفض عنهم». وعقر الحوض: أصله ومنخفضه، وموضع الشارب منه، ويرفض: أي يسيل. والمعنى أنه ﷺ يطرد الناس حتى يرد أهل اليمن أولاً. قال النووي: «والأنصار من أهل اليمن». وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان^(٢١): أن المدينة المنورة من اليمن. نقل ذلك عن الأصمعي وغيره.

وهكذا نجد أن كثيراً من العلماء الأجلاء قد أدخل المدينة المنورة في اليمن، بناء على أن أهلها هم من اليمن (من غسان، وغسان من الأزدي)، وبناء على بعض الأحاديث الواردة مثل الحديث الذي ذكره الإمام الشافعي في مسنده: أن «ما هاهنا الشام». والرسول يومئذ واقف على ثنية تبوك. ثم أشار بيمينه إلى المدينة: «وما هاهنا يمن».

وفي تاريخ البخاري الكبير^(٢٢) عن سلمة بن سلامة الأشهل الأنصاري، وكان بدرياً، أنه سمع يهودياً وهو يومئذ غلام يتحدث عن البعث والقيامة والنار والحساب والميزان. فقالوا: ويحك أترأه كائناً؟ قال: نعم. قالوا: فما آية ذلك؟ قال: «نبي يبعث من ناحية هذه البلدة نحو اليمن».

(١٨) مسند الإمام الشافعي، ص ٩٤.

(١٩) محب الدين الطبري: القرى لقاصد أم القرى، ص ٦٤٩.

(٢٠) صحيح مسلم، شرح النووي ومسند الإمام أحمد.

(٢١) ياقوت الحموي، ج ٢ / ١٣٧.

(٢٢) تاريخ البخاري، للإمام البخاري (محمد بن إسماعيل) ج ٤ / ٦٨ - ٦٩.

ويعتقه ﷺ كان بمكة ومهاجرة بالمدينة، وكلاهما اعتبرهما كثير من العلماء من اليمن. وما تقدم يتضح لنا أن كلمة اليمن لا تقتصر على اليمن الجغرافي المعروف اليوم، بل يشمل معظم جزيرة العرب، ما عدا شمالها. وهو مفهوم واسع جداً. الهجرة اليمنية^(٢٣):

وقد اشتهرت القبائل اليمنية بهجرتها، وبالذات سبأ، القبيلة الكبيرة ذات المملكة الواسعة والتي جعل الله لها سورة كاملة هي سورة سبأ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةً طَيِّبَةً رَبِّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى الْتَّيِّبَةِ بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا هُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (سبأ: ١٥-٢٠).

وقد «تفرقوا أيدي سبأ» كما في المثل العربي، وانتشرت قبائل من سبأ، وسكنوا في المدينة (الأوس والخزرج)، وفي العلا (شمال الجزيرة العربية) وهم بنو لحيان، والغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة في جنوب العراق.

وقد كانت لليمن صلات تجارية قوية بالشام ومصر بل وصلوا إلى اليونان.

(٢٣) الهجرات اليمنية قديمة جداً، وقد بدأت منذ عصور سحيقة، واستمرت بصورة خاصة بعد تهدم سد مأرب، وتكوّنت جاليات يمنية كبيرة في شمال الجزيرة العربية وغيرها. ثم زادت الهجرات اليمنية بعد دخول الإسلام من أجل نشر الإسلام والجهاد. ووصل اليمنيون إلى أقصى المغرب (موريتانيا) وإلى الأندلس. كما وصلوا بعد ذلك إلى الهند وأندونيسيا وماليزيا والفلبين. وانتشروا في شرق أفريقيا منذ الأزمنة القديمة إلى اليوم.

وكانت لهم جاليات، فاستناداً إلى نقش (رقم ٣٧٠٧) كما يقول الدكتور محمد عبد القادر البافقيه في كتابه «تاريخ اليمن القديم»^(٢٤) وَجَدَ فِي الْخَرِيبَةِ بِالْقَرَبِ مِنَ الْعُلَا، تَحْدِثُ صَاحِبُهُ عَنِ أَعْمَالِ إِنْشَائِيَّةٍ تَتَعَلَقُ بِالرِّيِّ، قَامَ بِهَا قَرْنُو (قَرْنَاو وَهِيَ عَاصِمَةُ مَعِينٍ فِي الْيَمَنِ). وَهَذَا يُوَضِّحُ أَنَّ بَعْضَ أَفْرَادِ الْجَالِيَةِ الْيَمَنِيَّةِ فِي الْعَلَا كَانُوا يَتَبَرَّعُونَ بِأَمْوَالِهِمْ لِإِقَامَةِ مَشَارِيعٍ فِي وَطَنِهِمْ.

وهناك نقوش يمنية موجودة في اليونان، فقد عثر في ديلوس من جزر اليونان على نقش معيني (رقم ٣٥٧٠) يقدّر تاريخه بالنصف الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد^(٢٥)، وذكر فيه الإله «ودّ» الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمُ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعَاً وَلَا يَعْثُوثُ وَيَعُوقُ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح: ٢٣ - ٢٤). وهذه الآلهة التي كانت منذ عهد نوح ~~التي~~ استمرت في أنحاء كثيرة من الجزيرة العربية، وخاصة في اليمن ومنها الإله ود ويعوق.

و«ودّ» هو الإله القمر، وهو الاسم المستعمل لدى المعينيين والأوسانيين في اليمن، وعند السبئيين يدعى «المقه»، وعند القتبانيين «عم»، وعند الحضارمة «سين»، وهو الاسم المستخدم في بابل أيضاً^(٢٦).

وكانت ديانة التثليث منتشرة في كثير من الأمم السابقة مثل قدماء المصريين والبابليين والكلدانيين، وكذلك أهل اليمن، فقد كانوا يعبدون الآلهة المثلثة، وهي الشمس والقمر ونجمة الزهرة. ونجمة الزهرة (فينوس عند الرومان)، هي نفسها عشتار عند البابليين والكلدانيين، وأحياناً تطلق عليها أسفار العهد القديم عشتروت، كما عند الكنعانيين، وتسمى نجمة الصباح والمساء. وفي اليمن يطلق عليها اسم عَثْرُ.

(٢٤) محمد عبد القادر البافقيه: تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٨٥، ص ٢٧، وص ٣٠.

(٢٥) المصدر السابق، ص ٢٨.

(٢٦) المصدر السابق، ص ٢٠٣.

وأما القمر فله أسماء عديدة كما أسلفنا، ومنها «ود» و«سين». وأما الشمس فمن أسماؤها عند أهل اليمن «ذات حميم»، كما هو عند السبئيين، و«ذات بعدن»، و«ذات غصرن»، وعند القتبائين «ذات صخرة»، و«ذات رحين»، وعند المعينيين «نكرح»^(٢٧).

والثالث هو: الإله الشمس، والإله القمر، والإله عثر. وأمم الشمال ومعظم الأمم الأخرى في العالم إلى اليوم تجعل الشمس مذكراً، والقمر مؤنثاً، ما عدا اللغة العربية ولهجاتها اليمنية القديمة، فتجعل الشمس مؤنثة، والقمر مذكراً. وهناك نقوش يمنية موجودة في مصر نتيجة الاتصال والتجارة، ومنها النقش المعيني (جلاس ١١٥٥). ويتحدث النقش عن غارة من سبئيين وخولانيين على قافلة معينة في موضع يعتقد أنه نجران أو بالقرب من نجران. ويذكر حرباً كانت دائرة وقتها في مصر بين مذبي (الميديين من إيران والعراق) والمصريين (لعلها غزوة قميمب لمصر سنة ٥٢٥ قبل الميلاد، أو حرب أخرى جرت بين الميديين ومصر سنة ٣٤٣ ق.م)^(٢٨).

وعثر على نقش من القرن الثالث قبل الميلاد في الجيزة بمصر، ورقمه (ف ٣٤٢٧) على ناؤوس (غطاء قبر) رجل معيني اسمه زيد إل بن زيد، كان يقوم بإمداد المعابد المصرية بالمرّ واللّبان، ويصنّف من مصر الأقمشة المصرية، وتاريخه ما يوافق سنة ٢٦٤ ق.م. في زمن بطليموس الثاني^(٢٩).

ولا شك أن علاقة اليمن بالأمم الأخرى كانت وطيدة عن طريق التجارة ويعرف قدماء المصريين أرض اللّبان والمرّ باسم أرض بنت. والمجال لا يسمح باستعراض ذلك. كما كانت علاقة اليمن بما يسمّى اليوم أرض الشام وسوريا الكبرى، وطيدة جداً، وفيها هجرات يمنية متعددة، وكذلك أرض الرافدين.

(٢٧) الباقيه: المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٢٨) الباقيه: المصدر السابق، ص ٢٧.

(٢٩) المصدر السابق.

ومن ذلك الحضارة الفينيقية التي ظهرت في صور وصيدا (جنوب لبنان)، واشتهرت بالتجارة والملاحة البحرية. وكانت للفينيقيين تجارة واسعة من كافة أرجاء العالم المعروف آنذاك ومنها اليمن وبالذات بلاد سبأ وميناء قانا وعدن. وقد أشار إلى ذلك الإصحاح ٢٧ من سفر حزقيال، وفيه يخاطب النبي حزقيال مدينة صور ويوبّخها على غرورها، وبعدها عن الله لأنها اغترت بتجارها: «العرب وكل رؤساء قيثار (أبناء إسماعيل) هم تجار يدك، تجار سبأ (سبأ) ورعهم هم تجارك. بأفخر كل أنواع الطيب ويكل حجر كريم والذهب أقاموا أسواقك. حُرَّان. وكنته (قانا وهو مينا يمني قديم مشهور في ما يعرف اليوم بير علي شرق حضرموت) وعدن، تجار سبأ (سبأ)، وأشوار وكلمة، تجارك. هؤلاء تجارك بنفائس، بأردية اسمانجونييه ومطرزة...» [سفر حزقيال ٢٧ / ٢١-٢٤].

والغريب أن الملكة عليثا عندما اختلفت مع أخيها على الملك بعد وفاة أبيها، ذهبت إلى تونس (أفريقيا) مع مجموعة كبيرة من أنصارها وسفنها بدلاً من محاربة أخيها، وأسست الدولة القرطاجنية في قرطاج، وسمت المنطقة كلها حضرموت (وهي منطقة سوسة في تونس) للدلالة على أن أصل دولتها من حضرموت^(٣٠).

وقد وجد الدكتور كمال صليبي^(٣١) نقشاً بالحرف الفينيقي في جوار بلدة جبيل في لبنان. وقد كُتِبَ بلغة سامية تختلف عن اللغة الفينيقية الكنعانية. وتم فهم النص بمقارنته باللغة اليمنية (العربية). وقد أكد الباحث فرج الله صالح ديب في «نماذج من الثقافة الشعبية» أن هذا النقش الموجود في بلدة جبيل مطابق للحرف اليمني الحِميري^(٣٢). وكذلك فعل فضل عبد الله الجثام الياضي في كتابه: «الحضور

(٣٠) عرفت ذلك عند زيارتي لمتحف تونس، حيث شرح لي مدير المتحف هذه التفاصيل، وذلك عندما سألته عن سر وجود اسم حضرموت على مقاطعة كبيرة في تونس.

(٣١) كمال الصليبي: «التوراة جاءت من جزيرة العرب». ترجمة: عفيف الرزاز، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ص ١٧.

(٣٢) فرج الله صالح ديب: نماذج من الثقافة الشعبية، مجلة الثقافة، صنعاء. عدد يناير ١٩٩٣، ص ٣٦.

اليمني في تاريخ الشرق الأدنى»^(٣٣)، الذي أكد أن كثيراً من كلمات هذا النقش في بنت جبيل كانت كلمات جُميرية يمنية لا تزال تستعمل في بلدة يافع إلى اليوم، وذكر منها أمثلة عديدة.

ومدينة صور في لبنان هي صدى لمدينة صور في عُمان. وكلاهما أقامها الأزدي من اليمن... وكلا المدينتين اشتهرت بالتجارة البحرية والأسطول البحري. والخلاصة أن أهل اليمن قد انتشروا في رقعة واسعة من الأرض بسبب التجارة أولاً، ثم بسبب تهديم سد مأرب. وتفرّق أهل سبأ وما حولها في البلاد، وتكوين جاليات قوية لهم هناك.

وقد كان لعرب الشمال من أهل ثمود حضارة باذخة ذكرها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وكانت تجارتهم مع عرب الجنوب مستمرة. بل هناك رأي له وجهاته، كما يقول الدكتور محمد عبد القادر الباقي في كتابه: «العربية السعيدة»^(٣٤): أن الثموديين قادوا القوافل الأولى بين الشام واليمن، وأنهم ارتادوا الأسواق اليمنية.

وقد نسب إلى الثموديين خط عُرف بالثمودي، لا تزال شواهد منتشرة في أعالي الحجاز إلى أقاصي اليمن، وفي مناطق متعددة من جزيرة العرب، مما يدل على اتساع تجارتهم وقوافلهم، ولكن الاكتشافات - كما يقول الباقي - دلّت على أمرين محيّرين، وهما أن المخربشات والنقوش المسماة ثمودية، وجدت في الجنوب بمقدار يفوق ما وُجد في الشمال، وأنها توجد بوفرة خارج طرق القوافل.

وهذا يدلّ على التداخل بين الشمال والجنوب... ولا شك أن الهجرات كانت متبادلة بين الفريقين، ومما يدل على ذلك وجود منطقة في حضرموت إلى الآن

(٣٣) فضل عبد الله الجثام الياضي: الحضور اليمني في تاريخ الشرق الأدنى، دار علاء الدين. دمشق، ١٩٩٩، ص ٢٣-٢٥.

(٣٤) محمد عبد القادر الباقي: في العربية السعيدة، ص ٢.

تعرف باسم ثمود^(٣٥). وعندما ظهر الأنباط، وامتدت مملكتهم في شمال الحجاز، وما يعرف اليوم بالأردن، وجنوب سوريا، كانت دولتهم تحت التأثير الروماني رغم وجود حالات شدّ وجذب. وكانت غزوة «اليوس جاليوس» الروماني لليمن سنة ٢٤ ق.م. ضمت في صفوفها مجموعات من الأنباط وبضع مئات من أبناء مملكة يهوذا، وانتهت الحملة الرومانية بالفشل الذريع في هجومها على اليمن^(٣٦).

وكما أن قبائل يمنية وجدت في الشمال، كذلك وجدت قبائل شالية عدنانية في الجنوب. وهناك تداخل بين ما يسمّى يمنيّ وشاميّ، وبين ما هو قحطانيّ وعدنانيّ. ونجد قبائل كندة التي تنتسب كما يقال إلى قحطان تقيم مملكة مركزها وادي الدواسر (قرية الفاو)، وتمتد إلى ما كان يعرف بالبحرين (الأحساء) وجنوباً إلى عمان وحضرموت. وكذلك فعلت قبائل الأزدي (الأسدي) ومذحج وغسان، حيث أقامت لها مستعمرات منتشرة في الجزيرة العربية إلى حدود الشام والعراق.

التبابعة:

وفي مطلع القرن الخامس بعد الميلاد استطاع أكبرب أسعد (أبو كرب تبان أسعد) وهو الملقّب بالأسعد الكامل، أن يقيم دولة قوية شملت معظم الجزيرة العربية.

وقد جاء في سيرة ابن هشام^(٣٧): «قال ابن إسحاق: وتُبان أسعد أبو كرب

(٣٥) يزعم بعض الدارسين أن بعض من بقي من آمن من قوم عاد، هاجر إلى شمال الجزيرة العربية، وكوّنوا مملكة ثمود في الحجر، فيما يعرف بمدائن صالح في العلا، شمال المدينة، وجنوب مدينة تبوك. وبالتالي فهم يرجعون إلى الأحقاف وحضرموت. كما أن قحطان نفسه جد اليمنيين هو ابن هود، وهو نفسه عابر حسب زعمهم. وتعرف ثمود بأنها عاداً الثانية.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٢٨. (الباقي) في العربية السعيدة.

(٣٧) عبد الملك بن هشام الجُمَيْرِي المَعَارِي: سيرة ابن هشام، وهي تهذيب سيرة ابن إسحاق. دار الفكر-

بيروت، ص ١٥-٢٥.

الذي قدم المدينة، وساق الخبرين من يهود المدينة إلى اليمن، وعمّر البيت الحرام... وكان مرّ بها (أي المدينة) في بدأته فلم يهجع أهلها، وخلف بين أظهرهم ابناً له، فقتل غيلة. فقدمها وهو مجمع لخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها. فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلّة أخو بني النجار فاقتتلوا، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلون بالنهار ويقرونه بالليل فيعجبه ذلك... وجاء اثنان من أحبار يهود وحدّروه من إهلاك المدينة لأنها مهاجر نبيّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان... فترك قتالها، وتوجّه تبع وقومه إلى مكة، ومعه الخبران فأكرمه، وعظّمه، وحلق عنده شعره، وأهدى له، وكسا الكعبة مرات، وأطعم أهل الحرم. وكل ذلك بناء على نصيحة الخبرين اللذين كانا معه. ثم أخذها معه إلى اليمن، وكان هو أول من تهوّد بعد أن اندثرت اليهودية التي قامت أيام ملكة سبأ (بلقيس) التي أسلمت مع سليمان لله رب العالمين كما قصّ القرآن الكريم قصتها.

وهناك نقش بالخط المسند عثر عليه في منكث خارج أنقاض ظفار (وهي عاصمة حمير) في سنة ٤٩٣ من التاريخ الحميري (الموافق سنة ٣٨٤ ميلادية) وفيه ذكر الإله (ذي سموي) أي إله السماء. ويذكر الملك، ملك كرب واثنين من أولاده هما أب كرب أسعد وذي آرا أمر أيمن.

ويعتبر ذو نواس، وهو يوسف أسار، واسمه أيضاً زرعة، أحد أحفاد أبكرب أسعد، وكان متعصباً لليهودية، وخاصة بعد أن هجم الأحباش النصارى على اليمن... واشتدّ في محاربتهم، ومحاربة أهل نجران الذين تنصّروا، وهو كما يقال صاحب قصة الأخدود وتحريق النصارى، وسيأتي الحديث عنه عند ذكر سورة البروج.

وقد مدح الله قوم تبع بقوله لقريش: «أهمّ خير أم قوم تبع»، وسيأتي الحديث عن تبع في فصل خاص بإذن الله تعالى.

والشاهد أن القبائل اليمنية (الجنوبية) قد غزت الشمال، وكذلك غزت القبائل الشمالية الجنوب، كما أوضحناه من آثار ثمود في اليمن، واسم منطقة في حضرموت إلى اليوم باسم ثمود.

وقد قامت مملكة في الفاو في وادي الدواسر، وامتدت إلى الأحساء (البحرين)، شاملة بذلك اليمامة (منطقة الرياض اليوم)، وهي من كندة وقحطان وكلاهما قبائل جنوبية.

وقد استطاعت كندة بقيادة حجر بن عمرو بن معاوية الذي اشتهر باسم أكل المرار^(٣٨): أن تحكم معظم الجزيرة العربية كما يزعمون، حيث حكموا اليمن والحجاز ونجد والبحرين (الأحساء) ونجران واليمامة... وهو الذي يقال إنه أصلح بين بكر وتغلب بعد الحرب الضروس بينهم مما أدى إلى أن قبلوا به ملكاً عليهم.

ويبدو أن كندة أو بعضاً من أفرادها تنصروا. وقد اشتهرت مارية بنت ظالم بن وهب الكندي التي تزوجها الحارث الأكبر الغساني (في الشام). ورغم ذلك فقد أهدت قرطها للكعبة، قالوا وهما درتان جميلتان حجمها كبيضتي الحمام. وقد قال حسان بن ثابت فيهما شعراً يفتخر بها، ويجفنة من آل غسان:

أولاد جفنه حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

وامرؤ القيس الشاعر الضليل صاحب المعلقة المشهورة، هو ابن حجر الكندي، أحد ملوك كندة، فقتله بنو أسد، فأقسم امرؤ القيس بالانتقام منهم، ولكنه هو صاحب القولة المشهورة: «اليوم خر، وغداً أمر». عندما بلغه خبر مقتل أبيه، فواصل الشرب تلك الليلة، ثم توقف عن الخمر والنساء، وطلب النصره للانتقام لأبيه، فلم يوفق، فقالوا: إنه ذهب إلى قيصر فلم يجبه إلى طلبه، ولم يستطع امرؤ القيس أن ينتقم من بني أسد. وانتهت دولة كندة بوفاة (سنة ٥٦٠م).

(٣٨) سمي أكل المرار، لأن (زوجته) اختطفها أعراب، فقالت لهم: سيأتيكم حجر أكل المرار. والمرار: نبات صحراوي شديد المرارة، وأكل المرار: الفحل من الإبل، تُشبهه به. وما ليثوا يسيراً إلا وقد غشاهم حجر ابن عمرو على الهيئة التي وصفته، فاستقدها منهم، واشتهر باسم أكل المرار، لأن الإبل عندما تأكل المرار، تقلص مشاferها وتبدو أسنانها.

هل عرف اليمنيون القدامى اسم اليمن؟

الغريب حقاً أن الدول التي قامت في جنوب الجزيرة العربية لم تذكر اسم اليمن إلا في فترة متأخرة نسبياً، وقصدت به منطقة محدودة من الساحل اليمني. وتاريخ اليمن القديم تكتنفه كثير من الاختلافات لدى المؤرخين حتى أولئك الذين يعتمدون على النقوش (Epigraphy) والآثار (Archeology) لعدة أسباب قد أشرنا إليها، وأهمها أن ما وصلنا من نقوش وآثار محدود جداً بالنسبة لما هو مطلوب، ولا يزال دفيناً. وأن هناك مراحل مجهولة في تاريخ العديد من تلك الدول...

ومن الجدير بالذكر أنه كانت تتزامن أكثر من دولة تحكم اليمن في وقت واحد، وتقوم بينهما الحروب وتتغلب إحداها على الأخرى وهكذا.

وأول هذه الدول المذكورة هي الدولة المعينية، التي قامت في منطقة الجوف إلى نجران في الشمال الغربي من اليمن، وكانت عاصمتها «قرناو» ثم معين... (يقول بعض المؤرخين أن معين هي نفسها قرناو). وقد اختلفوا في زمن ظهورها واندثارها، فمنهم من يجعلها من سنة ١٤٠٠ - ٨٥٠ قبل الميلاد (كتاب اليمن عبر التاريخ، لأحمد شرف الدين)، ومنهم من يجعلها من سنة ٨٠٠ - ١٠٠ ق.م (جغرافية الجمهورية اليمنية، لعيدروس علوي بلفقيه، وهو كتاب جامعي). وجعلها السيد محمد أحمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي من سنة ١٥٠٠ - ٨٥٠ قبل الميلاد.

وقد ذكر المؤرخ الروماني بيليني سنة ٧٩ بعد الميلاد، المعينيين وأنهم تجار يحملون البخور واللبان إلى أقاصي الأرض، حتى أن البخور في اليونان ولدى الرومان يعرف بالبخور المعيني^(٣٩). وقد أشرنا إلى ما ذكره البافقيه من وجود نقش

(٣٩) محمد عبد القادر البافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٦.

معيني في اليونان ومصر والعلا في شمال الحجاز. ويبدو من هذه النقوش أنها لا تصل أبداً إلى ما قدره أحمد شرف الدين والشاطري، بل هي أقرب من ذلك حيث تصل إلى القرن الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد. ويبدو أن مملكة معين قد زالت قرب نهاية القرن الأول قبل الميلاد^(٤٠).

وقد امتدت مملكة معين إلى الحجاز ومناطق من الجزيرة العربية. وكانت علاقتها بحضرموت علاقة تجارية وعلاقة هيمنة في كثير من الأوقات.

وثاني هذه الدول هي دولة قتيبان (٧٠٠ قبل الميلاد إلى ١٠٠ بعد الميلاد). وقامت في وادي بيحان (في مقاطعة شبوه في الجمهورية اليمنية)، وعاصمتها «تمنع» (هجر كحلان اليوم)، وانتهت هذه الدولة في بداية القرن الأول الميلادي، وذلك على يد دولة حضرموت. ومن الواضح أن دولة قتيبان تعايشت في فترة تمتد إلى مئات السنين مع الدولة المعينية، وقد أوضح أحد النقوش (اكتشفه جام في هذه المنطقة) أنه يرجع إلى القرن العاشر أو الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا يعني أن الاستيطان بمدن قتيبان يعود إلى ذلك العهد^(٤١). ولكن ذلك قد لا يعني أن دولة قتيبان قامت منذ تلك الفترة.

وتحديد أمد هذه الدول القديمة مضطرب، وهناك اختلافات بين المؤرخين في بدايتها ونهايتها. والدولة الثالثة هي دولة حضرموت وقد جعلها الكتاب الجامعي (جغرافية الجمهورية اليمنية لعيدروس بلفقيه) من سنة ٧٠٠ إلى ٣٠٠ قبل الميلاد، وكانت عاصمتها الأولى ميفعه والثانية شبوه. وقد احتلت دولة حضرموت دولة قتيبان وأحرقت عاصمتها تمنع، إلا أن دولة حضرموت انتهت على يد الملك السبئي «شمهر يرمي»^(٤٢)، في بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وأدخلها ضمن دولته، إلا أن بعض المناطق كانت شبه مستقلة عن حكم دولة سبأ، وكانت لها سيطرتها الكاملة على شؤونها الداخلية.

(٤٠) المصدر السابق، ص ٣١.

(٤١) البافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٣٣.

(٤٢) يذكره البافقيه باسم شهر يهرعش، ويذكره أهل التاريخ باسم شمير يهرعش، لأنه كان يعاني من رعشة في يده، وهو ابن ياسر يهنعم، المعروف في التاريخ باسم ناشر النعم.

وأشهر هذه الدول دولة سبأ واستمرت كما يقول الباقية ١٥٠٠ عام، من سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد إلى سنة ٥٢٥ بعد الميلاد. وهي أعظم هذه الدول وأشهرها وأغناها، ورغم ذلك لم تكن تحكم كل اليمن إلا في فترات متقطعة، ففي أثناء وجود دولة سبأ كانت معها دولة معين، ودولة قتبان، ودولة حضرموت، ودولة أوسان... وكانت الحروب تقوم بينهم فتتسع مملكة هذه على حساب الأخرى، إلا أن مملكة سبأ كانت هي الأطول مدى والأعرق حضارة، والأوسع تجارة، والأقوى جيشاً، والأكثر سيطرة. ولذا تطوّر لقب ملك مملكة سبأ.

وكانت عاصمة مملكتهم في صرواح، ثم انتقلت إلى مأرب (ماریابا)، وتوحدت معظم أراضي اليمن في دولة مركزية واحدة في القرن الرابع بعد الميلاد. وهذا يعني ببساطة أن اليمن لم تتوحد إلا في فترة متأخرة، رغم نفوذ دولة سبأ على بقية المناطق... وكانت دولة الوحدة تلك أشبه بالدولة الاتحادية، حيث أن كل منطقة لها حكمها الذاتي.

وكان ملك سبأ يعرف أول الأمر بملك سبأ، ثم بمضيّ الوقت ودخول قبائل أخرى غير قبيلة سبأ تحت سيطرته صار الملك يلقّب بمكرب (كما يقول الباقية)^(٤٣)، وزال بالتالي لقب ملك للقبائل المجاورة، وظهر لقب القيل لرئيس هذه القبيلة، أو تلك. بينما بقي لقب الملك لرئيس سبأ الذي فرض سيطرته عليهم، وكان الباقون أتباعاً له.

واستقرّت حدود الدولة السبئية من أنف اللوذ شمالاً إلى ما وراء ذمار جنوباً شاملة الجزء الأكبر من الجوف، والهضبة الغربية ذات الحقول الخصبة، وتحكّمت في منافذ طريق الشمال التجاري البري إلى الحجاز ومنه إلى الشام ومصر^(٤٤).

(٤٣) د. محمد عبد القادر الباقية: في العربية السعيدة، ص ٤٤.

(٤٤) المصدر السابق: ص ٤٥.

وفي بداية القرن الأول بعد الميلاد، ظهرت التجارة البحرية، وظهرت أهمية موالي موزع وعدن وقانا. وامتد نفوذ مملكة سبأ وتطور اللقب فأصبح «ملك سبأ وذي ريدان»، وهي القبائل التي عرفت باسم حِمير كما يقول الباقية ورسخت وحدة العنصرين السبئي والحِميري^(٤٥).

وأدى ذلك إلى انطلاقة جديدة وتوسّع في أرض المملكة، وبدأ شهر يهرعش أول التبابعة خطوة جديدة نحو توحيد اليمن. فضمّ حضرموت المناوئة، واستولى على شبوة عاصمة دولة الحضارمة. وصار لقبه «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت».

ثم احتل منطقة أخرى تدعى يمنت (يمنه) ويقال إنها المناطق الساحلية من اليمن الممتدة من قانا شرقاً، إلى عدن غرباً، وكلاهما تطلان على بحر العرب. وصار لقب الملك السبئي هو: «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة». ويقول الباقية^(٤٦): اسم يمنة (يمنت) هو المشكلة، لأنه لم تعرف قبيلة أو منطقة باسم يمنة إذ ذاك. وأقرب الأقوال فيها إنهم أهل الجنوب، أي المناطق الساحلية الجنوبية مما يعرف باسم اليمن فيما بعد.

ولعل يمنة (يمنت) الجنوبية تقابل «شامت» الشمالية... وهي كلها مما عرف لاحقاً باسم اليمن. وقرر الباقية: ولعل يمنة (يمنت) هي المناطق الجنوبية الساحلية التي كانت تخضع لحضرموت، والتي عرفت على مدى الأزمان باسم الشحر^(٤٧).

وهكذا نجد أن لفظ يمنت لم يظهر إلا متأخراً أي في القرن الرابع الميلادي

(٤٥) المصدر السابق: ٤٦-٤٨.

(٤٦) المصدر السابق، ص ٥٠.

(٤٧) الشحر، اليوم: اسم مدينة في ساحل حضرموت، مطلة على بحر العرب. ولكن كلمة الشحر كانت تطلق على الساحل الجنوبي لحضرموت بأكمله، ويمتد من ظفار إلى قرب عدن.

عندما انتهت دولة حضرموت، واستولت عليها دولة سبأ. وأصبح لقب ملك سبأ كالتالي: «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة»، وهو أقصى توسع لدولة سبأ، الذين عرفوا منذ ذلك الوقت بالتبابعة، واختلطوا وتمازجوا بجمير امتزاجاً تاماً... وعندما جاء أبكرب أسعد (الملك الكامل) وسع المملكة حتى وصل مكة والمدينة والأحساء، وصار لقبه: «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم طودا (طودم) أي الجبال وتهمت أي تهامة».

وخلاصة القول إن لفظ اليمن لا يعني سوى الجنوب، وإنه في بداية الأمر كان يطلق على الساحل الجنوبي من حضرموت الذي عرف باسم الشحر، ثم طغى بعد ذلك هذا الاسم. وصار كل جنوب لمنطقة أخرى يدعى اليمن، حتى صار يمين الكعبة هو اليمن، وشمالها هو الشام. ثم امتد التعريف اللغوي ليصل إلى المدينة المنورة، على اعتبار أن سكانها من اليمن كما أسلفنا.

وهكذا يتبين أن لفظ اليمن، لا يحدد موقعاً بعينه، وإنما هو جنوب جزيرة العرب دون تحديد لمعالمه. وقد يقتصر هذا اللفظ على ساحل حضرموت فقط (الشحر)، كما هو في لقب ملك سبأ، أو يتسع ليصل إلى مكة المكرمة، ثم المدينة المنورة.

حدود اليمن عند الهمداني^(٤٨):

قال الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه: «صفة جزيرة العرب»، تحت عنوان صفة اليمن الخضراء: «سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزرعها. والبحر مطيف بها من المشرق إلى الجنوب فراجعاً إلى المغرب. ويفصل بينها وبين

(٤٨) أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، المتوفى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م، وقيل ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، في كتابه: «صفة جزيرة العرب»، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ، وتقديم: حمد الجاسر. (طبعة مصورة، دار الآفاق العربية- القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٩٠).

بأقي جزيرة العرب خط (وهمي) يأخذ من حدود عُمان وبيرين إلى حد ما بين اليمن والبيامة، فإلى حدود الهجيرة وتثليث وأنهار جُرش وكُنْتنة، منحدرًا إلى السراة على شعف عنز، إلى تهامة، على أم حجدم، إلى البحر حذاء جبل يقال له كُدْمُل، بالقرب من حمضة، وذلك حد ما بين بلد كنانة فرأس الفرتك، فأطراف جبال اليعمد، وما سقط وانقاد منها إلى ناحية الشحر، فالشحر، فُعْبُ الخيس، فُعْبُ الغيث، بطن من مهرة، فُعْبُ القمر، زنة قمر السماء، (وهي أيضاً من مهرة) فُعْبُ العقار بطن من مهرة، فالخيرج، فالأسعاء. وفي منتصف من هذا الساحل شرقاً بين: عمان وعدن ريسوت، وهو موئل كالقلعة، بل قلعة مبنية بنياناً على جبل، والبحر يحيط بها إلا من جانب واحد فالبر، فمن أراد عدن فطريقه عليها، فإن أراد أن يدخل دخل، وإن أراد جاز الطريق ولم يلو عليها، وبين الطريق الذي يُفَرِّقُ إليها والطريق المسلوك إلى عمان مقدار ميل.

«وبها سكن الأزد من بني جُديد. قد كان قوم من القمر (من المهرة) في أول عصرنا يبتوا من بها ليلاً (أي قتلوهم غيلة) فقتلوا، فممن قتل بها رجل يقال له عمرو بن يوسف الجديدي من رؤوس أهلها أزددي. والذين أبلوا ذلك من القمر، بنو خنزريت، وأخرجوا من بقي من أهلها فتفرقوا إلى بلاد الغيث من مهرة، فسكنوا موضعاً يقال له حاسك، ومرباط مدة، ثم أعانتهم الثغرا من مهرة حتى رجعوا إلى قلعتهن.

«ثم يعطف البحر على اليمن مغرباً وشمالاً من عدن، فيمر بساحل لحج، وأبين وكثيب يرامس، وهو رباط، وسواحل بني مجيد من المنذب، فساحل العميرة فالعارة فإلى غلاققة، ساحل زبيد، فكمران، فعطينة، فالحردة إلى منفهق جابر، وهو رأس غزير كثير الرياح حديدها، إلى الشَّرْجَة، ساحل بلد حكم، فباحة جازان إلى عَثْرَ، فرأس عَثْرَ وهو كثير الموج، إلى ساحل حمضة، فهذا ما يحيط باليمن من البحر». انتهى كلام الهمداني.

وقد نقل ياقوت في معجم البلدان كلام الهمداني، وحذف منه وغير أسماء بعض البلدان مثل ريسوت سماها ريسوف، وعُبَّ العقار سماها عُبَّ الغفار، وكدمل ذكرها باسم الكرمل... وهكذا؛ ويبدو أن ذلك من النسخ لتشابه الحروف.

وقد شرح بعض أسماء هذه المواقع القاضي محمد بن علي الأكوخ في تعليقه على الكتاب، وترك أكثرها، ولم يضع لها خريطة. ولكن السيد عيدروس علوي بلفقيه^(٤٩) شرحها بوضع خريطة، وذلك يجعل الأمر مفهوماً، لأن هذه البلدان أغلبها مجهول لعامة المثقفين من اليمنيين فضلاً عن غيرهم من العرب.

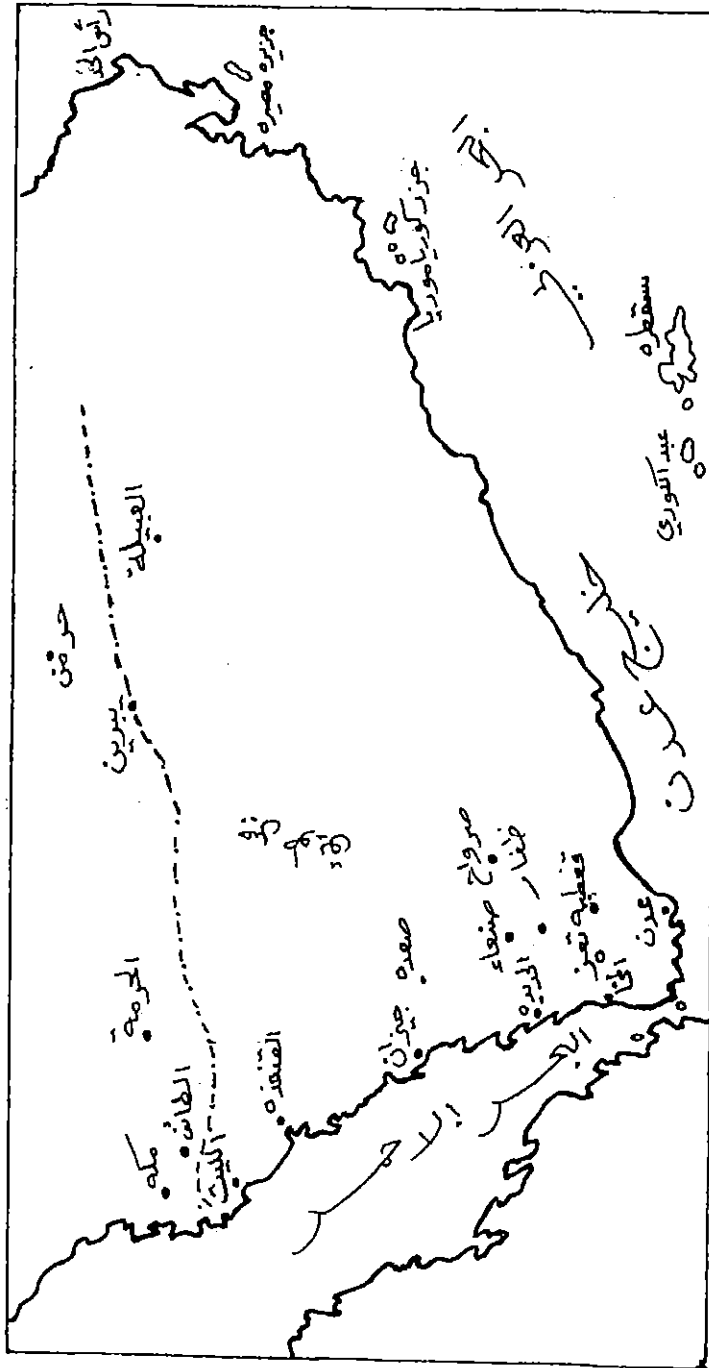
ويقول بلفقيه إن حمضة وأم حجدم تمثلان الحدود الشمالية لليمن في منطقة تهامة الواقعة على دائرة العرض ٢٠ شمالاً تقريباً، إلى الجنوب من الليث المطلّة على البحر الأحمر (وهي تقع في السعودية في العصر الحاضر)، وتمتد الحدود الشمالية شرقاً حتى منطقة بلجرشي (كذلك في السعودية) الواقعة الآن في منطقة غامد وزهران - ثم وادي تثليث إلى الغرب من جبال طويق ثم تمتد إلى الحدود شرقاً إلى واحة يبرين^(٥٠) حتى الساحل الجنوبي للخليج العربي شمال عمان.

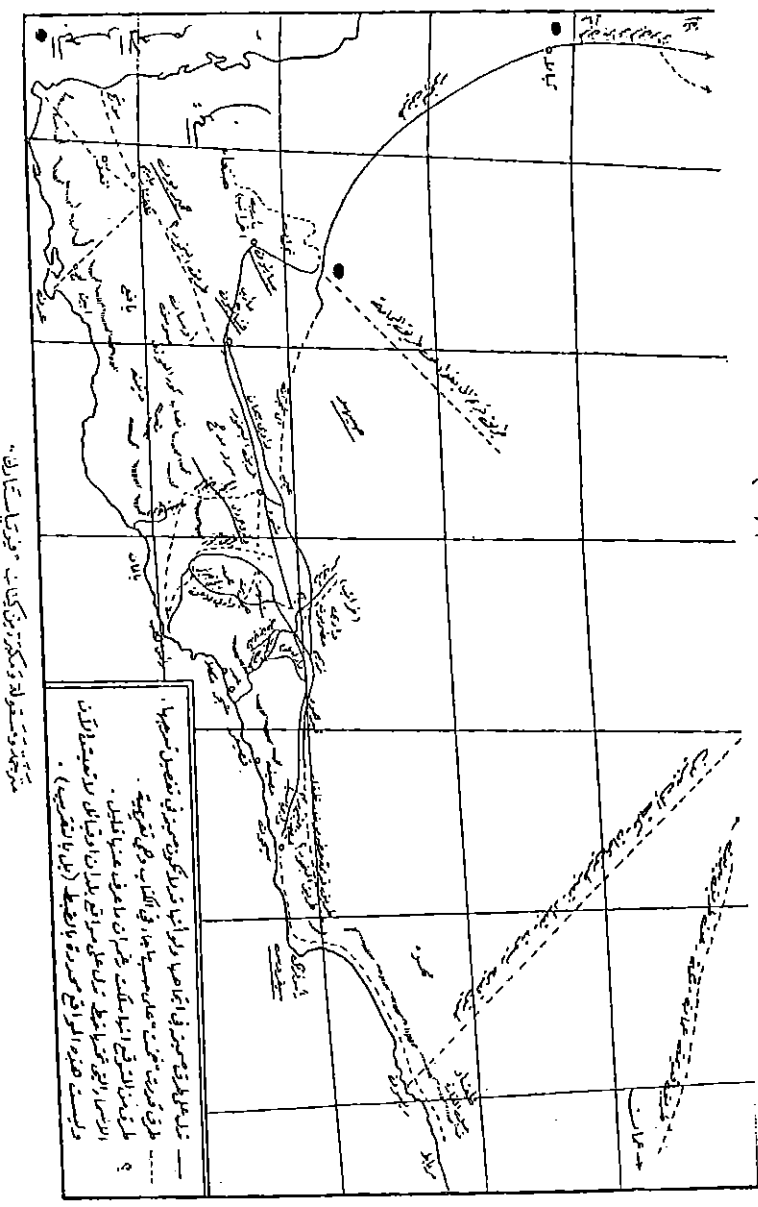
وبطبيعة الحال لم يشرح بلفقيه معظم الأماكن والمدن التي ذكرها الهمداني، وهذا مما يجعل فهم كلام الهمداني عسيراً، وإن كانت الخريطة العامة تيسر إلى حد ما هذا الأمر المعقد.

(٤٩) عيدروس علوي بلفقيه: جغرافيا الجمهورية اليمنية، جامعة عدن، سلسلة الكتاب الجامعي ٣، ١٩٩٧، ص ٩-١٠.

(٥٠) يبرين (ابرين) كما في ياقوت الحموي (معجم البلدان): قرية كثيرة النخل والعيون العذبة، بحذاء الأحساء من بني سعد بالبحرين، (وتطلق البحرين على ما يسمى اليوم المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية، وجزيرة البحرين إلى ما قرب الكويت).

شكل رقم (١)
اليمن كما حددها أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني



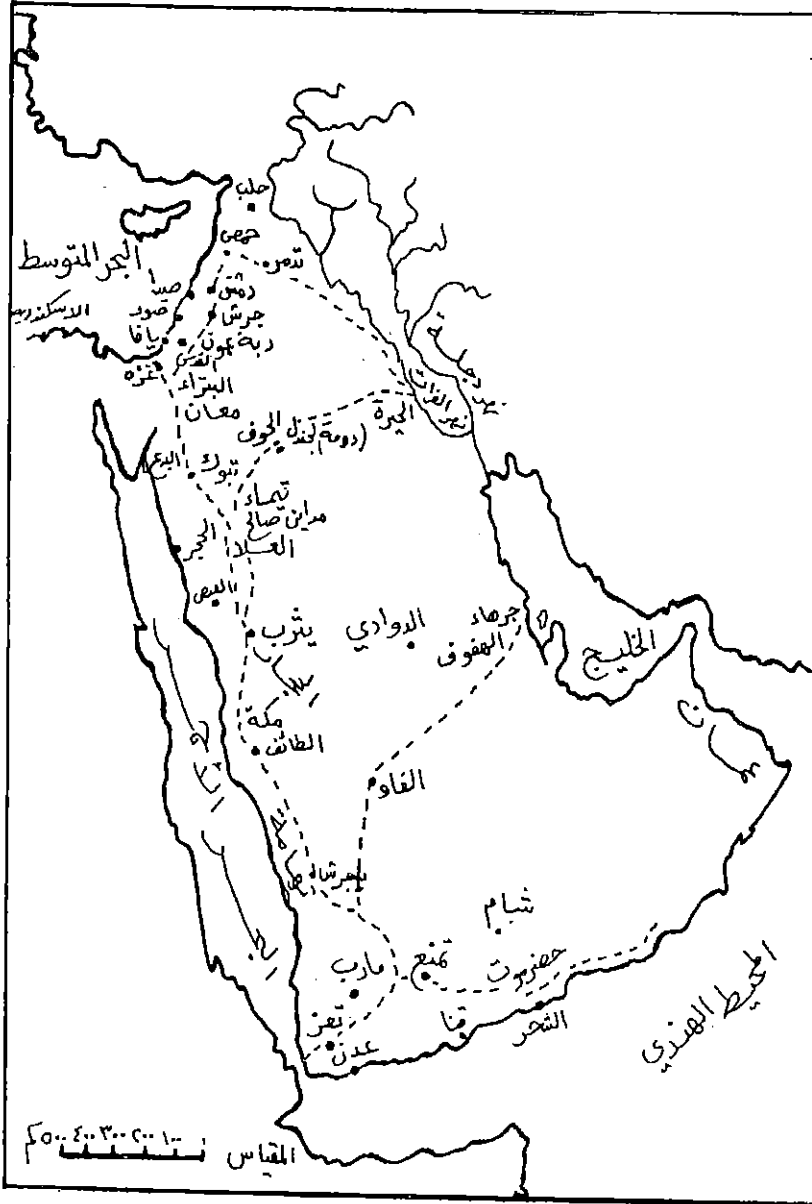


شكل رقم (٧)

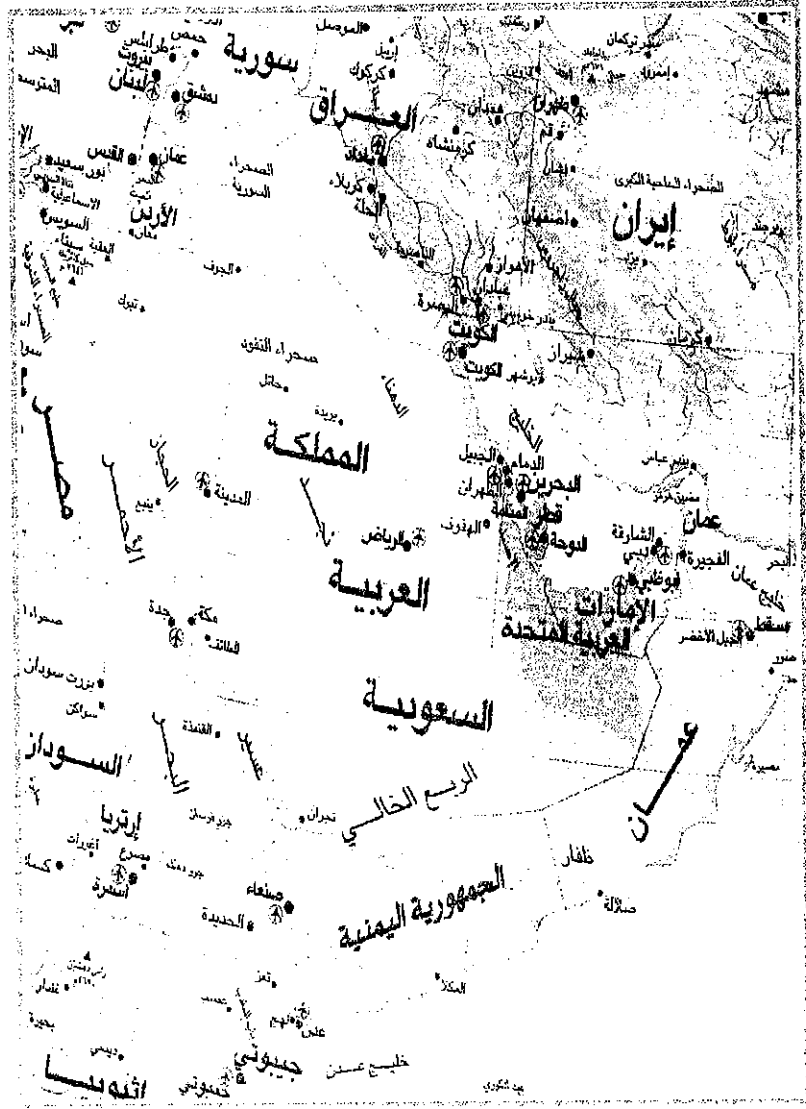
من صنعاء وتنتهي في مكة المكرمة بمرحلة واحدة

شبكة الطرق
 - - - - - طريق صنعاء - الحديدة
 - - - - - طريق صنعاء - تعز
 - - - - - طريق صنعاء - المخا
 - - - - - طريق صنعاء - العذرة
 - - - - - طريق صنعاء - مأدبا
 - - - - - طريق صنعاء - الجوف
 - - - - - طريق صنعاء - الضالع
 - - - - - طريق صنعاء - الحجة
 - - - - - طريق صنعاء - البريقة
 - - - - - طريق صنعاء - السعيدية
 - - - - - طريق صنعاء - اليعربية
 - - - - - طريق صنعاء - الميناء
 - - - - - طريق صنعاء - العاصم
 - - - - - طريق صنعاء - الكهول
 - - - - - طريق صنعاء - الجبلين
 - - - - - طريق صنعاء - الجابلية
 - - - - - طريق صنعاء - الجبلين
 - - - - - طريق صنعاء - الجبلين

شكل رقم (٣)
الخطوط التجارية البرية



خريطة حديثة لليمن بعد ترسيم الحدود مع المملكة العربية السعودية



الفصل الثاني

القبائل اليمنية:

نظرة سريعة

تنسب القبائل اليمنية إلى قحطان، وهو أبو اليمنيين جميعاً، كما يذكره النسابة.

وقحطان هو ابن عابر وهو هود عند أكثر النسّابين، وعليه فإن قحطان هو ابن هود عليه السلام. وبعضهم يقول إن هود هو ابن عابر، وبالتالي فإن قحطان يعتبر أخاً لهود عليه السلام. وعابر هو بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

وأما عاد قوم هود عليه السلام، فينتسبون، حسب زعمهم، إلى عاد بن عوص بن سام ابن نوح، وبعضهم يقول: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح. وقوم عاد قد سكنوا الأحقاف، فلما أهلك الله الكفار منهم بذنوبهم، وهم الأكثر، انتقل من بقي ممن آمن من قوم عاد إلى مناطق مختلفة، فمنهم قحطان بن هود (عابر) حيث ذهب إلى المناطق الغربية من اليمن، ومنهم من انتقل إلى شمال الجزيرة العربية، حسب زعمهم، وسكنوا الحجر، وهم ثمود قوم صالح، ويطلق عليهم عاداً الثانية. وأما الأولى فهي قوم هود عليه السلام الذين أهلكهم الله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَایِةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٦-٨).

وقحطان ولد له يعرب، ويعرب ولد له يشجب، ومن يشجب ولد سبأ (الأكبر)، وهو عامر ويقال بل عبد شمس. ولُقّب سبأ لكثرة سبيه، قالوا وهو أول من سبى من العرب، وقد كان لسبأ هذا عدد من الأبناء منهم كهلان، ومنه ظهرت همدان، ومن همدان حاشد وبكيل، كما ظهر من كهلان مذحج وطى وأدد والأزد، ومن كل واحد من هؤلاء تفرّعت قبائل كبيرة، ولها دور في التاريخ.

ومن ولد سبأ العرنجج وهو حمير. ومن حمير ظهر الهميسع وهو أبو الملوك التبابعة والأدواء والثامنة والعباهلة. والبطن الثاني مالك وله فروع كثيرة. وأما بقية ولد سبأ وهم رهم وعبد الله والنعمان والمولود ويشجب وشداد وربيعة، فقد تفرّعت منهم قبائل كلها تجتمع في سبأ، وتعرف به، ويقال لهم السبائيون. وهم الذين أسسوا دولة سبأ الباذخة.

ويقول آخرون بقول آخر:

وهو أن القحطانيين من نسل إسماعيل بن إبراهيم: وهو قول تؤيده أحاديث في البخاري وغيره.

ذكر محمد بن علي باحنان (الكندي) في كتابه جواهر تاريخ الأحقاف ص ٧: نسب قحطان جد اليمانية، وقال: الصحيح الذي لا مرية فيه أن قحطان من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، فقد روى ابن جرير في تاريخه حديثين في نسب عدنان المتصل إلى إسماعيل عليه السلام.

(الأول): عن الزبير بن بكار بسنده عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: معد بن عدنان بن أدد بن زند بن يرى بن أعراق الثرى. قالت أم سلمة: فزند هو الهميسع، ويرى هو نبت، وأعراق الثرى هو إسماعيل.

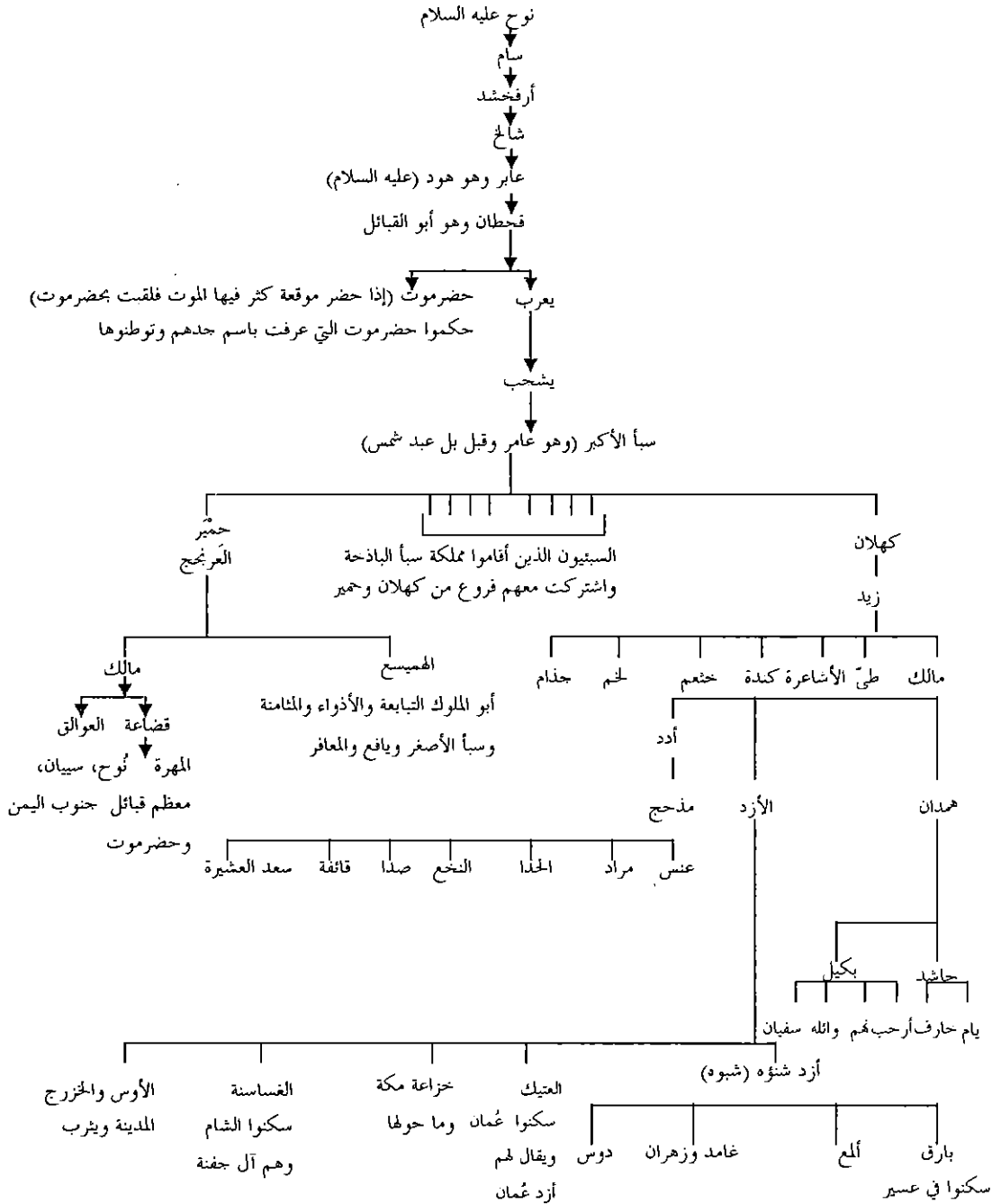
و(الثاني): بسنده عن ابنة المقداد بن الأسود البهراني قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «معد بن عدنان بن أدد بن زند بن أعراق الثرى» وهو مثل الحديث السابق.

وقال الخازن في تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قلت: إن كان الخطاب للعرب فهو أبو العرب قاطبة، وإن كان الخطاب للمسلمين فهو أبو المسلمين قاطبة. والمعنى أن وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب، فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنا لكم كالوالد»؟

قلت: وهذا كله يحمل على مكانة الوالد وحقوقه عليهم وكأنه أب لهم بل أكثر من الأب، ولا يكون ذلك دليلاً على أبوته. والحديثان السابقان فيها مقال. ولكن قد ورد في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سلمة رضي الله عنه قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أسلم وهم يتناضلون بالسوق، فقال: ارموا بني إسماعيل، وأنا مع بني فلان، لأحد الفريقين فأمسكوا أيديهم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: وكيف نرمي وأنت مع بني فلان. فقال:

«ارموا وأنا معكم جميعاً». والشاهد قوله: ارموا بني إسماعيل، وأسلم تتسبب إلى اليمن. وقد بَوَّب البخاري في صحيحه لهذا الحديث بقوله: باب نسبة اليمن إلى إسماعيل عليه السلام.

وقد أورد ابن حبان في صحيحه نفس الحديث، إلا أنه حدد (بني فلان) فقال (مع بني الأروع) قال البخاري: وأسلم من خزاعة. وخزاعة ممن تمزق من قبائل سبأ (وهم الأزد) حين أرسل الله عليهم سيل العرم، وهم قحطانيون. (وقد سكنوا مكة ثم أجلتهم عنها قريش، فسكنوا مرّ الظهران، وهو وادي فاطمة، والجموم، شمال مكة. وكانوا عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم. ثم أسلموا جميعاً). وفي الجامع الصغير: «كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم»، وهو حديث مرسل، ورمز له بالصححة. ثم روى في ذلك أخباراً وأشعاراً تفيد أن كل العرب من نسل إسماعيل بن إبراهيم. وروى حديثاً عن أبي هريرة أن النبيّ خاطب الأنصار: فتلك (أي هاجر) أمكم يا بني ماء السماء. ولم يذكر تحريجه.



كهلان وفروعها

وظهر من كهلان عدد كبير من القبائل الهامة: ومنهم الأزد وهمدان ومن همدان حاشد وبكيل وبطونها. ومن الأزد: قبائل كثيرة تفرقت في البلاد عند تهدم سد مأرب، ومنهم أزد سنؤه (وقال السيد محمد أحمد الشاطري في كتابه أدوار التاريخ الحضرمي، وصالح الحامد في كتابه تاريخ حضرموت، أن الصواب هو أزد شبوه. ولكن لما كانت الكتابة بدون تنقيط اختلط الأمر. وكانت الباء تكتب بنقطة من أعلى، وهو ما لا يزال موجوداً في مصاحف أهل المغرب، فظنوها سنؤه والصواب (شبوه).

وقد ظهر من أزد سنؤه (شبوه) قبائل ألمع وبارق وغامد وزهران ودوس، وكلها سكنت سراة عسير (وهي اليوم في المملكة العربية السعودية) ومنهم أزد عُمان أبناء العتيك، وقد سكنوا عُمان وملكوها وما حولها، ومنهم خزاعة التي ملكت مكة ثم أخرجتهم منها قريش، وهم بمرّ الظهران (وادي فاطمة) في الجحوم. وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم، ثم أسلموا قاطبة وقد دخلوا معه في صلح الحديبية، فلما نقضت قريش وحلفاؤها العهد وقتلوا أفراداً من خزاعة غيلة وفي الحرم، عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة ففتحتها العام الثامن من الهجرة... ومنهم عك موجودون بتهامة اليمن.

ومنهم بني قبيلة الأوس والخزرج (نسبوا إلى أم لهم) سكنوا يثرب وهم أنصار رسول الله وحماة دينه وناشروا لوائه، والذين قاتلوا مع رسول الله ﷺ جميع معاركه ومشاهده، وهم الذين آووا ونصروا الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وفضائلهم لا تعد ولا تحصى كثرة. وسيأتي ذكر بعضها في ذكر فضائل أهل اليمن.

ومن الأزد الغساسنة آل جفنة ملوك الشام، وبينهم وبين الأوس والخزرج وشائج القربى، وكان حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، يذهب إليهم في جاهليته، فيكرمونه لشعره ولقربته.

ومن كهلان قبيلة طي التي سكنت شمال الجزيرة العربية، واشتهرت جبال طي أجا وسلمى وذكرها الشعراء، وهي في منطقة حائل اليوم.

ومن كهلان أيضاً القبيلة الكبيرة كندة، ومن بطون كندة السكاسك والسكون ومُجيب وقد نزلوا حضرموت، وامتد ملكهم إلى وسط جزيرة العرب، وأقاموا دولة في (الفاو) وامتدت إلى الأحساء، وما كان يعرف بالبحرين شرقاً، وإلى عسير غرباً، وإلى حضرموت جنوباً. وقد اتفقت قبائل نجد والحجاز، بعد أن اقتتلوا طويلاً على أن يولوا عليهم حجر بن وائل الكندي (أكل المرار) كما قدم معنا.

ومن كهلان الأشاعرة الذين سكنوا تهامة اليمن: ومنهم أبو موسى الأشعري ورهطه، وسيأتي ما ورد في إسلامهم وجهادهم وفضلهم، وما نزل فيهم من قرآن، وما جاء فيهم من أحاديث.

ومنهم قبيلة خثعم: ومن هذه القبيلة عدد كبير من الصحابة، ومنهم أسماء بنت عميس التي هاجرت المهجرتين والتي تزوجت جعفر بن أبي طالب، فلما قتل واستشهد في مؤتة، خلف عليها أبو بكر الصديق، فلما مات تزوجها علي بن أبي طالب، وكان لها أولاد من هؤلاء الثلاثة فتفاخر الأبناء وعليّ بينهم، فقالت له: احكم بينهم، فقال: بل الحكم إليك، قالت: تزوجت خير الشباب (أي جعفر)، ثم خير الشيوخ (أي أبي بكر)، ثم خير الكهول (أي عليّ)، وكانت أثيرة عند رسول الله ﷺ وعند ابنته فاطمة الزهراء فرضي الله عنها وأرضاها.

ومنهم لخم: وقد حكموا الحيرة جنوب العراق، ومنهم الملوك المناذرة. وكانوا تابعين لدولة الفرس كما كان الغساسنة تابعين لدولة الروم، ولكنهم قبل البعثة

حاربوا الفرس، وانتصروا عليهم في يوم مشهود من أيام العرب، وهو يوم ذي قار. ومنهم جذام.

همدان

ومن كهلان همدان التي أسلمت في يوم واحد على يد الإمام علي بن أبي طالب، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ سجد لله شكراً، وقال: سلام على همدان.... سلام على همدان. وقال فيهم الإمام علي شعراً، ومنه قوله:

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وفي رواية:

ولو كنت رضواناً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

ووفدت الوفد الكثيرة على رسول الله ﷺ من همدان، ومنهم مالك بن نمط وقيس بن نمط (أخوه)، وهما من أرحب من همدان، وسيأتي ذكر هذه الوفود في فصل خاص. ومن همدان حاشد وبكيل. ومن حاشد قبائل يام وخارف وغيرها، ومن بكيل أرحب ونهم ووائلة...

مذحج

ومن قبيلة كهلان: مذحج بن أدد بن مالك بن زيد بن كهلان. وبطون مذحج كثيرة منها عنس المشهورة، ومن ينتسب إليها عمار بن ياسر ووالده ﷺ.

ومن بطون مذحج مراد، ومن وفد على النبي ﷺ فروة بن مسيك المرادي، وولاه الرسول مناطق من أرض مراد ومذحج وزبيد. وله مسجد معروف شمالي صنعاء يعرف بمسجد مسيك وفيه قبره.

ومن بطون مذحج الحدا، والنخع وصداء، وقائفة، وسعد العشيبة، ولكل من هذه البطون دور في التاريخ. وكان لمذحج دور في الجهاد ونشر الإسلام، ومنهم من وصل إلى التركستان وبخارى وسمرقند، ومنهم من له دور في فتوح المغرب والأندلس.

وقد كان الإمام البخاري صاحب الصحيح محمد بن إسماعيل ينسب فيقال له الجعفي، وهم من فروع مذحج، أسلم جد البخاري على يده، حتى قال الشاعر:

وما كانت الأثرأك أبناء مذحج ألا إن في الدنيا عجباً لمن عجب
والجعفيون من أبناء مذحج، ومنازلهم في حضرموت في منطقة جردان.

جَمِير

ومن ولد سبأ الأكبر جَمِير وهو العرنجج، وهو الأخ المقابل لكهلان. ومن جَمِير خرج فرعان كبيران هما:

١- الهميسع: وهو أبو الملوك والتتابة والأذواء، والمثامنة... ورئيس كل مخلاف من مخاليف اليمن يسمى القيل أو العهل. والأذواء، هم رؤساء لمجموعة من القبائل، ويعتبرون بمرتبة الأمراء، ولا يرشح للملك إلا واحد منهم. فإذا وافق عليه الأذواء الثمانية أعلنوا ملكه. قال نشوان الجَمِيرِي في قصيدته المشهورة الحائية:

أين المثامنة الملوك بملكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعبان وذو خليل ثم ذو شجر وذو جدن وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جرفز ولقد محاذ عثكلان يا صاحي
وكان هؤلاء الثمانية يقيمون الملك أو يعزلونه إذا اجتمعوا على ذلك. وفيهم أنشد علقمة ذو جدن:

كانت لَجَمِير أملاك ثمانية كانوا ملوكاً وكانوا خير أقوال

وأقوال هنا: جمع قيل، وهو الأمير.

وأما التتابة: فهم من نسب الهميسع بن جَمِير، وتشمل القائمة ١٤ تُبَعاً حكموا اليمن بأكملها، ومعظم جزيرة العرب. وبالغ الإخباريون فجعلوهم حكاماً للدنيا من الصين إلى المغرب. وادّعوا أن تُبَع الأقرن هو نفسه ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرآن، وقد حكم تُبَع الأقرن من سنة ٣٠٠ إلى ٣٢٠ بعد

الميلاد. وزعموا أن ابنه عمرو المشهور بتبّع الأكبر جعل حامية من العرب في التبت... ثم ظهر أشهر التبابعة أبكرب أسعد الكامل (٣٨٥-٤١٥)، وهو الذي كسا الكعبة ونحر عندها، وحارب أهل يثرب ثم صالحهم، وأخذ معه حبران من أحبار اليهود فتهوّد ونشر اليهودية في حِمير واليمن، بعد أن اندثرت اليهودية من عهد ملكة سبأ في القرن العاشر قبل الميلاد، والتي أسلمت مع سليمان عليه السلام، كما حكاها القرآن الكريم في سورة النمل. وسيأتي الكلام عن التبابعة في فصل خاص. ويطون الهميسع كثيرة، منها الأصابع (بلاد الصبيحة ولحج)، والمعافر (منطقة الحُجرية بالقرب من تعز)، والكلاع، والشراعب، ويحصب، ورُعين^(١). والمعافر هو بن يعفر بن الحارث بن مرة بن أدد بن الهميسع بن حِمير، ومدينتهم القديمة جبا. واشتهرت الثياب المعافرية وعاصمتها اليوم مدينة صغيرة تدعى تربه.

ومن ولد الهميسع حِمير الأصغر، وهو حِمير بن الغوث بن سعد، وصل نسبه إلى الهميسع، وإلى حِمير الأصغر ينسب مخلاف حِمير في بلاد أنس، ومخلاف حِمير الوسط من ناحية عتمه، وعزلة حِمير من مخلاف نقذ في وصاب العالي.

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، عن علي وأبو بكر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أقبلت حِمير تحمل أولادها ومعها نسائها، نصر الله المسلمين وخذل المشركين». وفي رواية: فهم مني وأنا منهم.

وعنه ﷺ أنه قال: حِمير أفواهم سلام، وأيديهم طعام، أهل أمن وإيمان (في الدر المكنون عن أبي هريرة)... وسيأتي فضل أهل اليمن وقبائلها في فصل خاص. وقال ﷺ لأبي سفيان عندما لعن الثياب المعافرية ومن يعملها: «لا تلعنهم فإنهم مني وأنا منهم» أخرجه الطبراني وأحمد.

(١) محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق وتصحيح: إسماعيل بن علي الأكوخ، مشروع الكتاب، وزارة الإعلام والثقافة، الجمهورية العربية اليمنية، صنعاء ١٩٨٤، ج ١ / ٢٨٢-٢٩٨.

ومن ملوك الطوائف في الأندلس ابن باديس وأولاده، نسبوا إلى جَمَيْر الأصغر من سبأ الأصغر. ومن المعافر الملك منصور أبو عامر محمد بن عبد الله المعافري المتوفى سنة ٣٩٩هـ في الأندلس، غزا الإفرنج ٦٥ غزوة لم تنكسر له منها راية. ومن قبائل جَمَيْر يافع وأبين وحراز ووصاب والسحول والتراخم وحُفاش وملحان^(٢)، ومن ينتسب إلى جَمَيْر قبائل سيبان في حضرموت وهم عكبري، وحسني وسومحي، وحامدي، وأهل الكور، الخامعة والمراشدة، والقُثَم، والحالكة، وآل باخشوين، ومساكن سيبان دوعن وحويرة ونواحيها ووادي العرش. وأما نُوح فهو اسم جامع لسيبان ومنهم قبائل كثيرة مثل البارشيد وباجبير وبابطين والباحكيم والباحميش.

وسرو جَمَيْر وهو جبال يافع كلها وأوديتها، وهي قبائل عدة. ومن جَمَيْر وادي حضر الذي فيه محجة عدن إلى صنعاء، ووادي شرعة والحنكة وغيرها. والصدف والأيزون من البطون المهمة لِحَمَيْر، وبتون جعدة وبتون رعين ودثينة وأحور وأبين وردمان ورداع وذمار ويحان، والهجر ومرخة ويشبم وهو وادي عظيم للأيزون من جَمَيْر. ولحج ووادي تبين ومخلاف شبوه ومخلاف المعافر. ومن الهميسع يافع وهم بطون كثيرة، وسبأ الأصغر، ومنه آل الكرندي ملوك المعافر (وهي منطقة الحجرية اليوم) وأصحاب حصن الدُمْلُوة. ومن سبأ الأصغر أيضاً آل ذي يهر في جبل حضور. ومن الهميسع التباعيون والسحول ووحاظة وبعدان، وكثير من قبائل حضرموت وجنوب اليمن.

٢- الفرع الثاني وهو مالك أبو قضاة، وإلى قضاة تنتمي خولان. وهم خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة في بلاد صعدة، وشرق صنعاء، وهم

(٢) المصدر السابق.

خولان العالية، ومنهم أبو مسلم الخولاني من كبار التابعين وله كرامات كثيرة. وقد قال شاعر خولان العالية:

أيها السائل عن أنسابنا نحن خولان بن عمرو بن قضاة
نحن من حمير في ذروتها ولنا المرباع فيها والرباعة

والمرباع هو ربيع الغنيمة كان يأخذه في الجاهلية رئيس القوم هو وفرع قبيلته. ومن قضاة مهرة بن حيدان. وهم قبائل المهرة موجودون إلى اليوم في منطقة المهرة شرق حضرموت، وكانوا حكموا ساحل حضرموت كله المعروف بالشحر، ثم دفعتهم القبائل الأخرى، فافتصروا على منطقة المهرة وظفار الجبوظي (من عمان اليوم) وجزيرة سقطرة.

ومن قضاة أيضاً سحار ورزاح وبنو متبّه والصيعر. ومن حمير قبائل الأصابع (الصبيحة) ومنهم الإمام مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة وصاحب المذهب المنسوب إليه.

عدنانيون في اليمن

وقد سكن اليمن مجموعات عدنانية من أشهرها آل البيت المنتسبون إلى الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة. ففي حضرموت آل باعلوي من ذرية السيد أحمد ابن عيسى المهاجر، وهو حفيد علي العريضي المدفون في المدينة المنورة، ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. وفي المناطق الشمالية أولاد الإمام المهدي يحيى بن الحسين، وهم حسنيون، ومنهم السادة آل الكبسي، والسادة أولاد محمد بن القاسم الرسي والسادة آل الوزير.. والسادة الأهادلية، وبنو القديمي، وهم في تهامة من نسل الإمام موسى الكاظم، والسادة آل أبو نمي في تهامة، وأبو عريش، والسادة الأدارسة في صبية وعسير. ومنهم العباسيون، ومنهم آل باوزير في حضرموت، ومنهم من ينتسب إلى أبي بكر الصديق كآل العمودي والباعشن... إلخ.

الفصل الثالث

قوم عاد وهود عليهما السلام

ذكر القرآن الكريم قوم عاد في سور عديدة من الذكر الحكيم... وهي قبيلة شديدة البأس عاشت بعد زمن نوح مباشرة، ونبئهم هو هود عليه السلام. وقد ذكر أهل التفسير والتواريخ نسباً لهود عليه السلام ولقبيلته عاد. وهود عليه السلام هو ابن عابر بن شالخ ابن أوفخشذ بن سام بن نوح، وذكروا أنساباً أخرى مما يقلل قيمة هذا النسب وصدقته. وقبيلة عاد تنسب إلى عاد بن عوص بن سام بن نوح، وكانوا يسكنون الأحقاف. وقد أوضح القرآن الكريم أن عاداً خلفوا قوم نوح، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (الأعراف: ٦٩). وقد جعلهم الله أشدَّ أهل زمانهم وأكثرهم قوةً وبطشاً فاستكبروا وطمغوا في البلاد طغياناً كبيراً، فأخذهم الله بذنوبهم... وكفروا بالله وعبدوا الأوثان وسخروا من هثود عليه السلام والذين آمنوا معه.

ولا يوجد ذكر لقوم عاد في أسفار التوراة والعهد القديم الموجودة بين أيدي الناس اليوم، كما أن المؤرخين القدامى من اليونان والرومان لم يذكروها وعلم الآثار (Archeology) وعلم النقوش (Epigraphy) لم يكتشف شيئاً عن هذه الأمة العظيمة في بأسها وقوتها وجبروتها وتمردتها^(١).

ولهذا نجد في دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين الغربيين، تشكُّكهم وحيرتهم في هذه الأمة، وإليك نص ما جاء فيها^(٢): «أما مسألة هل وجدت حقاً أمة تُسمى عاد، وفي أي مكان عاشت فلا تزال بلا حلٍّ. وأنساب قوم عاد التي قال بها العرب لا قيمة لها بطبيعة الحال. وكذلك قولهم بأن هؤلاء القوم كانوا ينزلون الصحراء البلقع بين عمان وحضرموت، والقول بأن إرم (بكسر الألف) هي أرم (بفتحها) الذي أخذ به العرب وعدد من العلماء المحدثين بعيد

(١) هناك اكتشافات حديثة عن قوم عاد سيأتي ذكرها في آخر هذا الفصل.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية لمجموعة من المستشرقين، ترجمة أحمد الشنتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، مادة عاد، ج ١٥/٤٥٢ - ٤٥٤.

الاحتمال... وقد زعم Loth بأن عاداً هي القبيلة المعروفة بإبادا!! على أن سبرنجر Sprenger كان يفتش عن عاد بين الأوديين Oadites الذين كانوا في رواية بطليموس يسكنون في الشمال الغربي من جزيرة العرب. ويذكرنا هذا بعين إرم في الحسمة (التي يذكرها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب).

«وقد كشفت أعمال التنقيب في المعبد النبطي الذي يرجع إلى القرن الثاني الميلادي في جبل رمّ على مسيرة ٢٥ ميلاً شرق العقبة عن نقوش نبطية تحمل اسم المكان أرم. وقد ربط سافيناك Savignac بين هذا المكان وإرم على نحو منطقي... و(رمّ) يمكن أيضاً أن تكون (إرم) التي ذكرها الهمداني، و(أرموه) التي ذكرها بطليموس. ويرى فلهاوزن أن كلمة (عاد) يقصد بها الزمن القديم، وبالتالي فإن عاد اسم جنس، وإن هذه الأمة الأسطورية نشأت من تفسير خاطئ لهذا التعبير».

إرم ذات العمد

وفي موقع آخر من دائرة المعارف الإسلامية مادة (إرم) ^(٣) جاء فيها إن إرم اسم شخص أو قبيلة يحتمل في سلسلة نسب البشر المعروفة في الإسلام نفس المكانة التي يحتلها أرم في سلسلة النسب الواردة في الكتاب المقدس. نلاحظ ذلك من سلسلة النسب الإسلامية: عوص بن إرم بن سام بن نوح مع سلسلة النسب في الكتاب المقدس وهي عوص بن أرم بن سام بن نوح.

ثم يتحدث هؤلاء المستشرقون عن «إرم ذات العمد» ^(٤) موضحاً قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ (الفجر: ٦-٨). ونقلوا عن ياقوت الحموي أن ذات العمد صفة لدمشق كما نقلوا عن المسعودي (مروج الذهب ج ٢/ ٤٢١) أن شداد بن عاد بنى مدينة تماثل إرم موضع الإسكندرية. وأن الإسكندر المقدوني لما بنى الإسكندرية وجد فيها آثار

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة إرم ج ١/ ٦٣٢.

(٤) المصدر السابق ج ١/ ٦٣٣-٦٤٣.

بناء عظيم ذي عمُد كثيرة من الرخام، وعلى أحدها نقش اسم شداد بن عاد، وأنه شيد هذه المدينة على مثال إرم ذات العمداء... وقد أخذ بمثل هذا القول الطبري في تفسيره، وأن إرم هي عين الإسكندرية، بناها شداد بن عاد على مثال مدينة إرم ذات العمداء القريبة من عدن (ميناء اليمن المشهور منذ أقدم الأزمنة)... وقد ذكر الهمداني جبلاً وبثراً يعرفان بنفس الاسم (إرم) في جنوب بلاد العرب. ويرى المستشرق لوث Loth أن «هناك صلة بين إرم (الموجودة في الأحقاف) وبين الآراميين الموجودين في الشام شمال الجزيرة العربية». [انتهى من دائرة المعارف الإسلامية باختصار].

وواضح التخبط في معرفة قوم عاد. من هم؟ وأين سكنوا؟ ومتى عاشوا؟. والقول بأنهم من الآراميين الذين سكنوا الشام بعيد لأن القرآن حدد موقعهم في الأحقاف. والأحقاف كما سنستعرضه رمال أو جبال من رمال ما بين حضرموت وعمان، وقد عرفت حضرموت لاحقاً باسم الأحقاف. كذلك يبدو القول بأن عاد هم من الأوديين بعيد أيضاً، وزمنهم قريب من زمن بطليموس، وهم بعد قوم عاد الذين خلفوا قوم نوح بأزمان طويلة. وكذلك فإن الأوديين في الشمال الغربي من جزيرة العرب وعاد في جنوبها.

والزعم بأن شداد بن عاد بنى مدينة الإسكندرية، ثم بناها بعدما اندثرت، الإسكندر المقدوني زعم بلا دليل. وقوم عاد كانوا في الأحقاف ما بين حضرموت وعمان، وامتدوا في الساحل الجنوبي الذي كان يعرف باسم الشحر حتى وصلوا عدن. وهناك منطقة معروفة باسم العمداء شمال عدن موجودة إلى اليوم^(٥). ويقول

(٥) العمداء: قرية صغيرة في مسار وادي لحج شمال شرق دار سعد والشيخ عثمان من مدينة عدن. ويبدأ وادي لحج (وادي تبن) من المرتفعات الشمالية في اليمن. ويتحد مع وادي ورزان فوق «العند» ليكون الوادي الأعظم. ثم يفرع إلى فرعين تحت قرية الزابدة، شمال الخوطة (عاصمة محافظة لحج). والفرع الأصغر يعرف بوادي لزان ويمر بالعمداء قبل أن يصب في ساحل أبين عند زيادة الماء، أو التحول إلى بحر عدن عند شدة الفيضان. والوادي الكبير يصب في بحر عدن بالقرب من الحسوة (ما بين عدن والبريقة). ولعل هذه القرية كانت مقر إرم ذات العمداء ولربما كانت تحت أنقاضها مدينة عظيمة، وللأسف لم تجر أي أبحاث اركيولوجية في هذا الصدد. (انظر عبد الله محيرز: العقبة، إصدار وزارة الثقافة الجمهورية اليمنية ص ٨٧-٩٢).

المؤرخون والإخباريون أن شداد بن عاد بنى هناك مدينة عظيمة لم يسمع الناس بمثلها... وهي المشهورة باسم «إرم ذات العماد» وإرم هم القوم أو القبيلة التي بنت هذه المدينة الأسطورية التي يبالغ في وصفها الإخباريون حتى أن ابن كثير في تفسيره وفي كتابه قصص الأنبياء انتقدهم وقال ما نصه: «ومن زعم أن أرم مدينة من ذهب وفضة، وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ، وقال ما لا دليل عليه»^(٦). وكذلك اعتبر ابن خلدون أن وصف مدينة إرم ذات العماد وصف خيالي أسطوري. ولعل الواقع هو أن هؤلاء القوم العتاة الأشداء بنوا مدينة عظيمة شمال عدن فيما يعرف اليوم باسم العماد، أو في مكان ما بالأحقاف بين حضرموت وعمان والربع الخالي. ولكن الإخباريين بالغوا في وصفها ومدحها مبالغة غير محمودة حتى جعلوها مثل الأساطير.

زمن قوم عاد

والخلاصة أن المستشرقين الذين كتبوا مادة «عاد» و«إرم ذات العماد» في دائرة المعارف الإسلامية تحبّطوا في معرفتهم لهذه الأمة الشديدة البأس المتغترسة والمتجربة، والذين عبدوا الأوثان وأذوا نبيهم هود عليه السلام، ولم يتعظوا بما وقع لقوم نوح عليه السلام من العذاب، واستهزؤوا بنبيهم هود، وسخروا منه، وطلبوا منه أن يستعجل عليهم وقوع العذاب، فأبادهم الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ (الحاقة: ٦ - ٧)، كما حكاه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ونجد في الموسوعة العربية العالمية تهرباً من ذكر قوم عاد والحديث عن أرم، وقد أحال المشرفون على الموسوعة القارئ على مادة هود^(٧). وفيها ما يلي: «وفي القرآن ما يشير إلى أن هناك عاداً الأولى وعاداً الثانية، وأن عاداً الأولى إنما هم عاد

(٦) أبو الفدا إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، دار القلم، بيروت ص ١٠٢.

(٧) الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية ١٩٩٩، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع

إرم الذين كانوا يسكنون الخيام، وأن عاداً الثانية هم سكان اليمن من قحطان وسبأ (وهو قول يحتاج إلى تدقيق لأن بعضهم قد جعل قوم ثمود هم عاداً الثانية)... وتحديد العصر الذي عاش فيه قوم عاد بالغ الصعوبة، إذ ليس في القرآن الكريم أو في السنة المطهرة ما يفيد بتحديد تاريخ وجودهم، كما لا يوجد دليل من الآثار، ولا من الوثائق التاريخية يمكن الاعتماد عليه في هذا الصدد... وهذا حق ولكن قد ورد في القرآن الكريم أنهم خلفوا قوم نوح وسبقوا قوم ثمود وإبراهيم وأبناءه والفراعنة وموسى ~~عليه السلام~~... إلخ.

ثم قالت الموسوعة: «وهناك رأي يقول: إن عاداً سكنت ديار مصر وبابل سنة ٢٠٠٠ ق.م. وقد عرفوا حينئذ بالهكسوس (ملوك الرعاة)»^(٨). وهذا القول غير صحيح لأن الهكسوس هم من العماليق أو العرب البائدة الذين سكنوا الشام وباديتهم وهجموا على مصر واحتلوها وبقوا فيها زمناً ثم طردهم منها المصريون. ويقال إنهم كانوا موجودين في مصر في زمن يوسف عليه السلام، ثم طردوا منها قبل زمن فرعون موسى (رئيس الثاني)، ولذا كان الاضطهاد شديداً على بني إسرائيل ومجموعة من بقي من هؤلاء الهكسوس، على اعتبار أن بني إسرائيل جاؤوا في زمن الهكسوس وتعاونوا معهم، بل وشاركوا في الحكم.

وتقول الموسوعة: «كما أن من المحتمل - حسب هذا الرأي أيضاً - أن تكون قبيلة عاد قد عاشت قبل عام ٣٠٠٠ ق.م. وهذا يؤيد الرأي القائل بأن الساميين الأوائل ليسوا إلا قوم عاد. وأن عاد إرم قد أخذت في الظهور منذ سنة ٢٢٠٠ ق.م. وعاشت في اليمن وحضرموت، وانتشرت بين سواحل الخليج العربي، وحدود أرض الجزيرة»^(٩).

(٨) المصدر السابق.

(٩) المصدر السابق.

وهذا القول أقرب للحق - كما يبدو - إلا أن تحديد المدة أمر في منتهى الصعوبة، وخاصة أن القرآن الكريم يعتبرهم أقدم الأمم، وأنهم خلفوا قوم نوح، وبالتالي فإننا لا نعرف متى كانوا موجودين، وإن كان الأمر قديماً جداً أي أقدم من سنة ثلاثة آلاف قبل الميلاد أو ٢٢٠٠ ق.م.

مساكن قوم عاد

الأحقاف وقبر هود عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢١-٢٥). وقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة كاملة باسم سورة الأحقاف وذكر فيها قصة قوم عاد الذين سكنوا الأحقاف. فأين هي الأحقاف؟

جاء في معجم البلدان لياقوت^(١): «الأحقاف: جمع حَقْف من الرمل: والعرب تسمي الرمل المعوج حَقَافاً وأحقافاً. واحقوقف الهلال والرمل إذا اعوج. «والأحقاف المذكورة في الكتاب العزيز وإد بين عُمان وأرض مهرة... عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه: رمل فيما بين عمان وحضرموت وقاله ابن إسحاق أيضاً. وقال قتادة: الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر^(١) من أرض اليمن.

(١٠) معجم البلدان لياقوت الحموي ج ١/ ١١٥.

(١١) الشحر يطلق على كل ساحل حضرموت وهو الساحل المطل على بحر العرب والمحيط الهندي. وقد عرفت مدينة باسم الشحر وهي موجودة إلى اليوم شرق المكلا. وفي العصور القريبة الماضية أصبح اسم الشحر مقتصراً على المدينة. ولها تاريخ مجيد في مقاومة الغزو البرتغالي.

«والصحيح ما رويناه عن ابن عباس وابن إسحاق وقتادة: أنها رمال بأرض اليمن، كانت عاد تنزلها. ويشهد بصحة ذلك ما رواه أبو المنذر هشام عن أبي يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأبلي عن الأصبع بن نباتة (ورواه أيضاً عبد الملك بن هشام في تيجانه بألفاظ متقاربة) قال ابن نباتة: كنا جلوساً عند علي بن أبي طالب ذات يوم في خلافة أبي بكر الصديق إذ أقبل رجل من حضرموت لم أر قط رجلاً أنكر منه، فاستشرفه الناس، وراعهم منظره، وأقبل مسرعاً جواداً حتى وقف علينا، وسلّم وجثا، وكلم أذن القوم منه مجلساً، وقال: من عميدكم؟ فأشاروا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، وقالوا: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعالم الناس والمأخوذ عنه فقام وقال:

اسمع كلامي هداك الله من هادي

وافرج بعلمك عن ذي غلّة صادٍ

جاء التنائف^(١٢) من وادي سُكّاك^(١٣) إلى

ذات الأماحل في بطحاء أجياد^(١٤)

تلفه الدمنة البوغاء^(١٥)، معتمداً

إلى السدادِ وتعليماً بإرشادِ

سمعت بالدين دين الحقّ جاء به

محمّداً وهو قرّم^(١٦) الحاضر البادي

(١٢) التنائف: الفلوات والصحارى.

(١٣) وادي السكاك: موضع باليمن من أرض حضرموت.

(١٤) بطحاء أجياد: مكة المكرمة.

(١٥) الدمنة البوغاء: التربة الرخوة.

(١٦) القرّم: السيد.

فجئت منتقلاً عن دين باغية
ومن عبادة أوثان وأنداد
ومن ذبائح أعياد مضللة
نسيكها غائب ذو لوثة عاد^(١٧)
فادلل على القصد واجل الرب عن خلدي
بشريعة ذات إيضاح وإرشاد^(١٨)
والمم هداك الله من شعبي
ثم اهديني إنك المشهور في النادي^(١٩)
إن الهداية للإسلام شافية
من العمى، والتقى من خير أزواد^(٢٠)
وليس يفرج ريب الكفر عن خلد
أضله الجهل إلا حية الوادي^(٢١)

(١٧) ينعي الشاعر هاهنا على الذبائح التي تقوم للأوثان والطواغيت التي يعملون لها أعياداً. ومقدم

هذه النسيكة (النسك، الذبيح) ذو لوثة ومس في عقله وحمق كالمجنون الذي فقد عقله ورشده.

(١٨) يطلب الشاعر من الإمام علي أن يجلو الريب والشك ويذهب عن خلده وعقله وقلبه وأن يكون ذلك بسرعة ليتم له رشده.

(١٩) ويطلب الشاعر من الإمام أن يلمّ شعته الذي تفرق بسبب الكفر وعبادة الأوثان وأديان الضلال، ويجمعها على دين الحق والتوحيد.

(٢٠) ويعلن الشاعر أن الإسلام هو الشافي من العمى وأن التقى هو خير الزاد.

(٢١) ثم يذكر في البيت الأخير أن من يصرّ على الكفر والضلال بعد الهدى إنسان أضله الجهل والعناد والكبر وليس له من دواء إلا حية الوادي تقضي عليه وتريح البشر من شره.

قال: فأعجب علياً عليه السلام والجلساء شعره. وقال له علي عليه السلام: لله درك من رجل، ما أرقَّ شعرك. ممن أنت؟ قال: من حضرموت، فُسِّرَ به عليّ، وشرح له الإسلام، فأسلم على يديه. ثم أتى به إلى أبي بكر عليه السلام فأسمعه الشعر فأعجبه. ثم إن علياً عليه السلام، سأله ذات يوم ونحن مجتمعون للحديث: أعلم أنت بحضرموت؟ قال: إذا جهلتها لم أعرف غيرها. قال له علي عليه السلام: أتعرف الأحقاف؟ قال الرجل: كأنك تسأل عن قبر هود عليه السلام. قال علي عليه السلام: لله درك ما أخطأت. قال: نعم، خرجت وأنا في عنفوان شبابي في أغيلمة من الحبي ونحن نريد أن نأتي قبره لبعده صيته فينا، وكثرة من يذكره منا، فسرنا في بلاد الأحقاف أياماً. ومعنا رجل قد عرف الموضع، فانتبهنا إلى كتيب أحمر، فيه كهوف كثيرة، فمضى بنا الرجل إلى كهفٍ منها، فدخلناه فأمعنا فيه طويلاً، فانتبهنا إلى حجرين قد أطبق أحدهما دون الآخر، وفيه خلل (أي فجوة) يدخل منه الرجل النحيف متجانفاً (أي مائلاً) فدخلته، فرأيت رجلاً على سرير شديد الأدمة (أي السمرة) طويل الوجه، كثَّ اللحية، وقد يبس على سرير، فإذ مسستُ شيئاً من بدنه أصبته صلباً لم يتغير، ورأيت عند رأسه كتاباً بالعربية: «أنا هود النبي الذي أسفنتُ على عاد بكفرها، وما كان لأمر الله من مرّة». فقال لنا علي بن أبي طالب عليه السلام: «كذلك سمعته من أبي القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال محمد بن علي باحنان في كتابه «جواهر تاريخ الأحقاف»^(٢٢) عند ذكره للأحقاف: «ونلخص فيه من تفسير العلماء ثلاثة أقوال: فقال بعضهم أنه الرمل المعوج، وقال فريق: إنه الجبل، وآخرون: إنه الوادي الشهير بوادي حضرموت. وكلّ محتمل لأن عاداً سكنتها جميعاً. وأحسن الاحتمالات والصواب: الثاني والثالث.

«قال البيضاوي (في تفسيره): إنهم (يعني عاداً) يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن (والشحر كما أسلفنا كل ساحل حضرموت). وقال آخرون ومنهم ابن كثير وعكرمة: الأحقاف: الجبل والغار. وقال علي عليه السلام: الأحقاف وإد بحضرموت يُدعى برهوت، تلقى فيه أرواح الكفار.

(٢٢) محمد علي باحنان: جواهر تاريخ الأحقاف ص ٢-٤.

«وقال ابن جرير: عن الضحاك أنه قال جبل يُسمى الأحقاف».

وقد ذكر الصابوني في كتابه النبوة والأنبياء «أن مساكن عاد في الأحقاف شمال حضرموت من جنوب شبه جزيرة العرب. وفي شمالها الربع الخالي وفي شرقها عمان، وموضع بلادهم اليوم رمال ليس بها أنيس ولا سمير بعد ذلك العمران والنعيم»^(٢٣).

وقال السيد محمد أحمد الشاطري في كتابه «أدوار التاريخ الحضرمي»^(٢٤) عن قوم عاد أنهم شعب سامي من بعد قوم نوح، أقوياء الأجسام شديدو البطش، كانوا يسكنون الأحقاف ما بين اليمن وعمان. وكانوا قبائل متعددة. وقد أرسل الله لهم أخاهم هوداً ليرشدهم إلى طريق الهدى ولكنهم أبوا وتمادوا في عبادة الأصنام... فكان عاقبة العصاة الهلاك.

«وقد مات هود بحضرموت، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحله المعروف (أي بحضرموت) وكانت تقوم سوق سنوية في الجاهلية، في شعبان في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت بالقرب من برهوت الشهيرة، وهي كما وصفها بعض المستشرقين كهف عظيم عميق مظلم ذو تعاريج وتقاطيع يبلغ طوله ١٢٠ قدماً وعرضه ٤٥٠ قدماً وعمقه ٦٠٠ قدم.

«ويتردد الحضارمة إلى الموضع الذي اشتهر بوجود قبر نبي الله هود، وأصبح متواتراً... ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة، وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت. وتحدّد موضع القبر وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر، ولكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة، أما بقية العام فتبقى بيوتها خاوية وهي بذلك تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية (تسكن أيام الحج والتشريق بكثافة... ولكنها يبقى فيها بعض أهلها الآن)».

(٢٣) محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ط ٢، ١٩٨٠، ص ٢٢٥.

(٢٤) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي ج ١ / ٣٦.

وقد أفرد المؤرخ والشاعر السيد صالح الحامد في كتابه «تاريخ حضرموت» فصلاً عن قبر النبي هود عليه السلام^(٢٥) وذكر أنه يقع قريباً من وادي برهوت^(٢٦)، شرقي قرية (فغمة) بنحو عشرة أميال على سفح الجبل من الشعب المعروف بشعب هود. ويرفض السيد صالح الحامد الأقوال التي تدعي أن قبر هود عليه السلام بالشام أو غيرها لأن القرآن الكريم قد نصّ على أن هود عليه السلام بالأحقاف قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١)... وموضع الأحقاف بلا خلاف، شرقي حضرموت، وقد كان وادي حضرموت قديماً وحديثاً يُسمى وادي الأحقاف وهو مما أكده الهمداني في «صفة جزيرة العرب».

وقد روي عن الإمام عليّ كرم الله وجهه أن قبر هود عند الكتيب الأحمر في الأحقاف (بالقرب من بئر برهوت). وفي كتاب التيجان لابن هشام أن هوداً قبض ودفن في الأحقاف بموضع يقال له (الهنبيق) بجوار نهر الحفيف^(٢٧). وقد تواتر عند أهل حضرموت جيلاً بعد جيل قبره المعروف اليوم. وذكر الشيخ عبد الوهاب النجار أن قبر هود على نحو مرحلتين من مدينة تريم قرب وادي برهوت. وقد أثر عن عليّ كرم الله وجهه أنه مدفون في كتيب أحمر.

وقال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» أن «قبر هود عليه السلام في الكتيب الأحمر، ثم في كهف مشرف في أسفل وادي الأحقاف، وهو في وادٍ يأخذ من بلد

(٢٥) السيد صالح الحامد: تاريخ حضرموت، مكتبة الإرشاد جدة ج ١ / ٦٦ - ٦٩.

(٢٦) بئر برهوت بئر قديمة مشهورة في الجاهلية والإسلام موجودة في شرق حضرموت. يقال إنها تُلقى فيها أرواح الكفار وهي موضع بركان قديم انفجر فأهلك أهله، ونتيجة خلل في التربة والأرض تسمع أصوات تصدر منه في الليل خاصة وتظهر أضواء بسبب مواد فسفورية فيعتقد الناس أنها الجنّ وأرواح الكفار. وماؤها مائل إلى السواد منتن الرائحة (المفصل لجواد علي ج ١ / ٣١).

(٢٧) لا يزال هذا النهر موجوداً ولكن ماءه قد قلّ كثيراً. وقد ذكره العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف. وترى صورته في آخر هذا الفصل. ويغتسل فيه بعض زوّار قبر النبي هود عليه السلام.

حضر موت إلى بلدة مهرة مسيرة أيام. وأهل حضر موت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت».

وفي القرن التاسع الهجري قام الفقيه الشيخ حكيم بن عبد الله باقشير المتوفى سنة ٨٧٨هـ (أو سنة ٨٧٩هـ) بعمارة المشهد المذكور (أي مشهد القبر) وبناءه بالنورة والحجر وجعل عليه قبّة، ومهد ما حواليه من الجهة الغربية. وذلك ليقابل الزائرون وجه القبر، ثم زيدت العمارة بعد ذلك، كما قال السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس في رسالته «بذل المجهود»، وذكر أن السيد أبا بكر بن محمد بلفقيه جدّد بناء المكان بعد أن تصدع جانب من الحجرة والقبّة وذلك سنة ١٠٩٧هـ.. وتعددت بعد ذلك العمارة إلى العصر الحاضر، حيث قام السيد علوي بن عبد الله الكاف بتمهيد الدرج الذي يصل إلى القبر وبنى حول الصخرة المساة الناقية بناء من حجر وصرف على ذلك ما لا يقدر بخمسة آلاف ريال (في ذلك الوقت).

وقد ذكر اليعقوبي في «سوق الشحر» «وأنه تقوم به مهرة تحت ظل الجبل الذي عليه قبر هود عليه السلام». وفي القرن السابع في عهد الشيخ عبد الله باعباد القديم، كان للزيارة موسم يذهبون فيه مع الشيخ عبد الله، وذلك بعد فراغ الناس من أشغال التمر وتعبته لا على الأشهر القمرية.

وأول من جعل موسم الزيارة على الشهر القمري من المتأخرين^(٢٨) هو الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي المتوفى سنة ٩٩٢هـ جعلها في شعبان، ويقام هو هناك من الليلة الحادية عشرة منه ويجتمع الناس، وتكون الليلة العامة ليلة النصف من شعبان، وتكثر في تلك الأيام والليالي الدعوات وقراءة القرآن والابتهالات والدعوة إلى الله. ويقال إن أول من رتب الزيارة على هذا الشكل هو السيد شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن المشهور. القول الأول (أي أن الشيخ أبو بكر بن سالم هو الذي رتبها) هو «الأشهر والأظهر».

(٢٨) وقد ورد أنه مكان سوق في الجاهلية قبل الإسلام في شهر شعبان بالقرب من قبر النبي هود عليه السلام.

وقد ذكر ابن كثير في قصص الأنبياء، أن عاداً كانوا عرباً يسكنون الأحقاف، وهي جبال الرمل، وكانت باليمن بين عمان وحضرموت وبأرض مطلة على البحر يقال لها الشحر، واسم وادهم مغيث وفي صحيح ابن حبان عن أبي ذر الذي ذكر فيها الأنبياء والمرسلين قال فيه: «منهم أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ونيك يا أبا ذر». قالوا إن هوداً عليه السلام هو أول من تكلم العربية. وقال وهب بن منبه إن أباه أول من تكلم بها... وقالوا: بل هي لغة آدم عليه السلام.

قصة قوم عاد

ذكر الله قصة قوم عاد وإرسال نبي الله هود إليهم وكيف كذبوه وعصوه وكيف اغتروا بقوتهم وجبروتهم مما أدى إلى أن يهلكهم الله بريح صرصر عاتية. وقد جاءت قصة قوم عاد مكررة في القرآن الكريم. وفي كل مرة يظهر مقطع جديد وصفات خاصة لهؤلاء القوم الأشداء العتاة البغاة... كما يكون التركيز أحياناً على صبر نبي الله هود على أذاهم وتكذيبهم... وفي آيات أخرى يتم إظهار فحوى دعوة هود عليه السلام، وهي دعوة التوحيد التي جاء بها الرسل جميعاً منذ عهد آدم عليه إلى السلام إلى عهد خاتمهم محمد عليه السلام... وفي آيات أخرى يذكر ما تميّز به هؤلاء القوم من قوة وبطش وقدرات على البناء الباذخ... وفي أخرى تأتي تفاصيل العذاب.

ونحن بإذن الله نلخص ذلك كله مما ورد في قصص الأنبياء لابن كثير، وتاريخ الأنبياء للشيخ محمد الطيب النجار، والنبوة والأنبياء للشيخ محمد علي الصابوني، ومما جاء في كتب التفسير.

من هم قوم عاد؟ ومتى عاشوا؟

إنهم أمة قديمة ظهرت بعد قوم نوح قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ (الأعراف: ٦٩). فهم قوم ظهوروا بعد هلاك قوم نوح بزمن لأن نذري مدهاء، بعد أن انحرف من بقي من ذرية نوح عليه السلام عن طريق الحق وعبدوا الأوثان، بعد أن كانوا موحدين، تماماً كما أغرقت ذرية

آدم ﷺ بعد أجيال وأجيال نشأت على التوحيد (قبل عشرة أجيال)، ثم انحرفوا وعبدوا الأوثان وعملوا الشر، فأرسل الله إليهم نبيّه نوح ﷺ فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، لم يؤمن فيها من قومه إلا قليل (قبل ٨٠ شخصاً فقط)، فأغرق الله الباقين لكفرهم وعنادهم وتجرّبهم.

وقوم عاد هم من نسل سام بن نوح، واختلف أهل التاريخ في هذا النسب كما هو معتاد في مثل هذه الحالات. وأكثر المؤرخين على أنه عاد بن عوص بن سام بن نوح، وبعضهم يقول: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح... ويجعلون لهود ﷺ نسباً ثم يختلفون فيه... وهو أمر متوقع فليس في ذلك النسب ما يمكن أن يعتمد عليه والاختلاف في ذلك أمر طبيعي ومتوقع حيث لا دليل من آية من كتاب الله ولا حديث من أحاديث رسول الله ﷺ. ويقولون إن هود ﷺ هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. وإن قحطان جد اليمنيين هو أحد أبناء عابر (أي هود) ﷺ.

مساكن قوم عاد

لقد سكنوا الأحقاف كما أسلفنا. والأحقاف بين عمان وحضرموت وهي أرض رملية. وامتد ملكهم في جنوب الجزيرة العربية...، وبنوا مدينة العماد التي جاء ذكرها في القرآن (إرم ذات العماد). ولعلّها القرية الصغيرة الموجودة شمال شرق مدينة عدن على الفرع الأصغر (الشرقي) لوادي لحج والمعروفة باسم العماد... وليس هذا أمراً مؤكداً إذ لا توجد أبحاث أركيولوجية (علم الآثار) ولا إيقرافيه (علم النقوش) تدل على ذلك^(٢٩)... ويحتاج الأمر إلى أبحاث مكثفة وعميقة في هذا الصدد، كما لا توجد أي دلالة من القرآن الكريم أو السنة النبوية أو أي أثر عن الصحابة والتابعين يدل على مكانها.

(٢٩) توجد أبحاث حديثة تدل على أن قوم عاد سكنوا الأحقاف وبالذات في منطقة ظفار وهي محافظة في سلطنة عمان على حدود المهرة وحضرموت. وقد نشر في الأنترنت آثار هامة وترى صورها في آخر هذا الفصل. كما أنني رأيت بها قبراً طويلاً يُقال إنه قبر عابر والد هود ﷺ.

ولا جدال في أن قوم عاد سكنوا الأحقاف، فذلك ثابت في كتاب الله سبحانه وتعالى حيث سميت سورة كاملة باسم الأحقاف وفيها يقول تعالى: ﴿وَأذْكُرْ أَهْلَ عَادِ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ (الأحقاف: ٢١).
وقد أفضنا في مساكن قوم عاد وقبر هود عليه السلام، ففي ذلك غنية.

صفات قوم عاد

وصف الله سبحانه وتعالى قوم عاد بقوة أجسامهم وزيادتها عن عاصمهم وسبقهم من قوم نوح، وربما عن أتى بعدهم قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٦٩).

وما ورد في بعض التفاسير وأخبار الإخباريين من صفات أن أحدهم مثل الجبال أو يشوي الشاة عند رفعها إلى الشمس... إلخ هو من المبالغات والأساطير التي لا أساس لها من الصحة.

وكان من قوتهم أنهم استعبدوا الأمم الأخرى المجاورة وتحدثوا عن قوتهم حديث اغترار، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ (فصلت: ١٥-١٦).

وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى بأنهم يبنون بكل ريع (طريق مرتفع) آية (معمارية) ويتخذون مصانع (قصوراً ضخمة) لعلهم يخلدون. وإذا بطشوا كانوا عتاة متجبرين.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ

تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي
 أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَيْنٍ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنَّ هَذَا إِلَّا
 خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿الشعراء: ١٢٣-١٤٠﴾.

وهؤلاء القوم كانوا يعيشون في نعيم ولهم جنات وعيون ولهم أنعام وبنين...
 وهم أعظم قوة في الأرض آنذاك... وكانت لهم مهارة وقدرة على بناء الآيات
 العمرانية، ففي كل مرتفع ترى آية عمرانية، كما نراها اليوم في الحضارة الحديثة، أبنية
 فخمة لا حاجة لأحد بها للفخار وللزينة يسمونها «مجسمات جمالية». ثم إن لهم
 قصورهم الخاصة الفخمة ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾. وهم يبنون هذه
 القصور كأنهم خالدون في هذه الدنيا، قد أخذوا عهداً أن لا يختطفهم الموت... وهم
 مثل أعظم قوة في الأرض يبطشون ببطش الجبابرة لإثبات قوتهم وجبروتهم، ولنهب
 خيرات الأمم الأخرى، وإذلالهم، تماماً كما تفعل كل القوى الجبارة في الأرض إلى
 يومنا هذا حيث نرى القوة الأعظم في العالم اليوم (الولايات المتحدة الأمريكية)
 تتمثل بكل صفات قوم عاد من الطغيان، والجبروت، والبطش، وبناء الآيات
 العمرانية، والقصور الفخمة وناطحات السحاب... مع التجبر والطغيان... وأنهم
 كما يزعم كل الطغاة والجبابرة على الحق والرشاد، كما زعم فرعون لقومه ﴿مَا أُرِيكُمْ
 إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: ٢٩).

وقد وصفهم الله سبحانه وتعالى في سورة الفجر بأنهم أعظم أهل زمانهم قوة
 وحضارة ففتحوا وطمعوا فأهلكهم الله بذنوبهم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
 بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ
 بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ *
 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلٌ صَادٍ﴾ (الفجر: ٦-١٤).

وقد جمع الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات القليلات أكابر المجرمين والطغاة من الأمم المتجبرة السابقة فبدأ بقوم عاد (قوم هود عليه السلام) وذكر إرم وهو جدّهم الذي ينتسبون إليه... ذات العباد وهي الأبنية العظيمة المحكمة بالأعمدة (العمد)... وذكر المولى أنه لم يخلق مثلهم في البلاد في مثل شدّتهم وقوتهم فكانت سبباً لهلاكهم لأنهم طغوا وتجبروا وأهلكوا العباد والبلاد. ثم ذكر المولى قوم ثمود الذين عاشوا في الحجر في شمال الحجاز، وآثارها موجودة إلى اليوم في أعالي الحجاز، غرب تيماء، وجنوب تبوك. وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين و(جأبوا الصخر) أي قطعوه في واديهم، ونحتوا الجبال فجعلوها قصوراً لهم، لا تزال آثارها موجودة إلى اليوم، فكفروا وتولّوا وكذبوا نبيهم صالحاً فأخذتهم الصيحة في دارهم جاثمين. ثم ذكر المولى سبحانه وتعالى فرعون الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ (القصص: ٣٨)... والذي تجرّ وطغى بسبب ملكه العريض وجيشه العرمرم... ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ قالوا إنها أوتاد يعذب بها مخالفه، وقالوا بل هي الجيوش العظيمة التي تشدّ ملكه كما تشدّ الأوتاد بناء الخيمة العظيمة. فصبّ الله على هذه الأقوام المتجبرين الطغاة سوط عذاب. وهو إشارة إلى أنّ لدعة من عذاب الله كافية لهذه الأمم المتجبرة المغرورة. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾ يرقب أعمال العباد ويرصد أفعالهم وأفعالهم ويمجزيهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر. ولكن السياق هاهنا سياق تهديد لأعداء الله المتجبرين، فإنه يرصد أعمالهم ويمهلهم ولا يمهلمهم فلا يشعرون إلا وقد وقع العذاب عليهم فجأة فلا يستطيعون فكاًكاً ولا حراكاً.

دعوة هود عليه السلام

دعا هود عليه السلام إلى التوحيد الحق وعبادة الله وحده وترك ما كانوا عليه من عبادة الأوثان، وترك التجبر والطغيان، وأن يشكروا الله على نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى وهي نفس الدعوة التي جاء بها المرسلون صلوات ربي وسلامه عليهم. وكانوا جميعاً يجابهون بنفس الرد القبيح والاستهزاء والتكذيب، وكان عليه القوم

والملاهم الذين يرفضون دعوات الأنبياء، وكان غالب أتباع الأنبياء من الضعفاء والفقراء والمساكين مما يزيد هؤلاء القوم المتجبرين عتواً ونفوراً.

وفي سورة الأعراف قصص الله علينا دعوة نوح لقومه ثم دعوة هود ثم دعوة صالح ثم قصة لوط وشعيب وهي في جميع الأحوال قصة واحدة تبدأ بقول النبي الكريم لقومه البغاة الكفرة الطغاة ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٥٩) فيرد عليه هؤلاء المجرمين ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الأعراف: ٦٠)، ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الأعراف: ٦٦).

ولتقرأ ما ورد في سورة الأعراف هذه القصص العظيمة لتعرف موقف الأنبياء الكرام من أمهم وما هي دعوتهم وكيف ردّ عليهم الملا من قومهم... وكيف صبروا وجاهدوا حتى أتى أمر الله وانتقم من هؤلاء الطغاة البغاة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ * وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَإِنَّا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ

اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ أَعْجَابٌ لَوْلَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿الأعراف: ٥٩-٧٢﴾.

ثم تأتي قصة صالح عليه السلام مع قومه يدعوهم بنفس الدعوة الخالدة: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (الأعراف: ٧٣).

وهكذا كل نبي يأتي بنفس الدعوة التوحيدية مع الآيات والمعجزات الخاصة به، وكلهم يردُّ عليه الملائ من قومه يسخرون منه ومن أتباعه: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّي قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: ٧٥-٧٩).

وفي سورة هود استعراض كامل لقصة نوح عليه السلام ثم تأتي بعد ذلك قصة هود، ثم قصة صالح، وكلها تستعرض تلك الدعوة الكريمة من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم، وكل واحد منهم يحمل نفس الرسالة الأساسية ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ (هود: ٢٦)، فيقول الملائ الذين كفروا من قومه ﴿مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ بَلْ تَنْظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ (هود: ٢٧). ويتكرر الحوار

الهادي من هؤلاء الأنبياء الكرام مع قومهم ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ (إبراهيم: ١١)، وفي قصة هود قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَا هُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود: ٥٠-٦٠).

ويأخذ هؤلاء الأقوام سياسة السخرية من أتباع الرسل، ثم سياسة التخويف من آلهتهم ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾، فرد عليهم هود متحدياً آلهتهم ﴿قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ﴾.

وهكذا قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ، وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُكُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مُهْتَدُونَ، وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ٨٠-٨٣).

وهكذا الأمم المشركة الجاهلة تخوف أنبيائها بألهتها فيردّ عليهم الأنبياء الكرام أن لا خوف علينا من هذه الآلهة التي لا تضر ولا تنفع، بل الخوف كل الخوف عليكم من غضب الله حين تشركون به... وكما أشركوا بالله آلهة أخرى وعبدوها أنكروا اليوم الآخر والبعث قالوا: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ، وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ، إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ، قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ (المؤمنون: ٣٥-٣٩).

هلاك قوم عاد

لما تمادى قوم هود في غيهم وكفرهم وضلالهم واستهزأهم يهود الطغاة، ومن آمن معه وطلبهم العذاب، طلب هود الطغاة من ربه أن ينصره ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ (المؤمنون: ٣٩)، فاستجاب الله دعاءه ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضِجَنَّ نَادِمِينَ﴾ (المؤمنون: ٤٠).

وفي سورة الأعراف: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ (الأعراف: ٧٠-٧١)، والرجس هو الرجز وهو العذاب.

وفي سورة الأحقاف بعد أن أنذرهم هود الطغاة عذاب يوم عظيم فسحروا وقالوا: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِتُلْقِنَا عَنْ أَلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ أَن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٢-٢٥).

قال المفسرون إن الله ابتلاهم بالسنين فمكثوا ثلاث سنوات لا يمطرون فطلبوا السقيا فرأوا عارضاً في السماء فظنوه سقيا رحمة فإذا هو سقيا عذاب. ومما رواه المفسرون أنهم عندما أستوتوا بعثوا جماعة منهم إلى الحرم في مكة فمروا بمعاوية ابن بكر فاستضافهم ومكثوا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم القيان، ونسوا ما جاؤوا لأجله فنبهتهم إحدى القيان في أغنيتها فانتبهوا ودعوا لقومهم فظهرت ثلاث سحبات بيضاء وحمراء وسوداء فسمعوا منادياً للداعي يقول له: اختر لقومك. فاختار السوداء لما يظنه فيها من الماء الكثير فسمع المنادي يقول: «اخترت رماداً رمداً لا تبقي من عاد أحداً». وعلى أية حال فهذه التفاصيل من الإخباريين ليست بذات قيمة.

وقد سخَّر الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية (باردة) سبع ليالٍ وثمانية حسوماً قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحِ صُرْصِرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة: ٤-٨).

فقد تابعت عليهم هذه الريح العاتية الباردة التي كانت تنزعهم نزعاً فترميمهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، وذلك لأن الريح كانت تحمل الرجل القوي الشديد فيهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه فتشدخه فلا يبقى إلا جثة هامدة ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (الذاريات: ٤١)، لأنها لا تنتج خيراً بل هلاكاً ودماراً ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ﴾ (الذاريات: ٤٢).

وقد ثبت في الصحيحين أنه قال ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور». وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به».

وقالت: «وإذا تحيلت السماء (من المخيلة وظهور السحاب) تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدار فإذا أمطرت سُري عنه»، فسألته عائشة عن ذلك فقال لها: «لعله يا عائشة كما قال قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته. إنها كان يتسمم.. وكان إذا رأى فيها أوري عُرف ذلك في وجهه. قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيت عرفت في وجهك الكراهية؟ قال: يا عائشة: ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم نوح (لعله هود) بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا».

وهكذا أهلكت هذه الأمة المتجبرة الكافرة بريح صرصر عاتية جعلتهم كأعجاز نخل خاوية (فهل ترى لهم من باقية). وهو درس وعظة لكل الأتوام المتجبرة المتغترسة.

الاكتشافات الحديثة عن قوم عاد وإرم ذات العماد

كتب الأستاذ الدكتور زغلول النجار مقالاً هاماً في صحيفة الأهرام القاهرية (غرة شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٧ أكتوبر ٢٠٠٢م) السنة ١٢٦ - العدد ٤٢٣٠٨ بعنوان: من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن ومغزى دلالتها العلمية (٦٨): إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد.

وبعد أن استعرض الأخ العزيز تفسير الآيات الأولى من سورة الفجر (سورة رقم ٨٩) والظواهر الكونية عن الفجر والليل إذا يسر، وتحدث عن الشفع والوتر، انطلق في الحديث عن الأمم السابقة المتجبرة التي ذكرتها السورة الكريمة وكيف عاقبها المولى سبحانه وتعالى وهم قوم هود ومدينتهم إرم ذات العماد، وقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد. واستعرض أقوال المفسرين في قوم عاد، وأن إرم ذات العماد هي عطف بيان زيادة التعريف بهم، وأن العماد هي أبنية مرتفعة مبنية على العمد الضخمة أو أنها العمد الضخمة للخيام الكبيرة.

ثم تحدث عن الكشوفات الحديثة وهي كالتالي:

- في سنة ١٩٧٥ تم اكتشاف آثار لمدينة قديمة في شمال غربي سوريا هي مدينة Ebla وتم تحديد تاريخها بحوالي ٤٥٠٠ سنة مضت (٢٥٠٠ قبل الميلاد). وفي بقايا مكتبة قصر الحكم من الألواح الصلصالية (حوالي ١٥,٠٠٠ لوح) تم معرفة ما كتب فيها. وقد ذكر في بعض هذه الألواح اسم إرم (مدينة). وقد نشرت المجلة الجغرافية الأهلية (العالمية الشهرة) National Geographic Magazine مقالاً

لكاتب يدعى هوارد فاي Howard Fay في عددها الصادر ديسمبر ١٩٧٨^(٣٠) ذكر فيه عجائب وعظمة الإمبراطورية المجهولة وذكر ما ورد عن إرم.

• وتبعه في عام ١٩٧٩ اثنان من الصهاينة هما برمانت وميخائيل ويتزمان Chaim Bermant and Michael Wetzman اللذان نشر كتاباً عن مدينة إيلابا.

• في يوليو ١٩٩٠ تشكل فريق من وكالة ناسا (وكالة الفضاء الأمريكية) برئاسة شارلز إيلاكبي (Charles Elachi) وفريق من معهد الدفع النفاث برئاسة رونالد بلوم (Ronald Blom) للبحث عن إرم ذات العماد. ولكن البحث تأجل بسبب حرب الخليج.

• في يناير ١٩٩١ إلى يناير ١٩٩٨ تواصلت الأبحاث في الربع الخالي في منطقة الشيصار وتم اكتشاف قلعة مثمّنة الأضلاع سميكة الجدران بأبراج في زواياها ومقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى تسعة أمتار وقطرها ثلاثة أمتار، وربما تكون هي التي وصفها القرآن باسم إرم ذات العماد.

• في ١٧/١٢/١٩٩٢ نشرت مجلة تايم الأمريكية مقالاً بعنوان: القلعة الرملية العربية المفقودة (Arabia Lost Sand Castle) بقلم ريتشارد أوستلينج (Richard Ostling) وذكر فيه الكاتب الكشف عن إرم ذات العماد.

• في سنة ١٩٩٣ نشر بيل هاريس كتابه الحضارة المفقودة: Bill Harris: Lost Civilization وتحدث فيه عن إرم ذات العماد.

وتوالت المقالات والأبحاث وكلها تتحدث عن حضارة في جنوب الجزيرة العربية (موقعها الربع الخالي) قد طمرتها عاصفة رملية غير معهودة. وهو ما سبق أن أوضحه القرآن الكريم عن قوم عاد وإرم ذات العماد.

Howard Fay: Splendor of an Unknown Empire. National Geographic (٣٠)

.Magazine. Dec ١٩٧٨, ١٥٤, (٦: ٧٣١- ٧٥٩)

ولا شك أن المستقبل سيوضح المزيد من هذه الاكتشافات عن قوم عاد إرم ذات العماد الذين لم يذكرهم التاريخ المعروف ولا أسفار التوراة والعهد القديم، وإنما تفرد القرآن الكريم بذكرهم وما أصابهم من عقاب بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.

ويا له من عقاب لقوم قالوا من أشدّ منا قوّة.

وقد أشار شام برمانت وميخائيل وايتزمان بصراحة إلى ما ورد في القرآن الكريم وبالذات في سورة الفجر (السورة رقم ٨٩) عن قوم عاد وثمود وإرم. وأن الألواح الصلصالية المكتشفة في إبلا قد ذكرت هؤلاء الأقوام وذلك في كتابها: «إبلا: فتح في علم الآثار». Ebla: A Revelation in Archaeology وقد ذكرا أن قبيلة ثمود قد ذكرها الملك الآشوري سرجون الثاني (في إحدى لوحاته) في القرن الثامن قبل الميلاد. وأن إرم اختلف فيها المؤرخون: هل هي اسم قبيلة أو اسم مدينة؟ واعتبرا اسم عاد اسماً أسطورياً.

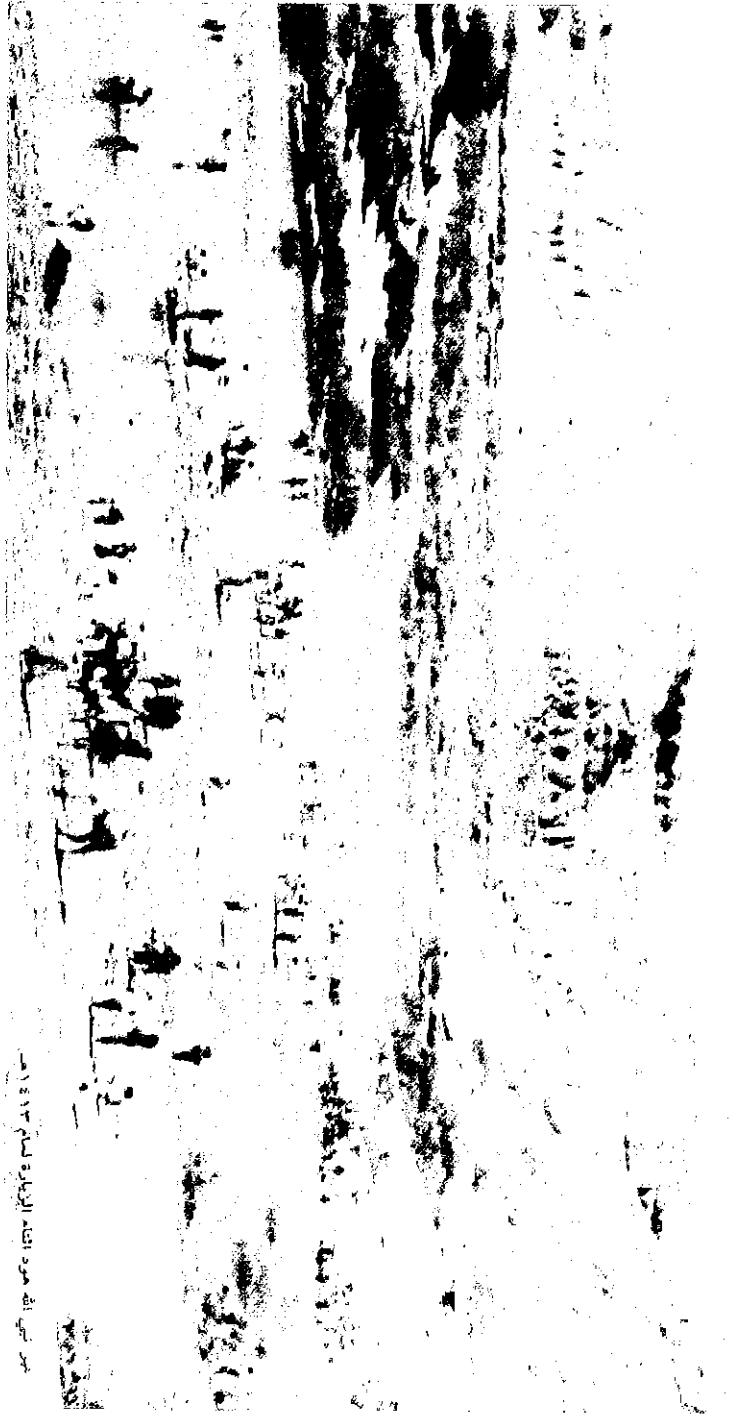
في عام ١٩٨٤ استطاع مكوك الفضاء المزود بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عدة أمتار تحت سطح الأرض (Ground Penetrating Radar) أن يكتشف العديد من المجاري المائية الجافة تحت رمال الحزام الصحراوي من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً.

وعند دراسة منطقة جنوب الجزيرة العربية بواسطة نيكلاس كلاب Nicholas Clapp تبين له وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال تملأ حوض الربع الخالي، وفيه عدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلومترات.

واجتمع الدارسون المهتمون بهذا الموضوع ومنهم الأميركي جوريس زارينز

Juris Zarins والبريطاني رانولف فينيس Ranulph Fiennes وتوصلوا إلى أن هذه الآثار هي آثار عاصمة ملك عاد التي ذكرها القرآن باسم إرم في سورة الفجر (السورة رقم ٨٩). وقام معهد كاليفورنيا للتقنية California Institute of Technology بإعداد تقرير مطول يضم نتائج هذه الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن هذه الآثار الهامة. وكان عنوان التقرير: البعثة عبر الجزيرة العربية The Trans- Arabia Expedition وتحت العنوان مباشرة الآيتان الكريمتان (السابعة والثامنة من سورة الفجر). ولا يبدو حتى الآن أن الدول العربية قد أولت هذا الموضوع ما يستحقه من الاهتمام.

وقد وضع العلامة السيد سالم بن عبد الله الشاطري كتاباً حافلاً في قبر هود عليه السلام وقوم عاد وسماه: نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود. وقد اعتنى به وأضاف الهوامش الباحثة السيد محمد حسين العيدروس. صدر الكتاب عن مكتبة تريم الحديثة ودار الإمام الغزالي بتريم حضرموت سنة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م. وفيه تفاصيل هامة عن قبر هود عليه السلام وأنه معروف منذ الجاهلية، وقد ذكر ذلك عبد الملك بن هشام الجُمَيْرِي المتوفى سنة ٢١٨هـ في كتابه «التيجان في ملوك جُمَيْر» ص ٤٥، وقال إن هود عليه السلام دفن بالأحقاف بموضع يقال له الهنيق بجوار (نهر) الحفيف)، وأن سليمان عليه السلام زار ذلك القبر. وذكره المؤرخ الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٣٤٤ في كتابه صفة جزيرة العرب. وأنه في كهف مشرف في وادي الأحقاف بين حضرموت ومهرة. وأهل حضرموت والمهرة يزورونه في كل وقت. كما ذكره أيضاً المؤرخ أبو علي المرزوقي في كتاب الأزمنة والأمكنة وأنه من أسواق العرب في الجاهلية والإسلام يقام ليلة النصف من شعبان على سفح الجبل عند قبر النبي هود عليه السلام.



نهر نبي الله محمد - منطقة الجزيرة لعام ١٩٦٣م

نهر الطفيف في الأحقاف في منطقة المينق بالقرب من قبر نبي الله محمد.

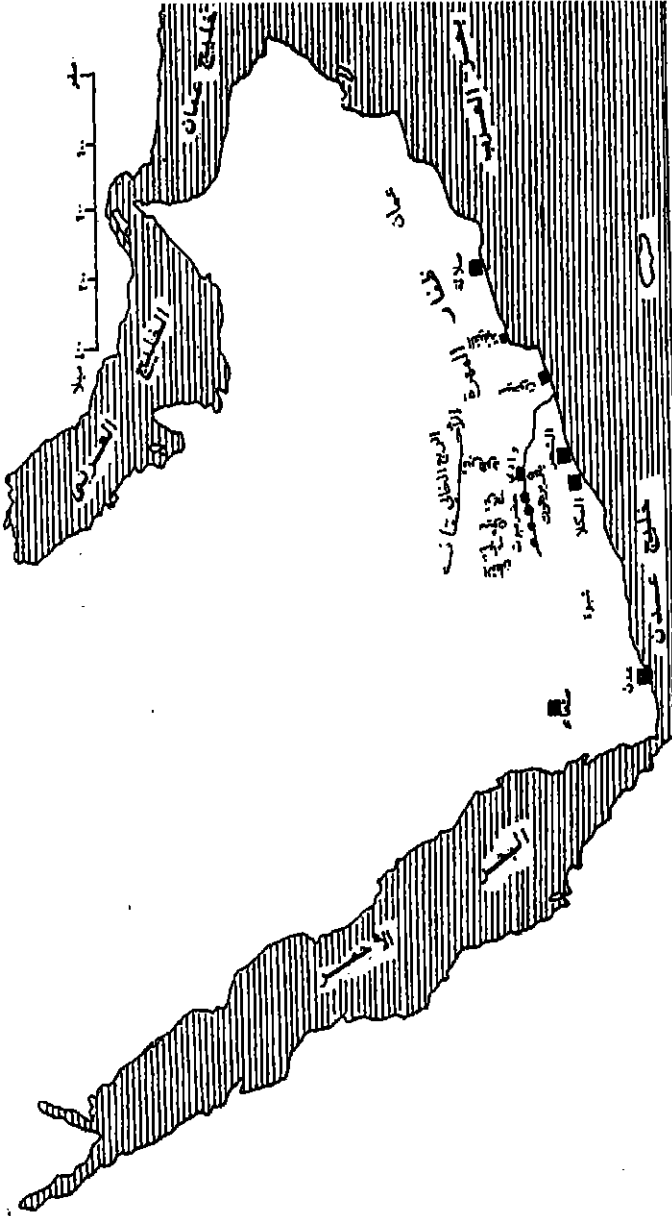
وقد كان النهر في الأزمنة السابقة أعمق وأغزر ويسقي مزارع واسعة وقد قلّ ماؤه ولم يتضرب.



شعب نبي الله هود في موضع يقال له الحقيق بجوار نهر الحقيق وبالقرب منه بئر هوت وهو كهف عميق مظلم.
الصورة من كتاب العلامة السيد سالم بن عبد الله الشاطري «نيل المقصود في مشروعية زيارة نبي الله هود»



صورة للقبر نبي الله محمد ﷺ من كتاب (نيل المصمود في مشروعية زيارة نبي الله محمد) للمعلامة السيدة سالم بن عبد الله الشاطري

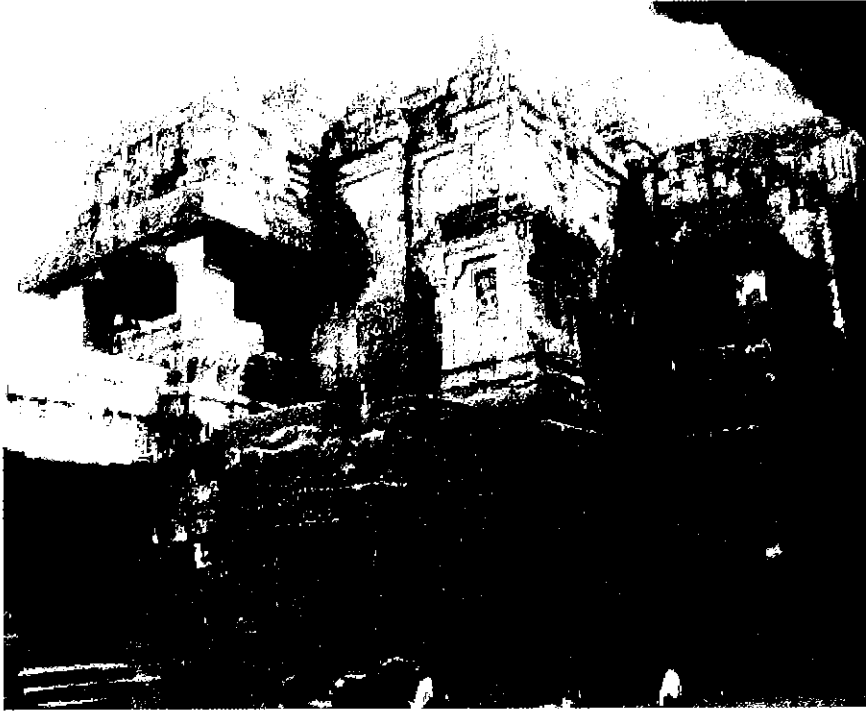


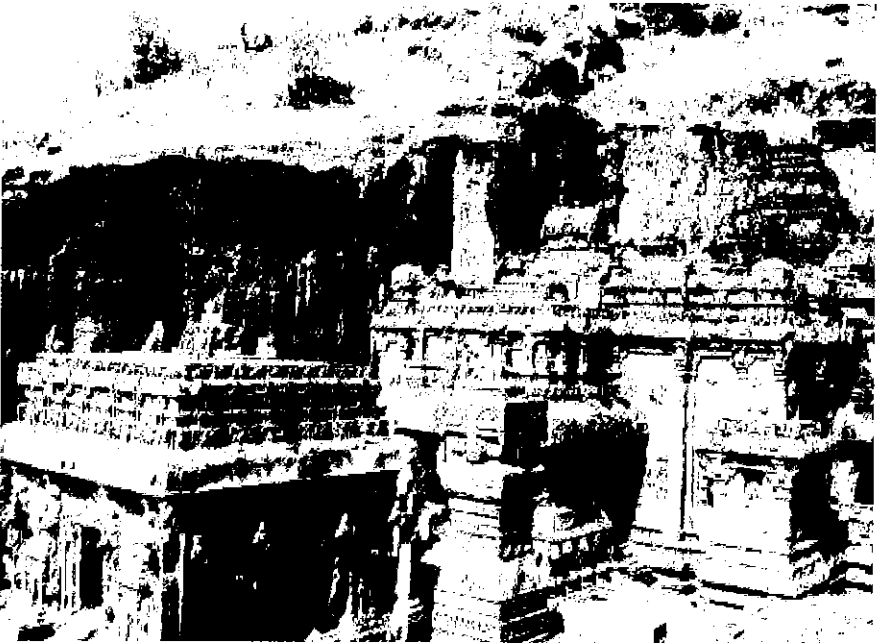
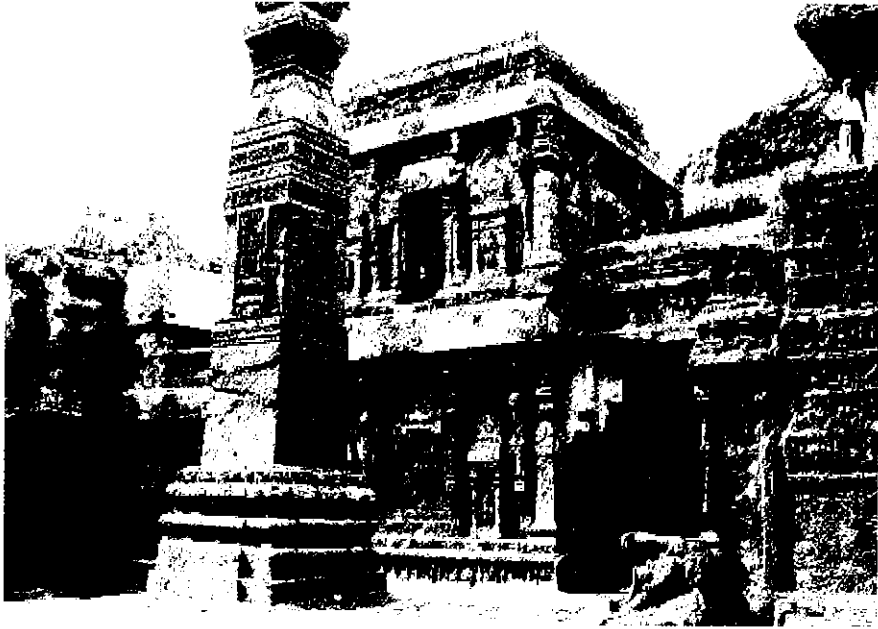
خارطة توضح موقع قبر النبي هود عليه السلام في حضرموت مستفاداً بتصرف من كتاب
(الرحلات والدراسات الجغرافية لحضرموت) للدكتور أحمد سعيد باحاج

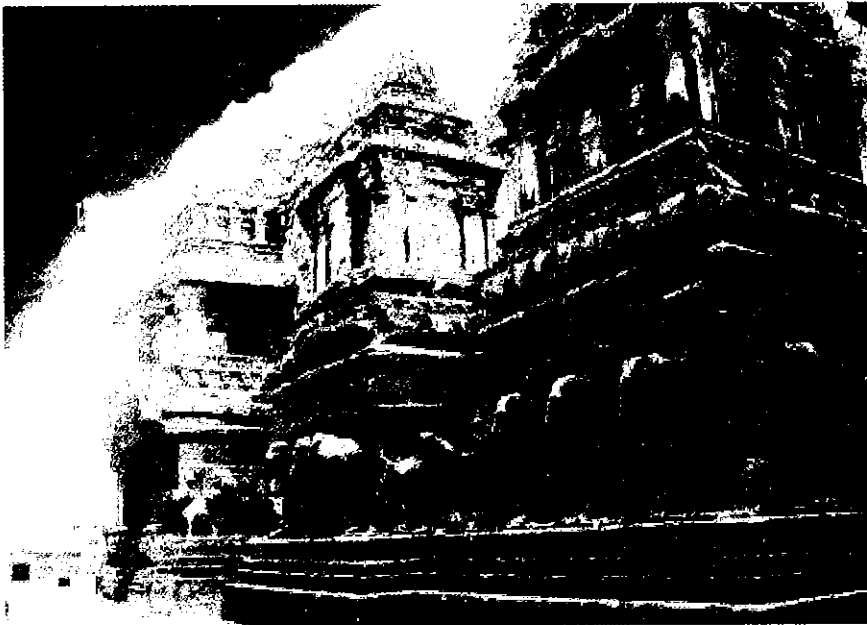
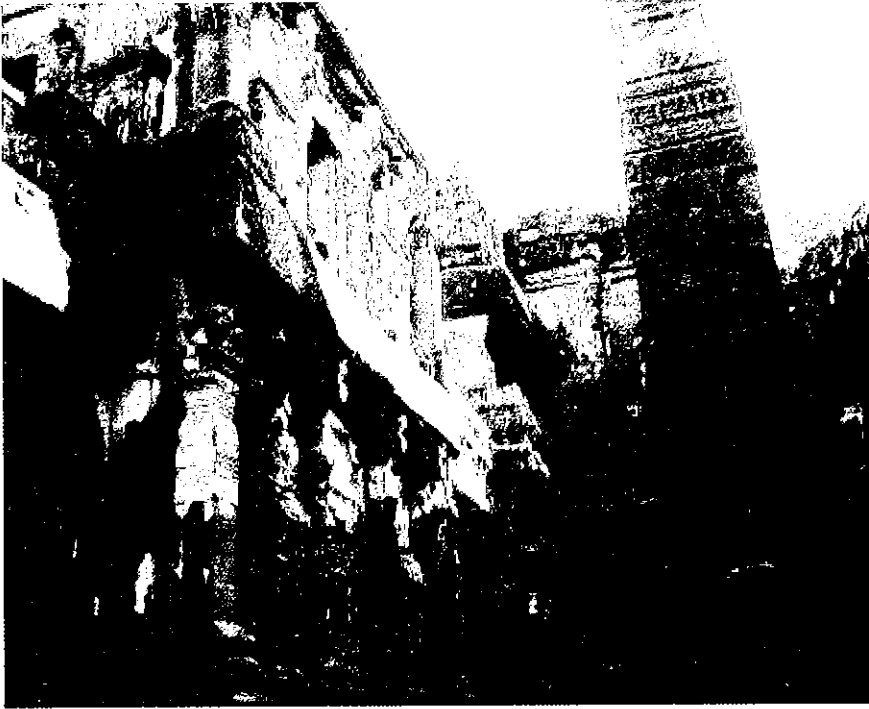
آثار اكتُشفت في ظفار

ظفار هي محافظة في غرب سلطنة عمان على حدود المهرة من الجمهورية العربية اليمنية . وهي تتمتع بطبيعة خلابة وخاصة في آخر فصل الصيف حيث تهطل الأمطار الموسمية . وهي متصلة بالمهرة وحضرموت برّياً كما تتصل بها من ناحية القبائل والعادات والمذهب . وكانت ظفار تحكم مناطق واسعة تشمل المهرة وحضرموت . وأهلها سُنَّة شافعية وتعتبر من الأحقاف التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وقد سكنها قوم عاد الذين طغوا في البلاد واغتروا بقوتهم وقالوا من أشد منا قوَّة، وبنوا المباني الضخمة التي وصفها القرآن الكريم بإرم ذات العماد . وكما ترى صور بعض هذه المباني العظيمة التي اكتشفت حديثاً في منطقة ظفار .









الفصل الرابع

مملكة سبأ الباذخة في القرآن الكريم
وفي التاريخ

لقد تحدّث القرآن الكريم عن سبأ ومملكتهم العظيمة في سورتين من سور القرآن الكريم: الأولى في سورة النمل: حيث جاءت قصة ملكة سبأ ذات العرش العظيم والملك الباذخ والحكمة والذكاء والفطنة إلا أنها من قوم يعبدون الشمس فضلت مثلما ضل قومها إلى أن هداها الله على يد سليمان عليه السلام ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤).

والثانية: في سورة سبأ حيث تحدّث المولى عن قوم سبأ الذين كانوا يعيشون في رغد من العيش وكانت لهم في مسكنهم آية ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جُنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِنْدٍ قَلِيلٍ﴾ (سبأ: ١٥-١٦).

وسنستعرض ما ورد في الكتاب العزيز عن هؤلاء القوم بعد أن نلقي بعض الضوء على قوم سبأ: من هم؟ وأين كانت دولتهم؟ ومتى عاشوا؟ وماذا يقول التاريخ عنهم؟ وكيف دخلت الأساطير والمبالغات في ذلك التاريخ؟ وماذا تحكيه لنا النقوش والآثار التي اكتشفت منذ القرن الثامن عشر الميلادي إلى اليوم؟ وما ورد عن سبأ في التوراة وأسفار العهد القديم؟ إلخ. وما ورد عنها في كتب التاريخ اليوناني والروماني والإسلامي؟.

من هم قوم سبأ؟ ومتى عاشوا؟

سبأ هو اسم رجل مؤسس لقبيلته وقومه، ويجعل الإخباريون له نسباً كالتالي: عبد شمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخب بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

وهو نسب لا يعلم صحته إلا الله سبحانه وتعالى. وقالوا إنه لُقّب بسبأ لكثرة ما يسيبه. وأنه أول من سبأ وأخذ السبي من العرب. وقد زعموا أنه غزا بابل وخراسان وأرمينية، وبنى بعض مدن مصر، ثم عاد إلى اليمن، ومعه الأموال

الكثيرة والسبي الذي يكاد لا يُعدُّ، وبنى السد المشهور بسد مأرب^(١). ويقولون إن عابر هو هود عليه السلام، وقال آخرون إن هود هو ابن عابر.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية^(٢): «سبأ اسم القوم الذين كانوا ينزلون جنوب غربي بلاد العرب في الألف الخمسة الأولى قبل الميلاد»^(٣). «وقد ورد ذكرهم في العهد القديم، وفي المؤلفات اليونانية والرومانية والعربية، وخاصة في نقوش جنوب بلاد العرب. ونستمدّ معلومات أخرى عن تاريخ سبأ في القرون الأولى للميلاد حتى عهد الرسول ﷺ من المصادر العربية القديمة، ومعظمها نقوش، ومن إشارات قائمة بذاتها وردت في المصادر اليونانية. ونستدل من النقوش المسامرية (في العراق) حتى القرن الثامن الميلادي (المقصود قبل الميلاد) على أن «سبأ»^(٤) كانت في اللغة الآشورية اسم قُطر. وكذلك سَبَبَتْ وَسَبَاً في النصوص الهيروغليفية... وكانت سَبَاً في التوراة علماً على قوم وقُطر، كما كانت سبأ تدل في نقوش جنوب بلاد العرب أيضاً على الأرض أو المملكة والقوم.

«وأقدم ما نعرف من إشارات مكتوبة عن سبأ هي التي وردت في النقوش المسامرية، ويرجع تاريخ أقدم الإشارات إلى القرن الثامن (ق.م)، في حين أن الوثائق المستمدة من بلاد الجزيرة والتي يرجع تاريخها إلى عهد أقدم من ذلك بكثير تشير فيها يظهر إلى سبأ. فمثلاً (سبو)^(٥) التي وردت في نقش سومري لملك لكش،

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ط ١٩٩٠ ص ٧٢.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة سبأ ج ١١ / ١٦٨ - ٢١٤.

(٣) هذا أبعد ذكر لهم فأقصى ما يجعله الآخرون هو الألف قبل الميلاد وهؤلاء عادوا بهم إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وهو أمر مستغرب بل ومستبعد.

(٤) (سباو): لغة سبوية في اتباع الألف وأوا مثل (صناعاو) في صنعاء و(قرناو) في قرناء و(جباو) في جبء

كما ذكره أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ص ٧٧.

(٥) سبو مثل سباو وهي تعني سبأ. وكذلك شبأ التي وردت في التوراة وأسفار العهد القديم كلها تعني سبأ.

الذي عاصر آخر ملوك أور، عاش في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد (أي بعد ٢٥٠٠ ق.م)... وهي (أي سبو) علم فيما يظن على أرض السبائين.
«وذكر هومل Hommel اسم سابم بوصفها سبأ وهي ترجع إلى أيام ملوك أور (أي بعد ٢٥٠٠ ق.م).

«ومن الأخبار المنقوشة عن حملة تكلات بلصّر الثالث (الآشوري) [٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م] على شمالي بلاد العرب نجد السبائين بين القبائل التي قدمت ولاءها لهذا الملك، وهي أقدم إشارة إلى هؤلاء القوم في الآثار المنقوشة. «ويذكر سرجون الثاني الملك الآشوري في حولياته عن عام ٧١٥ ق.م عرب الصحراء المقيمين في بلاد قاصية، وذكر الملكة سمسي من بني سبأ، وهم الذين أقبلوا مع غيرهم حاملين هدايا نفيسة للملك تكلات بلصّر، وكانت الهدايا الثمينة عبارة عن اللبان والذهب والأحجار الكريمة (وهو ما اشتهرت به جنوب الجزيرة العربية).

«ويقول مولر (D.H. Muller) إن بني سبأ كانوا من أهل جنوب بلاد العرب حتى في عهد تكلات بلصّر وسرجون (الآشوريين) استناداً إلى أن الجزية كان قوامها المحصولات المألوفة لهذه البلاد.

«ويرى سبرنجر Sprenger ويؤيده في ذلك كثير من الباحثين أن بلاد العرب هي مهد السامية والموطن الأصلي للساميين... ونستطيع أن نخلص من هذا الرأي إلى أن بني سبأ وبني معين جاؤوا من حضرموت، وأن مملكة سبأ كان منشؤها شبهه»^(٦). ونقل الباحثون آراء عديد من العلماء الغربيين في التأكيد على أن بلاد العرب هي مهد الجنس السامي. وفي ذلك ردّ على من زعم أن موطن الجنس السامي هو الحبشة. وقد زعم بعضهم أن لفظي تَبَع وجميّر حبشيان، الأول بمعنى

(٦) هذا توسع كبير في مفهوم حضرموت الجغرافي. وحضرموت تصل إلى شبهة التي كانت عاصمتها الأولى ولكنها لا تصل إلى الجوف وأرض سبأ وأرض معين... وكلهم يمتنون، لكن هذا القول فيه توسع. ومملكة سبأ عاصمتها الأولى صرواح والثانية مأرب، واحتلت فيها بعد شبهة وحضرموت.

القادر، والثاني بمعنى غبش (عدم وضوح الرؤية) وأن سبأ كانت في الحبشة، وأن ملكتها التي ذهبت إلى سليمان هي الملكة (فاكيدا) أو (ناوكلين)، وهي التي تزوجها سليمان وأنجب منها منليك الأول حسب زعمهم، وكانت عاصمتهم إكسوم في الشمال الشرقي من إثيوبيا (أريتريا اليوم)، وذلك قبل ثلاثة آلاف عام. والذي نشر هذه الأقوال هو المؤرخ اليهودي يوسفوس Yusefus المتوفى في أواخر القرن الأول بعد الميلاد، ثم تبعه غيره في أن أفريقيا وبالذات شرق أفريقيا هي الموطن الأول للساميين^(٧). ثم ظهرت أبحاث كثيرة في القرن العشرين تذكر أن الجنس البشري كله ظهر في شرق أفريقيا (الحبشة وكينيا والأجزاء الشرقية من السودان وتانزانيا... إلخ).

ويرى مؤلفو دائرة المعارف الإسلامية أن بلاد العرب هي مهد السامية، ويؤكدون ذلك بذكر عشرات الأدلة وأسماء الباحثين والعلماء في هذا الصدد. وهذا كله يخرج عن غرضنا هاهنا فلا داعي للإطالة فيه.

سبأ في العهد القديم

ويطلق العهد القديم (سفر التكوين الإصحاح ١٠/٧، وسفر الأخبار الأولى الإصحاح ٩/١) اسم سبأ على جزيرة بلاد العرب... وفيه اختلاف في الأنساب (كما هو متوقع). وسبأ هي سبأ ذاتها. وكان بنو سبأ يزودون الشام ومصر بالطيب واللبان، والذهب والأحجار الكريمة (المزامير الإصحاح ١٥/٧٢، حزقيال ٢٢/٢٧، أشعيا الإصحاح ٦٠/٦، أرميا الإصحاح ٢٠/٦) وتؤيد الروايات اليونانية والرومانية ذلك.

(٧) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ٧٣-٧٥. وقد ذكر أن الهجرة اليمنية إلى الحبشة قديمة وكان من أقدم المهاجرين قبيلة الأجاجز في القرن الخامس قبل الميلاد ولا تزال لغتها المعروفة بالجعزية معروفة إلى الآن، وهي لغة سامية وقلما هو المسند اليمني المعروف مع تحريف بعض الحروف... والتأثير اليمني في الحبشة قديم فإنه القمر المقه موجود في الحبشة وكذلك سد مأرب، ثم إن الحبشة في مرحلة متأخرة (بعد الميلاد) استولت على اليمن.

أما المواضع الأخرى التي تصف بني سبأ بأنهم تجار أغنياء، وهي سمتهم البارزة في وصف الكتاب المقدس لهم، فنجدها في سفر حزقيال الإصحاح ٣٧/٣٨، والمزامير الإصحاح ١٠/٧٢، وسفر أيوب الإصحاح ١٩/٦، (وتشير إلى قوافل بني سبأ) وسفر أيوب الإصحاح الأول/١٥، وتشير إلى بني سبأ وهم يهبون شمال بلاد العرب. وفي سفر يوثيل الإصحاح ٨/٣ ذكر بني سبأ بوصفهم «أمة بعيدة» يبيعهم بنو يهوذا أبناء صور وصيدا وبناتها.

وتأتي قصة ملكة سبأ مع الملك سليمان (هو نبي الله سليمان عليه السلام) وهم لا يسمونه نبياً بل ملكاً حسب زعمهم) في سفر الملوك الأول الإصحاح ١٠ وسفر الأخبار الثاني الإصحاح ٩^(٨).

ويقرر كتاب دائرة المعارف الإسلامية «أن كل ما نعرفه عن سبأ ومعين يتعارض مع القول بوجود ملكات هناك. ومهما يكن من شيء فإنه لا يحق لنا أن نرى في القصة دليلاً على قيام حكم الملكات في سبأ، وهو الحكم الذي ما زال كليزر (Glaser) يعتقد بقيامه».

ويعتقد الكتاب أن الملكات كنّ موجودات في شمال جزيرة العرب وأن إحداهن ربما ذهبت إلى سليمان، ثم تطورت هذه القصة لتجعلها ملكة سبأ؟؟

سبأ في المؤلفات اليونانية والرومانية

أقدم من كتب عن سبأ هو تيوفرسطس Theophrastus في تاريخه، وقد ذكر أن سبأ وثلاث ممالك أخرى في جنوب بلاد العرب هي مصدر الطيب واللبان والمرّ والقرفة... والممالك الأخرى هي حضرموت وقتبان ومعين (وتشمل في

(٨) سنستعرض قصة ملكة سبأ مع سيدنا سليمان كما وردت في سفر الملوك وكما وردت في القرآن الكريم.

وصفه ما يبدو أنه بلاد الصومال). وقد وصف بني سبأ بوصفهم من سكان المنطقة الجبلية التي تنتج المرّ واللبان، والتي تصدّره إلى مختلف البلدان، وتحدث عن «معبد الشمس» الذي كان أقدس مكان في أرض سبأ^(٩).

«وأقدم ثاني مصدر يتحدث عن سبأ هو ما نقله إسترابون (Starbo) من روايات اراتوستينس (Eratosthenes) المسهبة عن بلاد سبأ وجنوب الجزيرة العربية، وتحدث عن أربعة شعوب كبرى على البحر الأحمر، ويليهم قوم آخرون، الذين امتدت منازلهم حتى المضائق ثم عبروا الخليج العربي في أقصى الشرق... وكانت كل هذه البلدان مدناً زاهرة تحت إمرة ملوك مستبدّين. ويقول إن بني سبأ كانوا جيراناً لبني معين. وذكر أغاثرخيدس Agatherchides وديودوروس Diodoros وبليناس (بليني Pliny) منازل سبأ على البحر الأحمر وجنوب جزيرة العرب.

«ووصف أسطفانوس البيزنطي مملكة سبأ التي تمتد من الشمال (يحدّها من الشمال مملكة معين ومن الجنوب والجنوب الغربي قتيان ومن الشرق حضرموت)، حتى تصل إلى الساحل الغربي (البحر الأحمر) والجنوب (بحر العرب). وهذه المنازل تشمل ريدان ما بين عدن وأحور. والقول بأن بني سبأ كانوا يملكون ساحل اللبان هو خطأ محض. وهذه كلها ملاحظات ذكية وصحيحة. وقد اتفق

(٩) الغريب أن الآثار المكتشفة في سبأ تتحدث عن «المقه» وهو القمر المعبود لديهم. ولكن القرآن الكريم قد أوضح بلا أدنى لبس أنهم يعبدون الشمس. وكما أسلفنا فإن الشمس والقمر وعثر (عشروت، عشنار، الزهرة) كانت كلها تعبد كألهة في اليمن وفي غيرها من البلاد، وربما كانت عبادة الشمس سابقة لعبادة القمر، لأن قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، بينها الآثار الموجودة التي تتحدث عن عبادة القمر لا ترقى في أقصى مداها إلا إلى القرن الثامن قبل الميلاد. وقد اكتُشف حديثاً في منطقة مأرب آثار هامة جداً وصفت بأنها من عجائب الدنيا. وفيها معبد كبير ورائع لعبادة الشمس.

كلاً من ثيوفرسطس واسترابون على وجود ثلاثة شعوب في جنوب جزيرة العرب وهم سبأ وحضرموت وقتبان في حين أنها اختلفا في الاسم الرابع. ولكن يبدو أن كليهما يشير إلى معين وإن اختلفت طريقة الكتابة.

«وقد روى استرابون عن ارتميدوس عن شعب سبأ أنه شعب عظيم شديد البأس يزرع في أرضه المرّ واللبن والقرفة (وهو غير صحيح كما نعرف) وتنمو على ساحله أيضاً شجرة البلسم وغيرها من أشجار الطيب، ووفرة الفاكهة، والقصب (العاصمة) مريية (مأرب). وتحدث عن التجارة والثروة التي جناها السبائيون من التجارة ووصف زراعاتهم.

«ويستطرد استرابون فيصف حملة قام بها إيلوس جاليوس Aelius Gallus عام ٢٤ ق.م على جنوب بلاد العرب، معتمداً في ذلك على معلومات استقاها بنفسه من المعاصرين لتلك الحملة. ويروي استرابون أن أغسطس الإمبراطور (Augustus) قد أمر بشنّ تلك الحملة طمعاً في الاستيلاء على ثروة العرب وخاصة بني سبأ، بيد أن هذه الحملة خابت خيبة مرة وفشلت فشلاً ذريعاً. وكان السبب في ذلك أن الرومان كانوا يجهلون البلاد وأهلها ولم يتجهّزوا للحملة تجهيزاً خاصاً... وقد وصلت الحملة بمساعدة الأنباط إلى مريية التي تقوم أطلالها في ناحية بيحان (جنوب شرقي مأرب) وكان يطلق على جنوب بلاد العرب «أرض بني سبأ» دون تدقيق.

«وعلى أية حال فقد كانت هذه الحملة رغم فشلها، قد أدت إلى توسيع مدارك ومعلومات الرومان عن جنوب بلاد العرب، وتصحيح المعلومات الواردة من اليونان عنها. وقد وصف استرابون الحاليتين الاجتماعيتين والاقتصاديتين، ونظام الطبقات الذي ما زال سائداً في بلاد العرب إلى يومنا هذا (أي وقت كتابة دائرة المعارف الإسلامية في بدايات القرن العشرين).

«ويتحدث استرابون عن مكانة المرأة في دولة سبأ، ونظام الدولة ووراثة الحكم، وسنن الملوك وواجباتهم، وعادات القوم. وقال إنهم جنود بواسل، وفلاحون مجدون، وتجار ناشطون، وبحارة مهرة. وتكلم عن تجارة سبأ مع مصر والشام وفينيقية مما عاد عليهم بالربح الوافر، وجعلهم يعيشون في ترف بزوا كل من عداهم من العرب. وكان بنو سبأ يقومون بتجارة واسعة مع الهند ولهم أسطولهم البحري.

«وقد انتشرت لدى اليونان والرومان الفكرة المأثورة عن بني سبأ الأثرياء، الذين كانوا يعيشون فيما يشبه مروج من الذهب قامت في الأيام الخالية، حتى اعتبروا أن سبأ هي أهم إقليم في بلاد العرب فتغنى بها الشعراء والأدباء من اليونان والرومان، ومن هؤلاء الشاعر الروماني المشهور فرجيل الذي أشاد بسبأ وبشجرة اللبان.

«وقد اعتمد بليني المؤرخ على من سبقه وعلى حملة إيلْيوس جاليوس (سنة ٢٤ق.م). وذكر بليني بني حِمير وبني معين وبني ردمان بعد أن ذكر بني سبأ. واستشهد صراحة باستكشافات القائد الروماني إيلْيوس جاليوس، واعترف بأنها المصدر الذي استقى منه حديثه عن هذا العهد.

«وتعدّ إشارة بليني عن حِمير هي أول إشارة ترد عند الرومان عن الحِميريين. وفي زمن جاليوس كانت السيادة السياسية في جنوب جزيرة العرب قد خرجت عن أيدي بني سبأ، وانتقلت إلى بني حِمير الذين تلقبوا «بملوك سبأ وذي ريدان». وأكد جاليوس أن الغلبة في عهده كانت لبني حِمير وأنهم أصحاب النفوذ والسلطان في تلك الأيام. ومع ذلك فقد كان لبني سبأ وبني معين، حسب قولهم، الحق في ملكية أشجار اللبان وأن عدد الأسر التي كان لها هذا الحق هو ثلاثة آلاف أسرة.

«وبالمحصلة فإن بداية حكم بني حمير كانت في القرن الأول أو القرن الثاني قبل الميلاد، واستمر إلى ما بعد ظهور المسيحية ودخولها إلى اليمن، وظهور الصراع بين اليهودية التي اعتنتها كثير من حكام حمير، والنصرانية التي بدأت تغزو اليمن وخاصة في نجران مما أدى إلى قصة الأخدود المشهورة وتعذيب النصارى بواسطة «ذي نواس» (أسار = زُرعة) مما أدى إلى تدخّل الأحباش النصارى، ومن ثم قصة أبرهة، وقصة سيف بن ذي يزن الحِميري الذي حارب الأحباش بمساعدة الفرس وطردهم.

«وقد أشاد بلييني بالنظام الزراعي وأنظمة الري التي ابتدعها السبأيون، وواصل استخدامها الحِميريون وهي مجموعة السدود والقنوات والآبار وصهاريج الماء... وجُلّ المناطق الجبلية في جنوب الجزيرة العربية مشهورة بعسلها الجيد.

«ورغم أن اللبان كان يستخدم بكثافة في مصر واليونان وشمال الجزيرة العربية في المعابد وفي الجنائز، إلا أن أهل اليمن لم يكونوا يستخدمونه في الجنائز مطلقاً، واتفق المؤرخون اليونان والرومان على أن الممالك الأربع ذات النظام الملكي والأكثر ثراءً في جنوب الجزيرة العربية هي سبأ ومعين وقتبان وحضرموت. وقد توسّعت سبأ على حساب الآخرين حتى أنها استولت على حضرموت شرقاً. وكانت مأرب هي قسبة تلك المملكة الواسعة، ورغم ذلك فإن اللبان الذي يأتي من شرق حضرموت كان لا بد أن يمرّ بشبوه في غربها وأن يؤدي عنه الضريبة المفروضة. ومنها يمر بأراضي الجوف (سبأ) إلى شمال الجزيرة العربية. والشيء ذاته يقال عن الطيب.

«ويقول كتاب الرحلة (الطواف حول البحر الأحمر Periplus Maris Erythraei) لمؤلف مجهول ظهر فيما بين ٤٠ و ٥١ للميلاد^(*) أن تشريب إيل (اثيل،

(*) تقول المصادر الأخرى إنه وضع ما بين سنة ٤٠ و ٧٠ للميلاد.

الله Charibael الملك الشرعي لِحَمِيرَ وجيرانهم بني سبأ كان يحكم البلاد من عاصمته ظفار (قرب بريم وشمال شرق تعز وجنوب صنعاء)، وهي قصبة «سبأ وذي ريدان». وأغلب الظن أن تشريب ائيل هو كرب ائيل (كربائيل) وتريعنهم ملك سبأ وذي ريدان المعروف من النقوش ومن السكة (النقود التي سُكَّت في ذلك العهد).

«وفي هذه الفترة ظهر الأحباش كقوة وبدأوا يغزون تهامة (سواحل اليمن) ثم اتجهوا إلى سبأ. ومنهم عزانا الملك الحبشي المشهور الذي يعتبر أول من تنصّر من ملوك الحبشة وقد أقام عزانا نقشاً بلغتين هي (المسند والحبشية) لَقَّبَ فيه نفسه بملك إكسوم وحمير وسبأ. وهكذا يبدو أن الأحباش قد غزوا اليمن واحتلوا مواقع كثيرة في جانبها الغربي منذ أوائل القرن الثاني الميلادي... وواجهوا معارك ضارية لطردهم».

ولا يوجد ذكر في النقوش الموجودة اليوم، كما تقول دائرة المعارف الإسلامية، تتحدث عن ملوك اليمن منذ نهاية القرن الثالث إلى الثلث الأخير من القرن الرابع، ثم يستمر ذكرهم بلا انقطاع إلى سنة ٥٢٥م عند الغزو الحبشي الثاني لليمن.

النقوش والآثار

وقد أضافت النقوش في جنوب بلاد العرب معلومات هامة لما هو موجود من أخبار هذه الدول لدى المؤرخين اليونان والرومان، وما جاء في الكتاب المقدس، ولدى الإخباريين والمؤرخين المسلمين. ويقول المستكشف كليزر بأن التفسير الصحيح للروايات التي وردت في المصنفات القديمة لا تقل حاجتنا إليها عن حاجتنا إلى تفسير نقوش سبأ. وهذه النقوش والفقرات التي وردت في المصنفات القديمة يكمل بعضها بعضاً. ومهما يكن من شيء فإنه يجب ألا نغصّ

النظر عن مصادرنا الأخرى اعتماداً على ما للنقوش من أهمية حاسمة في دراسة تاريخ السياسة والثقافة، وكونها مصدرنا التاريخي المباشر الوحيد.

ويذكر كتاب دائرة المعارف الإسلامية عدداً من هؤلاء المكتشفين ابتداء من نيبور الديناركي عام ١٧٦٣ مروراً بسيتزن الإنجليزي (١٨١٠) إلى ولستد البريطاني (١٨٣٤) إلى هالفي اليهودي الفرنسي (١٨٦٩) الذي اكتشف (٦٨٦) نسخة من النقوش ذات الأهمية البالغة. ثم كلير (١٨٨٤ - ١٨٨٨) الذي اكتشف ونسخ أربعمئة نقش. وزادت المخطوطات العربية المكتشفة المتعلقة بتاريخ المنطقة، وكذلك النقوش وتحوّل معظمها إلى المتاحف الكبرى في لندن وباريس وبرلين... إلخ. وتحدث الباحثون بإسهاب عن هذه النقوش والآثار وأهميتها الكبرى في إلقاء الضوء على الجوانب الكثيرة المجهولة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية. ولم يستعرضوا الاكتشافات التي حدثت في القرن العشرين وهي كثيرة ومنها رحلة رائجنز الألماني (١٩٢٨) وسكوت الإنجليزي (١٩٣٧) وانجرامز (هارولد) (١٩٣٦)، وويندل فيليبس الأمريكي (١٩٥١) وهي من أهم البعثات. ومن الرحالة والباحثين العرب: الدكتور أحمد فخري المصري (١٩٤٧) وأمين الريحاني اللبناني (١٩٣٢) ونزيه مؤيد العظم السوري (١٩٣٦)، وخليل يحيى نامي أستاذ اللغات الشرقية بجامعة القاهرة (١٩٣٦ و ١٩٥٢)، ومحمود أمين الغول. ثم ظهر بعض اليمينيين مثل الدكتور محمد عبد القادر البافقيه وأحمد حسين شرف الدين والإرياني (مطهر بن علي)، ولكن المجهول من هذه النقوش والآثار لا يزال كبيراً جداً وربما يبلغ أضعاف المعلوم منها، وتحتاج إلى جهود منظمة تقوم بها الجامعات اليمنية وإدارة الآثار بالتعاون مع مراكز البحث العالمية. وقد ذكر ويندل فيليبس الأمريكي في كتابه (كنوز مدينة بلقيس) أنهم عثروا على نقوش في وادي الفأرة (٤٠ ميلاً شرق مدينة مأرب) ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد،

وقال إن هذه النقوش هي أقدم نقوش عثر عليها في جنوب جزيرة العرب^(١٠).

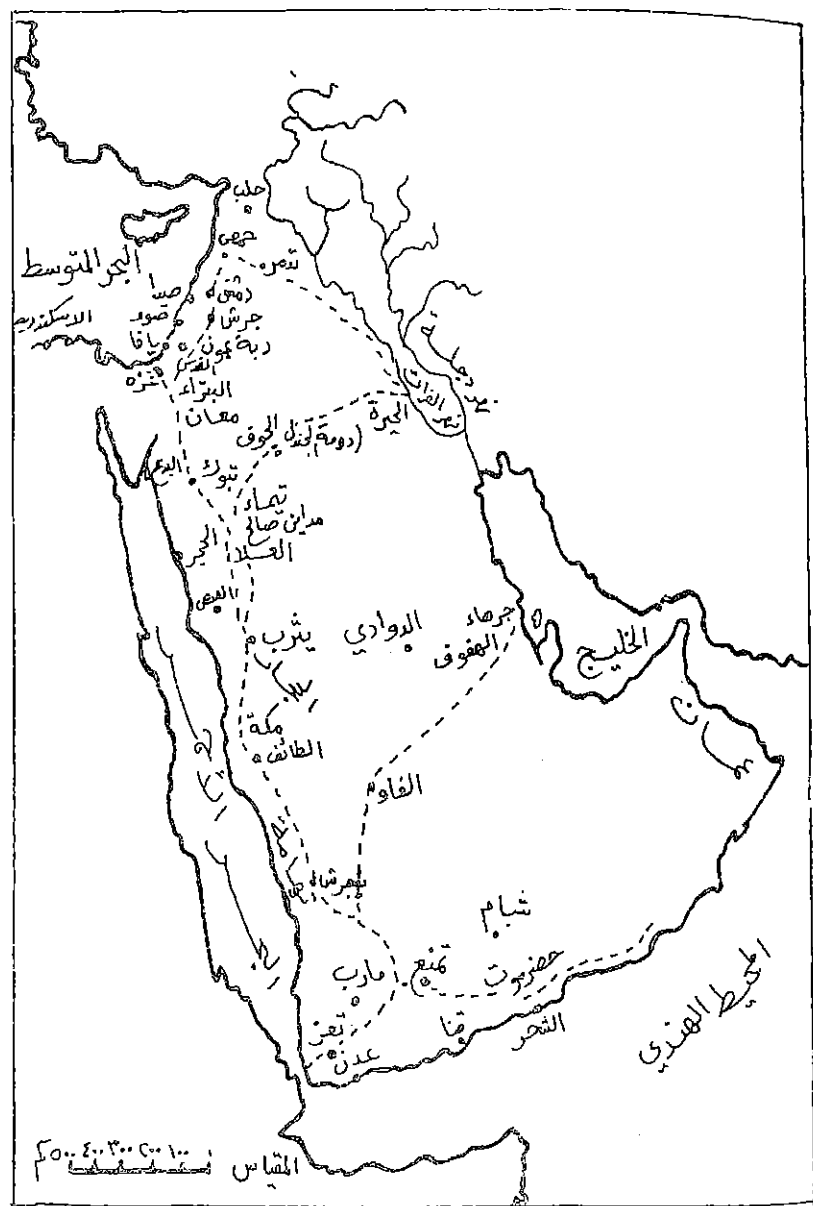
ونخلص من ذلك كله أن أقدم ذكر لسبأ (سيو) ورد في نقش سومري للملك لكش. الذي عاصر آخر ملوك أور، ويرجع إلى النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد (أي بعد ٢٥٠٠ ق.م). وذكر هو مل اسم (سابم) بوصفها (سبأ)، وهي ترجع كذلك إلى أيام ملوك أور (أي بعد ٢٥٠٠ ق.م). ولكن أقدم النقوش التي وجدت في اليمن، وفي العراق لدى الآشوريين، الذي ذكر السبائيين يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

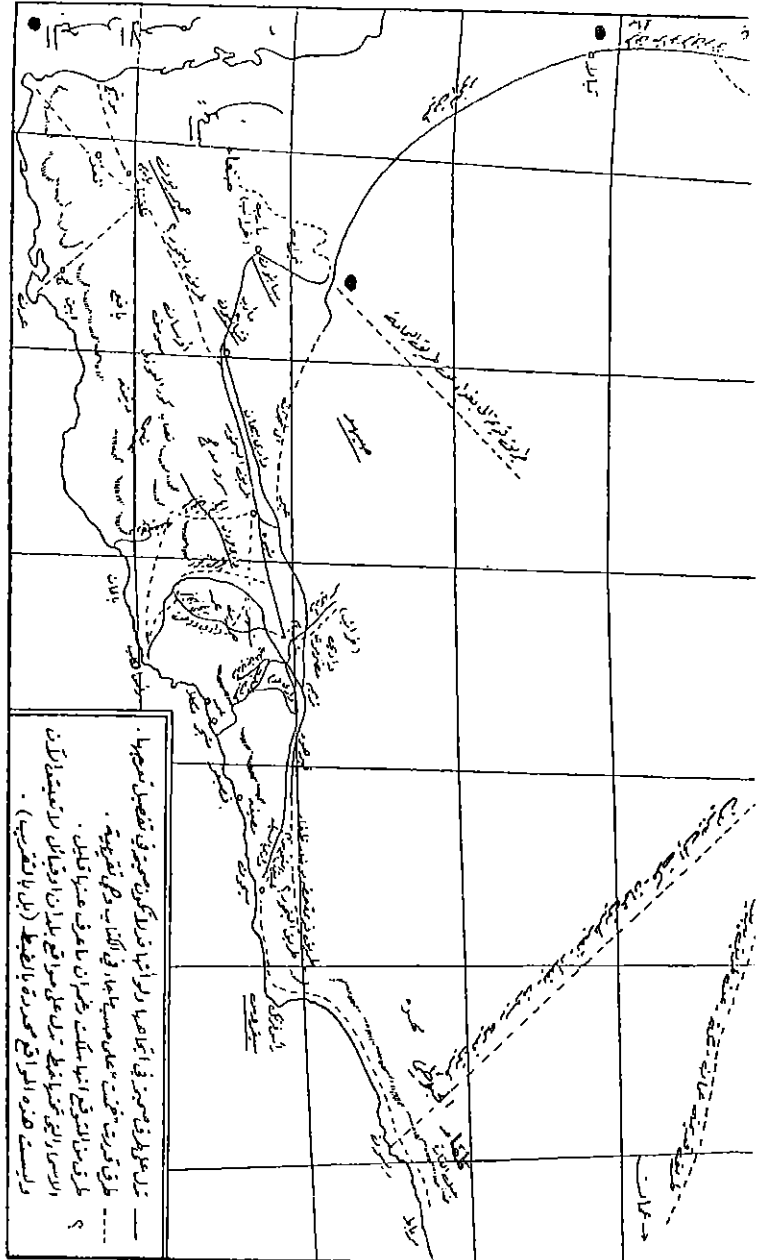
وقصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام ترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وقد حكم سليمان عليه السلام من بيت المقدس منطقة واسعة في فلسطين وسوريا، وامتدّ حكمه وعلاقاته الوطيدة إلى مصر والعراق واليمن. وحكم من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ ق.م.

ولا بُدَّ أن تكون مملكة سبأ قد تكوّنت في فترة سابقة لعهد سليمان، لأنها كانت في عهده مملكة عظيمة، باذخة ومستقرة، وتحكمها امرأة تدعى بلقيس في التراث العربي الإسلامي، ولم يذكر القرآن الكريم اسمها، ولكنها ملكة عظيمة أشاد بذكرها القرآن الكريم وسفر الملوك.

(١٠) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ص ٧٦.

الخطوط التجارية البرية





مترجمه واستعمله الدكتور محمد بن يحيى "موسماتناك"

مملكة سبأ (٨٥٠-١١٥ ق.م)

وقد امتد حكم مملكة سبأ المسجلة والمعروفة من عام ٨٥٠ ق.م إلى آخر ملوك التبابعة سيف بن ذي يزن الذي انتهى حكمه سنة ٥٣٣ بعد الميلاد. ويقسم المؤرخون هذه المملكة ذات التاريخ الطويل إلى مرحلتين هامتين: (١) مملكة سبأ وتمتد من سنة ٨٥٠ ق.م إلى سنة ١١٥ ق.م. وعاصمتها الأولى صرواح والثانية مأرب. (٢) مملكة سبأ وذي ريدان الحميرية وتمتد من ١١٥ ق.م. إلى سنة ٥٣٣ بعد الميلاد. وهي بدورها تقسم إلى مرحلتين، الأولى: حكمت من ١١٥ ق.م إلى ٢٧٥ بعد الميلاد وعاصمتهم ظفار (ذي ريدان) والثانية: هي التي اشتهرت باسم الجبابعة وحكمت من سنة ٢٧٥ بعد الميلاد إلى ٥٣٢ بعد الميلاد وكانت عاصمتها الأولى ظفار والثانية صنعاء.

وسنركز الحديث هاهنا عن مملكة سبأ (٨٥٠-١١٥ ق.م)، وإن كانت دائرة المعارف الإسلامية - كما أسلفنا - أرجعت أول تاريخ مسجل للمملكة سبأ إلى حوالي ٢٥٠٠ ق.م.

وبدون شك كانت مملكة سبأ موجودة وذات شأن كبير في عهد سليمان عليه السلام، (٩٦١-٩٢٢ ق.م) وقد قصّ القرآن الكريم قصة ملكة سبأ الحكيمة مع سليمان عليه السلام، وكذلك أوردت قصتها أسفار العهد القديم كما سنذكره تفصيلاً. ووجود نقوش في وادي الفأرة التي تقع ٤٠ ميلاً شرق مدينة مأرب وترجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد، كما يقول ويندل فيليبس، يؤيد قصة ملكة سبأ التي وردت في الكتب المقدسة وكتب التاريخ^(١١). وهو ما ذهب إليه بعض الباحثين الغربيين بالإضافة إلى ويندل فيليبس مثل البروفسور البرايت والباحث هومل^(١٢).

(١١) المصدر السابق، ص ٧٦ (اليمن عبر التاريخ لشرف الدين).

(١٢) المصدر السابق، ص ٧٦، ٧٧.

مكربي سبأ

وكان يطلق على ملك سبأ لقب مكربي (مكرب) وقد حكموا من سنة ٨٥٠ قبل الميلاد إلى سنة ٦٢٠ ق.م وذكر أحمد شرف الدين قائمة بأسمائهم^(١٣) تبدأ بسمهلي بنوف بن ذمار علي الذي حكم من سنة ٨٥٠ إلى سنة ٨٢٠ ق.م. وهناك نقش باسمه، وفيه أنه بنى سد يسرين من الحجارة البلق في خدمة الري. وهو نقش موجود في متحف مأرب باليمن.

ثم تولى بعده يدع إل ذرح بن سمهلي بنوف (٨٢٠ - ٨٠٠ ق.م)، ويوجد نقش من البرونز جاء فيه أنه قام ببناء جدار معبد المقه (القمر) في مأرب. كما قام ببناء معبد معريم (العرب) على بعد ٤٥ كيلومتراً جنوب مأرب حيث وضع اسمه على القائمة العليا لبناء هذا المعبد.

ثم تولى سمهلي بنوف بن يدع إل ذرح (٨٠٠ - ٧٨٠ ق.م) وقام ببناء جانب من معبد مأرب حسب النقش الموجود في المعبد... وتتالى السلسلة الوراثية من هؤلاء المكاربة ملوك سبأ فنجد كرب آل بين بن يثعمر (٧٢٠ - ٧٠٠ ق.م) يوسع مدينة نشق ويدخل عليها تحسينات كثيرة. وقد كتب اسمه أيضاً على الصدف (الجانب المرتفع) الأيمن لسد مأرب. وتتالى المكاربة فنجد سمهلي بنوف بن ذمار إل وتار (٦٨٠ - ٦٦٠ ق.م) يقوم بتوسيع معبد الإله عثر (عشروت، الزهرة)، وبنى سدّ (رحب) ليوصل المياه إلى منطقة أذنه. وقد استولى على حضر موت كما تشير إلى ذلك بعض النقوش. وشارك في بناء أو تجديد بناء سد مأرب.

ثم جاء يثعمر بين بن سمهلي بنوف (٦٤٠ - ٦١٠ ق.م) وأدخل عدة تحسينات على سد مأرب، وبنى سد حبلبض، وأشاد قلعة حريب، وبنى بايين لمدينة مأرب، وحصّنها ببروج بناها بالحجارة البلق. وبنى معبد (مرشوم) ومعبد

(١٣) المصدر السابق، ص ٧٨ - ٨٠.

(أنسور)، ومعبداً في ظفار (ريدان). وبنى سد (مقران) وأوصل مياهه إلى أبين، وكذلك سد (يثعان) وأوصل مياهه أيضاً إلى أبين.

وقد اهتم المكاربة (ملوك سبأ الأوائل) بالمشاريع المائية اهتماماً كبيراً، ونظّموا الري في بلادهم، وبنوا السدود، وحجزوا المياه للاستفادة منها في الزراعة، مما مكنهم فعلاً من جعل أرضهم جنة أو جنات كما وصفها القرآن الكريم، والكتب المقدسة، وأهل التاريخ.

الملك كرب إل وتر ونقش النصر في صرواح

ولما توسّع مُلك سبأ تغير اللقب من مكرب إلى ملك. وأول من فعل ذلك هو كرب إل وتار (وتد) وهو آخر المكريين (٦٢٠ - ٦١٠ ق.م). وقد بنى هذا الملك معبد الإله (ذات بعدان) أي الشمس. وقام بإصلاحات عدة في البلاد. وعثر الباحث الغربي جلازر على نقش، وهو مرسوم وَجَّهَهُ هذا الملك إلى شعبه. وفيه أنه سمّى نفسه ملكاً بدلاً من مكرب ثم شكر الإله (المقه) [أي القمر] إله سبأ، والقبائل المتحالفة الذين نصّبوه ملكاً عليهم وقَدَّم ثلاثة قرابين للإله عثر (عشتر، عشروت، الزهرة) لتساعده، وتؤلف بين قلوب أبناء (المقه) فتجعلهم بنعمتها إخواناً (حسب زعمهم)، وحمد الآلهة التي وهبت المطر وباركت الأرض الزراعية ومكّنته من بناء السدود، وحفر القنوات في منطقة (أيمن) حتى أصبح بالإمكان إسقاء الأراضي المرتفعة، والأرض الموات بإنشاء سدّ لحصر مياه الأمطار، يتصل بقناة، لسقي (مادون)، وأوصل المياه بقناة (موتر) إلى هوديم. وأنشأ المجاري التي أوصلت المياه إلى (ميدعم) و(وتر) و(قه). ثم ذكر حروبه وانتصاراته والمدن التي افتتحها وأنه أحرق أرض أعدائه (المعافر = معفره) وأوقع فيهم ثلاثة آلاف قتيل وثمانية آلاف أسير وضاعف الجزية عليهم، وأغار على (ذبحان) و(شرجب) [وهما بلدان معروفان إلى اليوم بالحجرية بالقرب من تعز]، واستولى عليها وعلى

وادي (صير)، وجبل (عسمت)، (أيضاً بالحجرية)، وهزم مملكة أوسان (مملكة كبيرة تمتد من عدن إلى الساحل الغربي على البحر الأحمر)، وقتل منهم ستة عشر ألف قتيل وأسر منهم أربعين ألف أسير. وهو نص طويل يهتم به علماء الآثار اهتماماً كبيراً جداً لأنه يحدد الأماكن، والزمن، والحروب، والإصلاحات. وهو موجود في مدينة صرواح التاريخية العاصمة الأولى لسبأ ويعرف باسم (نص صرواح). ولطوله وأهميته يعتبر من أهم الوثائق اليمنية القديمة^(١٤).

ويتحدث د. محمد عبد القادر الباققيه^(١٥) عن هذا النقش ويسميه: «نقش النصر» في موقع معبد المقه (القمر) الكبير في صرواح. وحصل جلاسر (جلازر) على طبعات منه مضغوطة على الورق، ونسخه مرة أخرى الدكتور أحمد فخري عند زيارته لليمن سنة ١٩٤٧ ولاحظ أن أجزاء كثيرة قد أصابها التلف منذ أيام جلاسر بسبب الإهمال وعبث الناس.

وتعود أهمية النقش إلى أنه أقدم نص طويل يصل إلينا. وفيه أسماء مناطق كثيرة، ويلقي الضوء على معرفة الأراضي التي كانت جزءاً من مملكة أوسان شبه المجهولة، لأن كرب إل وتار (وتر) قد غزاها. وقد بدأ النقش بمدح الآلهة وشكرها، وتقديم القرابين لها، وذكر الإنجازات الزراعية والسدود وتوحيد الشعب ومعشر سبأ ليكونوا يداً واحدة، وكثرة الأمطار، وكل ذلك يستدعي شكر الآلهة.

ثم ذكر غزواته ومعاركه التي شنها ابتداء من المعافر في الغرب قريباً من البحر الأحمر إلى عرمة في الشرق، من أودية حضرموت اليوم. ومن ساحل أبين في الجنوب إلى أطراف نجران في الشمال. ويبدأ كل حملة رئيسية بعبارة (ويوم مخص) وقد قسمها الباققيه إلى ثمان فقرات:

(١٤) المصدر السابق، ص ٨٠ (أحمد شرف الدين).

(١٥) د. محمد عبد القادر الباققيه: تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٨٥، ص ٥٨.

- | | |
|--------------|------------------------------|
| الأسطر ٣-٤ | (١) الحملة على المعافر |
| الأسطر ٤-٧ | (٢) الحملة على أوسان |
| الأسطر ٧-٨ | (٣) الحملة على دهسم (يافع) |
| الأسطر ٨-١٣ | (٤) تقسيم المناطق |
| الأسطر ١٣-١٤ | (٥) الحملة على كحد ذو سطم |
| الأسطر ١٤-١٧ | (٦) الحملة على نشن ونشق |
| الأسطر ١٨ | (٧) الحملة على سبل وهرم وفنن |
| الأسطر ١٩-٢٠ | (٨) الحملة على مهامرم وأمرم |

ومن أراد التفاصيل فليرجع إلى ما ذكره الباقية (ص ٥٧- ٦٨) من كتابه «تاريخ اليمن القديم» وقد خلص إلى الآتي:

- (١) أن كرب إل وتر قام بحملاته في أربعة أطراف ووصل إلى البحر (الأحمر وبحر العرب) ودمر المدن هناك، انتقاماً من أضرار وإساءات سابقة لحقت به.
- (٢) الخصم الرئيسي له كان مملكة أوسان، والتي كانت ألحقت بعض الهزائم بمملكة سبأ وانتقصت من كرب إل وتر.
- (٣) واتجه كرب إل وتر إلى الطرف الغربي عند البحر الأحمر ليوجه ضربة شديدة لاقتصاد أوسان التي كانت تعتمد اعتماداً كبيراً على تجارتها البحرية مع الحبشة ومصر. وعمل كرب إل وتر على تأمين ظهره بإقامة تحالفات عديدة.
- (٤) غطت معارك كرب إل وتر مملكة أوسان وما عُرِف لاحقاً بمملكة جُمَيْر.
- (٥) إن هذه الحروب المدمرة أضعفت الممالك اليمنية وأتاحت لعنصر الأعراب والبدو أن يظهروا كعنصر مشاغب ومزعج بشكل كبير لهذه الممالك، كما أتاحت للأحباش غزو اليمن فيما بعد.

(٦) العقلية الإقطاعية التي ظهرت في تصرفات كرب إل وتر. وفي النقش معلومات هامة عن النظام الاجتماعي السائد آنذاك. وفيه دور رؤساء العشائر

وتكوينهم مجلساً استشارياً للملك.

(٧) اتبع كرب إل وتر القسوة الزائدة مع أعدائه وخصومه، ولعل ذلك يعود إلى قوة خصومه ففعل ذلك لإضعافهم وأن لا تقوم لهم قائمة، فخرَّب المدن، وسلب مقتنياتها الثمينة، وأكثر من السبي من الصغار والكبار وجعلهم عبيداً في مملكته يقومون بأعمال السخرة وخاصة في المجالات الزراعية التي يحتاجها. وفرض على من بقي منهم الجزية المضاعفة. وصادر في كثير من الأحيان أراضيهم، وجعلها باسم الملك شخصياً، أو زعماء، قبيلته (سبأ) والمتحالفين معها. وقد أزال أسوار كثير من المدن المناوئة ليسهل غزوها إذا تمردت.

(٨) صورّ النقش الحياة الاجتماعية ونظام الزراعة ونظام القبيلة والأراضي المروية وكيفية الزراعة والريّ، وأن القبائل القوية تسكن في الأماكن الجبلية (الأعرار) ولكل عرّ اسم يعرف به. وكيف تحصل القبيلة على المياه للري والزراعة. وطريقة السدود وحفر القنوات... إلخ ومما له أهمية بالغة في تصوير حضارة وحياة تلك الأمة.

قائمة ملوك سبأ (٦٢٠-١١٥ ق.م)

وتبدأ هذه القائمة بكرب إل وتر (وتار) الذي كان يتمتع بلقب مكربي ثم صار ملكاً بسبب توسع ملكه - كما أشرنا إلى ذلك - وقد حكم من سنة ٦٢٠ إلى سنة ٦٠٠ وقد أفضنا في ذكر نص النقش المشهور بنقش النصر المطول والموجود في معبد المقه الكبير في صرواح عاصمة مملكة سبأ الأولى.

وقد تولى بعده عدد من الملوك يبلغ عددهم الإجمالي ٢٦ ملكاً. منهم يدع إلى بين بن كرب إل وتر (٥٦٠-٥٤٠ ق.م)، وله نص أيضاً في معبد صرواح، وقد عرف عند المستشرقين باسم مكتشفه هاليفي (يهودي فرنسي)، وهو عبارة عن تأييد لقانون أصدره والده لشعب سبأ، فيما يتعلق باستغلال الأراضي الزراعية

مقابل ضريبة تدفع للدولة، وقيام أفراد قبيلة سبأ وحمير بالخدمات العسكرية. ويكرر فيها عبارة «سمعتم ذت علم» أي هذا الإعلام «أو اسمعوا واعلموا»، وفيه ذكر لشهود هذا القانون، الذين سمعوه ووافقوا عليه وشهدوا بصحته.

ثم جاء ابنه يكرب ملك بن يدع إل بين (٥٤٠ - ٥٢٠ ق.م) وقد قام أحمد حسين شرف الدين بنشر النص وترجمته ونشره في كتاب «نقوش سبئية من مأرب» والواقع أن هذا النقش موجود في صرواح وليس في مأرب.

وعثر جلازر على نقش فيه مرسوم من الملك كرب إل وتار بن ينعم بين (٥٠٠ - ٤٨٠ ق.م) وفيه توجيهات لكبار الموظفين والمشايخ لجمع الضرائب التي تجمع من أفراد قبائلهم والتابعين لهم.

وقد عثر على تمثال للملك وهب إل يجز (٣١٠ - ٢٩٠ ق.م) وهو تمثال نصفية بقي منه رأسه فقط وموجود في متحف صنعاء.

وهناك نقش ورد فيه اسم الملك كرب إل وتار ينعم بن وهب إل يجز (١٦٠ - ١٤٥ ق.م) وآخر هذه المجموعة الشرح يحضب بن فرعم ينهب (١٢٥ - ١١٥ ق.م) الذي وقف ضد ثورة الهمدانيين، ولكنه انهزم أمام علمان نهقان الحميّريّ، والذي تلقب «بملك سبأ وريدان» وحكم من سنة ١١٥ - ٨٠ ق.م. وبذلك جاءت مجموعة جديدة من ملوك سبأ تلت «بملوك سبأ وريدان»، ثم أضيف إلى اللقب «ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت» بتوسع المملكة. وهم مجموعة الملوك الذين تحولوا إلى العاصمة الجديدة ظفار، ثم إلى صنعاء. وعرفوا (وخاصة الطبقة الثانية منهم) باسم التبابعة.

وهناك معبد معريم (معبد العرب) في منطقة اسمها المساجد تقع على بعد ٤٠ كيلومتراً جنوبي مأرب. ولا تزال بعض أعمدة المعبد قائمة، ومنها ستة أعمدة من البلق، يبلغ طول الواحدة ستة أمتار وعرضها متراً. وعلى المجموعة قائمة من أعلى

معتزلة. وقد كتب عليها بالخط المسند اسم بانيتها وهو الملك يدع إل بين. وهناك عدد من ملوك سبأ بهذا الاسم فهناك يدع إل بين بن يثعمر (٧٨٠-٧٥٠ ق.م) ثم أتى بعده بيائتي عام يدع إل بين بن كرب إل وتر (٥٦٠-٥٤٠). ولم يوضح أحمد شرف الدين في كتابه «اليمن عبر التاريخ» الذي أورد صورة (معبد معربم) وكتب عنه (ص ١٠٨)، لم يوضح إلى أي من هذين الملكين يعود هذا المعبد. وعلى أية حال كلاهما من السبائين إلا أن أحدهما من المكارية (مكرب) ومتقدم على الآخر بيائتي عام. والثاني من طبقة الملوك. ثم إنه ذكر أن يدع إل ذرح بن سمهعلي ينوف (٨٢٠-٨٠٠ ق.م) قام ببناء (معبد معربم) (معبد العرب) على بعد ٤٥ كيلومتراً جنوبي مأرب، حيث وضع اسمه على القائمة العليا لهذا المعبد... فهل تتألى هؤلاء المكارية في بناء هذا المعبد، لأنه قد يكون تصدّع بعد فترة زمنية، فقام الثاني بإصلاحه؟ لم يوضح ذلك شرف الدين.

سبأ في التراث الإسلامي

قال ابن كثير في تفسيره (سورة سبأ): «كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها. وكان التبابعة منهم، وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم، وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشتهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثأرهم. وبعث الله إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عمّا أمروا فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذر».

وقد سئل رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو؟ أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال: «بل هو رجل، ولد له عشرة، فسكن اليمن منهم ستة، والشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنهار وجمير، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان». قال ابن كثير في تفسير سورة سبأ «وهذا إسناد حسن عن

ابن عباس، ورواه أحمد في مسنده عن عروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله أرأيت سبأ وإد هو أم جبل أم ما هو؟ قال: بل هو رجل من العرب... الحديث، وهو مشابه لما قبله؟ ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير كلٌ منهما بسنده، كما رواه الترمذي في جامعه الصحيح وقال عنه حسن غريب. قال ابن كثير: إن هؤلاء العشرة ليسوا من صلبه مباشرة، بل هم من ذريته، وهو الصواب.

ما ورد عن سبأ في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى النَّبِيَّ بَارِكْنَا فِيهَا فُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا فَتَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَا مِنْ أَحَادِيثٍ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (سبأ: ١٥-٢٢).

قال ابن كثير في تفسيره (سورة سبأ):

«قالوا وسُمِّي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب (أي جعل أعداء المهزومين عبيدًا له)». قالوا ومعنى قوله «ولد له عشرة من العرب»، أي كان من نسل هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل اليمنية، لا أنهم ولدوا من صلبه مباشرة. وقد بنى أهل سبأ سدًّا عظيمًا بين جبلين يحفظ لهم ماء السيل وهو في مأرب، فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار في غاية ما يكون من الكثرة والحسن. وزعموا أن

المرأة كانت تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل فتساقط الثمار فيه من غير حاجة إلى قطاف أو كلفة لكثرتة.

وقالوا: لم يكن بمأرب شيء من الذباب والبعوض والبراغيث ولا شيء من الهوام لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليعبدوه ويوحّدوه. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ وهذه الآية هي ﴿جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أي من ناحيتي الجبلين ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٍ﴾ فتمردوا وأعرضوا عن توحيد الله وعبادته إلى عبادة الشمس والكواكب، فأرسل الله عليهم سيل العرم. والمراد بالعرم المياه الغزيرة. قالوا وبعث الله الجرذان تنقب السد، وهم في غفلتهم ساهون عنه، حتى إذا وهى وضعف جاءت السيول والمياه الغزيرة فخربتة، وخربت الوادي الخصب... وتبدلت تلك الأشجار المونقة المثمرة بالأثل والطرفا، قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَالْحَمْطُ هُوَ الْأَرَاكُ (وَأَثَلٍ) وَالْأَثَلُ هُوَ الطَّرْفَا، (وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ). وَالسُّدْرُ هُوَ شَجَرُ النَّبِقِ أَوْ الدُّومِ لَهُ شَوْكٌ كَثِيرٌ وَثَمَرٌ قَلِيلٌ. وَمَعَ هَذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾. قال ابن خيرة وكان من أصحاب عليّ ؑ: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسر في اللذة. قيل: وما العسر في اللذة؟ قال: لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِيٍّ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ * فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور.

يذكر ابن كثير ما كانوا فيه من نعمة وغبطة وعيش هني رغيذ. وقرى متصلة آمنة مع كثرة أشجارها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد أو ماء،

بل حيث نزل وجد ماء وثمرأ، ويُقيل في قرية وبييت في أخرى. فبطروا النعمة وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، فاحتاجوا إلى الزاد والراحلة والسير في الحر والمخاوف. فمزقهم الله كل ممزق وتفرقوا أيدي سبأ بعد انهدام السد، وصار ذلك مثلاً أي «تفرقوا أيدي سبأ» أو شذر مذر. فمنهم من ذهب إلى عُمان وهم الأزد، ومنهم من ذهب إلى الشام وهم بنو جفنة (الغساسنة)، ومنهم من ذهب إلى العراق وهم المناذرة، ومنهم من ذهب إلى يثرب وهم الأوس والخزرج. ومنهم خزاعة سكنوا مكة وما حولها ثم أجلتهم منها قريش. ومنهم أزد السراة وهم غامد والزهران نزلوا فيها يعرف اليوم بالباحة. ومنهم قبيلة عوف بن عمرو وهم المعروفون باسم بارق. وكل قبائل ألمع ودوس هم من أزد السراة أي سراة عسير. والواقع أن كل القبائل جنوب الطائف إلى نجران هي قبائل يمنية أكثرها هاجر بعد انهيار سد مأرب، والغريب حقاً أن الفينيقيين أنفسهم هم من الهجرات الأولى من اليمن. ولذا تجد مدينة صور في لبنان ومدينة صور في عُمان. وتجد في تونس في قرطاجنة منطقة تُعرف باسم حضرموت وهي سوسة. كما أن قبائل صنهاجة وجميع البربر في المغرب والجزائر وتونس هم من اليمن. وسكان موريتانيا مجمعون على أنهم من اليمن. وهجرات أهل اليمن قديمة قبل الإسلام واستمرت بعده إلى الوقت الحاضر..

وفي قصص القرآن عبرة وأي عبرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «عجباً للمؤمن، لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان له خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له. وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن». فنعمة العبد الصَّابِر الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾... وقد صدَّق عليهم إبليس ظنه وعلم أن أبناء آدم أضعف من أيهم فإذا احتال آدم، فأبناؤه أشد ضعفاً والاحتيال عليهم أيسر، ولكن الله بفضله وكرمه قال: «وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر» ولم يجعل لإبليس سلطاناً على البشر إلا الاحتيال والإغراء والخداع. فصدَّق عليهم إبليس ظنه امتحاناً من الله للبشر ليظهر من هو مؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. وهو سبحانه الحكيم العليم.

قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

قامت مملكة سليمان بن داود عليها السلام الباذخة في فلسطين وكانت عاصمتها القدس (أورشليم). وهو الذي بنى المسجد (يسمونه الهيكل). وفي التراث الإسلامي أن المسجد الأقصى قد تم بناؤه بعد البيت الحرام بمكة وبينهما أربعين عاماً فقط وهو في صحيح البخاري، فيكون على ذلك أن أول من بناه إما إبراهيم عليه السلام أو ابنه إسحاق عليه السلام ثم اندثر ذلك البيت. وجاء داود عليه السلام وأراد أن يبنيه فلم يتم له الأمر، فأوصى ابنه سليمان من بعده أن يبنيه فبناه سليمان بناء عظيماً فخياً. وقد امتد حكم داود عليه السلام من سنة ١٠١٠ إلى سنة ٩٦١ قبل الميلاد. ثم تولى بعده الحكم ابنه سليمان عليه السلام، وامتد حكمه من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد. وتعتبر فترة حكمها هي الفترة الزاهية في تاريخ بني إسرائيل، ورغم ذلك فنرى أسفار العهد القديم تكذب على داود وسليمان وتسببهما أعظم السبِّ وأقذعه وأفظعه، فتتهم داود عليه السلام بالكذب والخداع والجبن، وعندما ينتصر في الحروب يأمر بقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة، وإحراقهم في الأتون وفرمهم في النوارج (انظر سفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام

الأول). ولم يكتفوا بذلك كله بل يتهمونه - عليهم اللعنات - بأنه زنى بحليلة جاره أوريا الحثي الذي كان قائداً من قواده في المعركة، ولم يكتف بذلك - حسب زعمهم - بل أمر بتدبير حيلة لاغتياله بأن يهجم هو والجنود على العدو ثم ينسحب من معه ويتركوه للعدو ليفتك به. ويزعمون أن داود تزوج بتشيع هذه (امرأة أوريا الحثي) وأنه أنجب منها سليمان إلى آخر المزاعم الباطلة الكاذبة الفاجرة الحقيرة.

ثم يأتي سليمان بعد أبيه فتصفه أسفار العهد القديم بكل وصف ذميم. وهو من كل ذلك براء. ويقوم سليمان حسب زعمهم الكاذب بقتل أخيه أودنيا اغتيالاً بعد أن أمته، كما قام بالتصفيات الجسدية للقواد الذين كانوا مع أبيه، وحققوا له معظم انتصاراته وذلك بناء على وصية داود قبل وفاته بأن يبطش بهم. وقام سليمان بدعم ملكه بمصاهرة عدد من الملوك، فصاهر سليمان فرعون مصر وأخذ ابنته وتزوج سبعمئة امرأة وتسرى بثلاثمائة. وجاء في سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ (١-١٢): «وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل: لا يدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبعمئة من النساء السيدات (أي الحرائر) وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود، فذهب سليمان وراء عشروت (الزهرة) آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب... حيثئذ بنى سليمان مرتفعة (معبداً) لكموش رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولملوك رجس بني عمون... وهكذا فعل لجميع نساؤه الغريات اللواتي كنَّ يوقدن ويذبحن لآلهتهن، فغضب الرب على سليمان... ولم يحفظ ما أوصى به الرب» وهي صورة بشعة وكاذبة اخترعها اليهود ووضعوها فيما يسمونه

الكتاب المقدس الذي يؤمن به النصارى أيضاً. وقد شتموا جميع الأنبياء والمرسلين^(١٦)... ولم يتورعوا عن اتهامهم بالكذب والخيانة والديانة والزنى والسرقه وقتل الأبرياء، وذبح النساء والأطفال وهدم المدن الآمنة وحرقتها... إلخ، وأكثر من ذلك فقد تناولوا على رب العالمين نفسه!!

ملكة سبأ وسليمان ﷺ

وفي عهد سليمان ﷺ قدمت ملكة مملكة سبأ (شيبا) على سليمان وقدمت هداياها من الذهب والجواهر والأطياب وأعجبت الملكة بحكمة سليمان وملكه ثم عادت إلى مملكتها محملة بهدايا سليمان الثمينة. ولا يذكر سفر الملوك الإصحاح العاشر الذي أورد القصة أن سليمان تزوجها. كذلك لم يرد في السفر المذكور أنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين، بل على العكس من ذلك زعم سفر الملوك أن سليمان عبد الأوثان مع نسائه الكثيرات كما أسلفنا.

وقد ركز سفر الملوك الأول على الذهب والهدايا والطيب الذي حملته الملكة (مائة وعشرون وزنه ذهباً وأحجاراً كريمة كثيرة وأطياباً كثيرة جداً)... وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستائة وستة وستين وزنة ذهب.

القصة في سفر الملوك الأول: الإصحاح العاشر

«وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأنت لتمتحنه بمسائل (يوردها أيضاً أصحاب التفسير وكلها من الإسرائيليات التي لا دليل عليها). فأنت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً بجبال حاملة أطياباً وذهباً كثيراً، وحجارة كريمة، وأنت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها (أي المسائل التي كانت تشغلها) فأخبرها سليمان بكل كلامها (أي أجاب على أسئلتها بأجوبة مقنعة)... فلما رأت ملكة سبأ كل حكمة سليمان، والبيت الذي بناه، وطعام مائدته، ومجلس عبيده،

(١٦) استعرضت ذلك بتفصيل في كتاب الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم دمشق - الدار الشامية بيروت ١٩٩٠.

وموقف خدامه، وملابسهم وسقاته، ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب، لم يبق فيها روح بعد. فقالت للملك «صحيحاً كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وحكمتك... طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائماً السامعين حكمتك... ليكن مباركاً الربُّ إلهك الذي سَرَّ بك وجعلك على كرسي إسرائيل. لأن الرب أحبَّ إسرائيل إلى الأبد. جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً». وأعطت الملكة مئة وعشرين وزنة ذهباً وأطيباً كثيرة جداً وحجارة كريمة.

ولم يذكر السفر زواج سليمان من هذه الملكة ولا إسلامها على يديه، بل أخذ يعدد كمية الذهب والهدايا التي كانت تأتي سليمان من ملوك الأرض. وأن كل الأرض كانت ملتزمة لحكمته حتى صار سليمان أغنى أهل الأرض وأكثرهم حكمة. ورغم ذلك نجد الإصحاح التالي (رقم ١١) من نفس السفر يسبُّ سليمان سباً مقذعاً، وأنه كفر بالله، وأشرك به، وعبد مع زوجاته النجوم، والشمس، والقمر، وملكوم رجس العمونيين، وكموش رجس الموآبيين وعشتروت آلهة الصيدونيين... إلخ. «وعمل سليمان الشرَّ في عيني الرب ولم يتبع الربَّ تماماً كداود أبيه» ولهذا مَرَّق الله ملك سليمان حسب زعمهم «من أجل أن ذلك عندك، ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك». [سفر الملوك الأول: الإصحاح ١١: ٣-١٣].

قصة سليمان وملكة سبأ في القرآن الكريم

ولكن القرآن الكريم يذكر تفاصيل مجيء ملكة سبأ التي كانت تعبد الشمس مع قومها، وأنها أسلمت مع سليمان لله رب العالمين في قصة رائعة أوردتها سورة النمل. وإليك هذه الواقعة كما وردت في القرآن الكريم^(١٧) سورة النمل (٢٠-٤٤).

(١٧) من كتابي: الله والأنبياء في التوراة والمهد القديم، ٤٤١-٤٤٧، دراسة مقارنة، دار القلم والدار الشامية ١٩٩٠.

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَدَّبْتَهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾.

التفت سليمان ﷺ فلم يجد الهدهد. وقد قيل إن سليمان كان يستخدم الهدهد ليدله على وجود الماء تحت الأرض كما تفعل الأفهار الصناعية اليوم، حيث تصور الأرض بالأشعة الحمراء فتبدو المناطق التي تحتها الماء أقل في درجة حرارتها من المناطق المجاورة التي بدون ماء. جعل الله للهدهد تلك الخاصية. وبحث سليمان عن هذا الطير المقرب إليه فلم يجده. وغضب لأنه لم يستأذن في ذهابه، وتوعد بتعذيبه وبتفريسه أو ذبحه أو أن يأتي بحجة واضحة وعذر مقبول.

﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

فمكث سليمان فترة وجيزة بعد تفقده للهدهد وإذا بالهدهد يصل ومعه خبر جديد، ويقول لسليمان الذي كان أعلم أهل زمانه: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحْطُ بِهِ﴾ في ثقة وقوة ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾، ويخبره أنه وجد امرأة تملك قوم سبأ وقد آتاها الله ملكاً كبيراً واسعاً وعرشاً عظيماً. ولكن ويا للأسف، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم فأروها حسنة؛ فلم يهتدوا إلى الحق ولم يروا ما هم فيه من ضلال مبين، حيث تركوا عبادة الله الواحد الأحد الذي يخرج كل مخلوق في السماء والأرض، ويعلم سرهم وجهرهم، فيا لهم من حمقى ضلوا السبيل وتاهوا في أودية الضلال المبين.

انزعج سليمان عليه السلام لهذا النبأ فهو قد نشر الإسلام في ربوع مملكته وفي الممالك المجاورة عن طريق الحرب حيناً، وعن طريق الزواج والمصاهرة حيناً آخر، وعن طريق الدعوة إلى الله في كل وقت وحين. قال للهدهد:

﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

ويتنقل المشهد فإذا نحن في اليمن في صرواح أو مأرب عاصمة ملكها في مدينة الملكة العظيمة^(١٨). وإذا بالهدهد يتسلل إليها ويلقي كتاب سليمان عليه السلام في مخدعها. تنظر بلقيس يمناً ويسرة فلا تمجد أحداً. تتعجب من ذلك، تفتح الخطاب فإذا هو مكتوب بلغتها - اليمنية القديمة -... الكتاب موجز قوي العبارة:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلِيَّ وَأَثُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

خطاب في منتهى البلاغة والإيجاز والقوة، والغموض في طريقه وصوله إليها وطريقة عرضه مما جعلها تصفه بأنه كتاب كريم.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأَوْلُو بِأْسِ شَدِيدٍ

(١٨) لم يذكر القرآن اسم هذه الملكة. واشتهرت لدى الإخباريين باسم بلقيس بنت الهدهد وأن أمها جنية، وأن ساقها مثل الماعز ولها شعر كثيف، وهذا كله باطل. وقد ظهرت ملكة في عهد التبابعة باسم (بلقيس بنت الهدهد) (٣٣٠-٣٤٥ بعد الميلاد). والملكة التي كانت في عهد سليمان عاشت في القرن العاشر قبل الميلاد وبينها وبين بلقيس بنت الهدهد ١٣٠٠ سنة تقريباً... وهذا من الخلط الشديد الذي يحدث لدى المفسرين والإخباريين. ولعل اسم ملكة سبأ التي ذهبت إلى سليمان عليه السلام كان أيضاً بلقيس، ثم جاءت ملكة أخرى بعد مرور ١٣٠٠ عام وتسمت بهذا الاسم. واختلط الأمر على الإخباريين فجعلوا اسم الأولى مطابقاً للثانية.

وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا
وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمِ
يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ».

تبدو شخصية هذه الملكة اليمنية قوية ساحرة، لها مهابة الملك وحصافة
الرأي، لقد تعجبت من لهجة الخطاب وقوته، وأدركت أن لهذا الرجل شأنًا وشأواً
غير شأن الملوك والعظماء الذين تعاملت معهم من قبل. احتاطت للأمر ودعت
علية القوم وأخبرتهم الخبر وطلبت مشورتهم. فإذا هي تجرد قوماً يفتخرون بقوتهم
وبأسهم وانتصاراتهم في الحروب ولم يدركوا مغزى رسالة سليمان ولا قوتها،
واعترفوا بأنهم لا رأي لهم فالرأي رأيها والمشورة مشورتها، فإليها يرجعون وعن
رأيها يصدرن، ولما اتصفت به من الحكمة والأناة وحصافة الرأي جعلوها
ملكتهم التي لا يخالفون لها قولاً. حينئذ أفهمتهم أن الملوك إذا دخلوا قرية
أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون... ولا يحسن بهم أن يردوا على
سليمان بشيء من الجفاء، بل عليهم أن يلاطفوه ويبعثوا إليه بهدية. فإن كان ملكاً
قَبِلَ الهدية، وإن كان نبياً يدعو إلى دين جديد فلن يقبل الهدية. وعلى ضوء موقفه
من الهدية ستحدد خطواتها التالية.

وينتقل المشهد القرآني فجأة من مأرب أو صرواح باليمن إلى بيت المقدس في
فلسطين، ليعرض لنا موقف سليمان عليه السلام من الهدية التي وصلته. وهي هدية
وصفها المؤرخون وأهل التفسير بكثير من المبالغات وأن فيها كمية كبيرة من
الذهب والفضة ومجموعة من الوصائف والغلمان، وأشياء ثمينة أخرى. فأمر
سليمان بوضع سبائك الذهب والفضة لمسافة تسعة فراسخ، ووضع دواب البحر
والبر العجيبة، وأتى بغرائب في مملكته حتى ينبهر الوفد اليمني ويستصغر ما قدم
من هدايا. ومهما كان من أمر فإن القرآن الكريم لا يذكر لنا شيئاً من هذه
التفاصيل، وإنما يذكر أن سليمان عليه السلام قال:

﴿أَتُمَدُّوْنَ بِبَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ *
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدِلَّةً وَهُمْ
صَاغِرُونَ﴾.

ونحن ندرك مدى الحرج والضيق والصغار الذي أحسّه رئيس الوفد بعد هذا التعنيف الشديد. ولعله حاول أن يستعطف سليمان عليه السلام وأنه سيحاول أن يقنع الملكة بأن تأتي بنفسها إليه.

ونفاجأ في المقطع الثاني بأن الملكة قد أقبلت بوفدها الكبير من اليمن إلى سليمان مستسلمة طائعة بعد أن أخبرها الوفد بغنى مملكة سليمان وقوته الرهيبة.

وإذا هي تقترب من بيت المقدس ويشعر سليمان بقرب مقدمها، فيتحدث إلى الملائكة من رجال بلاطه وحاشيته التي تضم الإنس والجن والطير والوحوش.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ سمع سليمان بوصف عرشها وعظمته ودقته، فأراد أن يمتحنها ويرى رباطة جأشها وقوة عقلها وشدة فطنتها التي سمع عنها الكثير عندما يفاجئها بعرشها الذي خلفته في اليمن، وأقفلت عليه الأبواب ووضعت في حرز حريز لا يمكن الوصول إليه.

﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ
أَمِينٌ﴾.

قال سليمان أريد أعجل من ذلك. فقال آصف بن برخيا، وهو رجل صديق آتاه الله علماً يستخدم فيه الاسم الأعظم:

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا
رَأَهُ مُسْتَقَرًّا قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّا
نَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾.

في لحظات كان العرش قد نبع أمام سليمان. معجزة لنبي الله سليمان وكرامة لولي الله آصف بن برخيا. خفض سليمان رأسه عندما رأى العرش مستقراً عنده تواضعاً لله وشكراً له وقال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾. وإن سليمان ﷺ ليعلم أن الغنى والثروة والملك والجاه والسلطان نوع من الابتلاء، قد يكون في بعض الأحيان أعظم وأشد من الفقر والمسكنة وضيق ذات اليد، ذلك لأن الإنسان في وقت الشدة والضيق غالباً ما يلتفت إلى مولاه وخالقه لينقذه ويفرّج همه، أما في حالات السعة والرخاء فإنه ميال بطبعه إلى البطر والأشر والطغيان، إلا من رحم ربك. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾. ولذا اختلف العلماء في أيهم أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟ ... وكل ذلك ابتلاء من الله وامتحان ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالسَّيْرِ وَالْحَيْرِ فِتْنَةً﴾. ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾. وليس في الغنى والسعة كرامة وليس في الفقر وضيق ذات اليد مهانة. بل الأمر كله نوع من الابتلاء لينظر المولى سبحانه وتعالى، وهو أعلم بعباده، من يشكر ومن يكفر عند الرخاء، ومن يصبر ومن يقنط عند الشدة.

﴿قَالَ نَكُّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

أمر سليمان ﷺ الصنّاع المهرة بأن يغيّروا في العرش ويبدّلوا لينظر رباطة جأش هذه المرأة وهل تهتدي إلى معرفة عرشها الذي خلفته باليمن في حرز حريز؟ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ لم يقل: أهذا عرشك؟ زيادة في التجهيل، فأجابت دون تلجلج: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ وهو جواب حصيف يدل على أنها أدركت أن الذي أمامها هو عرشها قد تمكّن سليمان من إحضاره، فتهاست ولم تفغر فاهما

دهشة، ولم تنفجر باكية أو صائحة: كيف جئتم بعوشي؟ أو من جاء بعوشي إلى بيت المقدس؟

أجابت بكل دقة وهدوء وثبات ورباطة جأش ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ ولو سألها: أهدأ عرشك؟ ل قالت: نعم. فلما غمّي عليها غمّت عليهم. وأدرك سليمان ﷺ رجاحة عقل هذه المرأة وثباتها وحسن تصرفها في الملمات. فأدرك أنها ستتهدي بإذن الله على يديه إلى الإسلام. فقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾. ولقد منعها من الهدى وعبادة الله ما كانت تعبد من دون الله وهي عبادة الشمس. وسبب ذلك أنها نشأت في بيئة وثنية وقوم كافرين. فلما رُفعت عنها الغشاوة، وهي ذات العقل الراجح، والرأي الحصيف، أدركت ما كانت عليه من الضلال. ورتب سليمان ﷺ لها موقفاً آخر يجعلها تتنازل عن كبريائها وتسرع بإعلان إسلامها. أعد لها صرحاً عظيماً مهدداً من قوارير وزجاج رقيق يشف ما تحته من الماء والحيتان والنباتات البحرية والطحالب. وجلس سليمان في نهاية الصرح على عرشه المهيب تحفه الطير والجن والإنس.

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ حسبته ماء. إذ لم تتصور قط هذا الماء الذي يجري وفيه من الأسماك الصغيرة أنه مغطى بطبقة شفافة وقوية من الزجاج البلوري الراقق. تمالكت نفسها من الدهشة وجمعت أطراف ثوبها ورفعته لتخوض هذه اللجة بكل شجاعة وثبات وقد كشفت عن ساقها قال - أي سليمان ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ والمرد الملس المهد، ومنه الأمر الذي ليس له لحية. عند ذلك سقطت كل الأغشية والأقنعة التي كانت ترين على عقلها. سقطت الكبرياء وعزة الملك وعدم الخضوع لأجنبي ولو كان سليمان ﷺ. سقط كل ذلك في لحظة وانجل لها الحق. ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل: ٤٤). أسلمت لله واعترفت بظلمها حين أشركت بالله

وعيدت الشمس: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وأسلمت مع سليمان نبي الله حيث يجمع الإسلام الكل في إطار واحد، في أخوة الإسلام. أسلمت معه الله رب العالمين. فهي لم تخضع لملك من الملوك ولا لجبار من جبابرة الأرض، وإنما أسلمت لله رب العالمين مع نبي كريم، هو نبي الله سليمان ﷺ.

وهكذا ينتهي السياق القرآني عند هذه النهاية الرائعة ولا يخوض فيها خاض فيه أهل التفسير والروايات والقصص والأخبار عن ساقها التي هي مثل الماعز. ولا عن زواج سليمان بها ومن أنجب منها... إلخ، لأن ذلك كله خارج عن مقصد ومغزى هذه القصة العظيمة. فقد سعى سليمان ﷺ إلى دعوة الأمم والملوك إلى دين الله القويم الحنيف. ولما أخبره الهدهد بملكة سبأ وعبادتها وقومها الشمس دعاهم إلى الله. ودبر لهذه الملكة التي اشتهرت بالحكمة ورجاحة العقل ورباطة الجأش مع الثراء الواسع والملك العريض ما يدهشها ويبهرها ويحيرها ويخضعها، فيزيل عنها العجب والكبرياء اللتان تمنعانها عن إدراك دعوة سليمان ﷺ، وإنه لا مطمع له في دنيا ولا في ملك مع ما آتاه الله من ذلك الملك العريض، ولكنه يسعى لجعل ذلك كله في خدمة الدعوة إلى الله، وتسخير ذلك كله في سبيل الله وجذب الناس كافة في عصره إلى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد.

وقد نجح سليمان ﷺ في ذلك نجاحاً باهراً. وربط مملكته القوية والواسعة بمصاهرات مع مجموعة من الملوك الأقوياء المحيطين به، وأبقاهم على ملكهم بعد أن دخلوا في دين الله أفواجاً.

التفسير العلمي لقصة سليمان ﷺ وبلقيس ملكة سبأ، وكيفية نقل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين^(١):

قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ (النمل: ٤٠).

(١) نقلاً عن غنيم البورسعيدى. الأنترنت، متدييات طيف، ٢٨/٢/٢٠٠٧.

قصة سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ وموضوع نقل العرش لم يكن إلا ضرباً من ضروب السحر (حسب زعمهم)، فكيف يتمكّن مخلوق من إحضار عرش ملكة سبأ في ذلك العصر من على بعد آلاف الكيلومترات في جزء من ثانية قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه؟ ولكن العلم الحديث يخبرنا بأن هذا لا يتحمّن أن يكون سحراً فحدوثه ممكن من الناحية العلمية أو على الأقل من الناحية النظرية بالنسبة لمقدرتنا في القرن العشرين. أما كيف يحدث ذلك فهذا هو موضوعنا... الطاقة والمادة صورتان مختلفتان لشيء واحد، فالمادة يمكن أن تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة وذلك حسب المعادلة المشهورة، وقد نجح الإنسان في تحويل المادة إلى طاقة وذلك في المفاعلات الذرية التي تولد لنا الكهرباء، ولو أن تحكّمه في هذا التحويل لا يزال يمر بأدوار تحسين وتطوير، وكذلك فقد نجح الإنسان - ولو بدرجة أقل بكثير- من تحويل الطاقة إلى مادة وذلك في معجلات الجسيمات (Particle accelerator) ولو أن ذلك ما زال يتم حتى الآن على مستوى الجسيمات. فتحول المادة إلى طاقة والطاقة إلى مادة أمر ممكن علمياً وعملياً فالمادة والطاقة قرينان، ولا يعطل حدوث هذا التحول على نطاق واسع إلا صعوبة حدوثه والتحكّم فيه تحت الظروف والإمكانات العلمية والعملية الحالية، ولا شك أن التوصل إلى الطرق العلمية والوسائل العملية المناسبة لتحويل الطاقة إلى مادة والمادة إلى طاقة في سهولة ويسر يستدعي تقدماً علمياً وفنياً هائلين. فمستوى مقدرتنا العلمية والعملية حالياً في هذا الصدد ليس إلا كمستوى طفل يتعلم القراءة، فإذا تمكّن الإنسان في يوم من الأيام من التحويل السهل الميسور بين المادة والطاقة، فسوف ينتج عن ذلك تغيّرات جذرية بل وثورات ضخمة في نمط الحياة اليومي. وأحد الأسباب أن الطاقة يمكن إرسالها بسرعة الضوء على موجات ميكرونية إلى أي مكان نريد ثم نعود فنحوّنها إلى مادة! وبذلك نستطيع أن نرسل أي جهاز أو حتى منزلاً بأكمله إلى أي بقعة نختارها على الأرض أو حتى على القمر أو المريخ في خلال ثوان أو دقائق معدودة. والصعوبة الأساسية التي يراها الفيزيائيون لتحقيق

هذا الحلم هي في ترتيب جزئيات أو ذرات المادة في الصورة الأصلية تماماً، كل ذرة في مكانها الأول الذي شغلته قبل تحويلها إلى طاقة لتقوم بوظيفتها الأصلية. وهناك صعوبة أخرى هامة يعاني منها العلم الآن وهي كفاءة والتقاط الموجات الكهرومغناطيسية الحالية والتي لا تزيد على ٦٠٪ وذلك لتبدد أكثرها في الجو.

كل هذا كان عرضاً سريعاً لموقف العلم وإمكانياته الحالية في تحويل المادة إلى طاقة والعكس.. فلنعد الآن لموضوع نقل عرش الملكة بلقيس.

التفسير المنطقي لما قام به الذي عنده علم من الكتاب - سواء أكان إنسي أو جني - حسب علمنا الحالي، أنه قام أولاً بتحويل عرش ملكة سبأ إلى نوع من الطاقة ليس من الضروري أن يكون في صورة طاقة حرارية مثل الطاقة التي نحصل عليها من المفاعلات الذرية الحالية ذات الكفاءة المنخفضة، ولكن طاقة تشبه الطاقة الكهربائية أو الضوئية يمكن إرسالها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية. والخطوة الثانية هي أنه قام بإرسال هذه الطاقة من سبأ إلى ملك سليمان، ولأن سرعة انتشار الموجات الكهرومغناطيسية هي نفس سرعة انتشار الضوء أي ٣٠٠٠٠٠٠ كم - ثانية فزمن وصولها عند سليمان ثلاثة آلاف كيلومتراً.. والخطوة الثالثة والأخيرة أنه حوّل هذه الطاقة عند وصولها إلى مادة مرة أخرى في الصورة نفسها التي كانت عليها، أي أن كل جزء وكل ذرة رجعت إلى مكانها الأول!. إن إنسان القرن العشرين ليعجز عن القيام بما قام به هذا الذي عنده علم من الكتاب منذ أكثر من ألفي عام^(١). فمقدرة الإنسان الحالي لا تتعدى محاولة تفسير فهم ما حدث. فما نجح فيه إنسان القرن العشرين هو تحويل جزء من مادة العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم إلى طاقة بواسطة الانشطار في ذرات هذه العناصر. أما التفاعلات النووية الأخرى التي تتم بتلاحم ذرات العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين والهليوم والتي تولد طاقات الشمس والنجوم فلم يستطع الإنسان

(١) في الواقع حوالي ثلاثة آلاف عام لأن سليمان عليه السلام حكم من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد..

حتى الآن التحكم فيها. وحتى إذا نجح الإنسان في التحكم في طاقة التلاحم الذري، لا تزال الطاقة المتولدة في صورة بدائية يصعب إرسالها مسافات طويلة بدون تبديد الشطر الأكبر منها. فتحويل المادة إلى موجات ميكرونية يتم حالياً بالطريقة البشرية في صورة بدائية تستلزم تحويل المادة إلى طاقة حرارية ثم إلى طاقة ميكانيكية ثم إلى طاقة كهربائية، وأخيراً إرسالها على موجات ميكرونية. ولهذا السبب نجد أن الشطر الأكبر من المادة التي بدأنا بها تتبدد خلال هذه التحويلات ولا يبقى إلا جزء صغير نستطيع إرساله عن طريق الموجات الميكرونية. فكفاءة تحويل المادة إلى طاقة حرارية ثم إلى طاقة ميكانيكية ثم إلى طاقة كهربائية لن يزيد عن عشرين في المائة ٢٠٪ حتى إذا تجاوزنا عن الضعف التكنولوجي الحالي في تحويل اليورانيوم إلى طاقة فالذي يتحول إلى طاقة هو جزء صغير من كتلة اليورانيوم أما الشطر الأكبر فيظل في الوقود النووي يشع طاقته على مدى آلاف وملايين السنين متحولاً إلى عناصر أخرى تنتهي بالرصاص. وليس هذا بمنتهى القصد! ففي الطرف الآخر يجب التقاط وتجميع هذه الموجات ثم إعادة تحويلها إلى طاقة ثم إلى مادة كل جزيء وكل ذرة وكل جسيم إلى المكان الأصلي نفسه، وكفاءة تجميع هذه الأشعة الآن وتحويلها إلى طاقة كهربائية في الصورة نفسها التي أرسلت بها قد لا تزيد عن ٥٠٪ أي أن ما تبقى من المادة الأصلية حتى الآن بعد تحويلها من مادة إلى طاقة وإرسالها عن طريق الموجات الكهرومغناطيسية الميكرونية واستقبالها وتحويلها مرة أخرى إلى طاقة هو ١٠٪ وذلك قبل أن نقوم بالخطوة النهائية وهي تحويل هذه الطاقة إلى مادة. وهذه الخطوة الأخيرة - أي تحويل هذه الطاقة إلى مادة في صورتها الأولى - هو ما يعجز عنه حتى الآن إنسان القرن العشرين؛ ولذلك فنحن لا ندرى كفاءة إتمام هذه الخطوة الأخيرة، وإذا فرضنا أنه تحت أفضل الظروف تمكن الإنسان من تحويل ٥٠٪ من هذه الطاقة المتبقية إلى مادة، فالذي سوف نحصل عليه هو أقل من ٥٪ من المادة التي بدأنا بها، ومعنى ذلك أننا إذا بدأنا بعرش الملكة بلقيس وحولناه بطريقة ما إلى طاقة وأرسلنا هذه الطاقة على موجات ميكرونية، ثم

استقبلنا هذه الموجات وحوّلناها إلى طاقة مرة أخرى أو إلى مادة، فلن نجد لدينا أكثر من ٥٪ من عرش الملكة بلقيس، وأما الباقي فقد تبدّد خلال هذه التحويلات العديدة نظراً للكفاءات الرديئة لهذه العمليات، وهذه الـ ٥٪ من المادة الأصلية لن تكفي لبناء جزء صغير من عرشها مثل رجل أو يد كرسي عرش الملكة.

إن الآيات القرآنية لا تحدّد شخصية هذا الذي كان ﴿عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ هل كان إنسياً أم جنياً! وقد ذكر في كثير من التفاسير أن الذي قام بنقل عرش بلقيس هو من الإنس ويدعى آصف بن برخياء، ونحن نرجح أن الذي قام بهذا العمل هو عفريت آخر من الجن^(١)، فاحتمال وجود إنسان في هذا العصر على هذه الدرجة الرفيعة من العلم والمعرفة هو احتمال جد ضئيل. فقد نجح هذا الجني في تحويل عرش بلقيس إلى طاقة ثم إرساله مسافة آلاف الكيلومترات ثم إعادة تحويله إلى صورته الأصلية من مادة تماماً كما كان في أقل من ثانية، أو حتى في عدة ثوان إذا اعتبرنا عرض الجني الأول الذي أبدى استعداداه لإحضار العرش قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من كرسيه. فمستوى معرفة وقدرة أي من الجنيين الأول والثاني منذ نيف وألفي عام لأرفع بكثير من مستوى المعرفة والقدرة الفنية والعلمية التي وصل إليها إنسان القرن العشرين». انتهى ما ذكره الأستاذ غنيم البورسعيدي.

أهم آثار مملكة سبأ

روى الهمداني في كتابه الإكليل (الجزء الثامن) وفي كتابه (صفة جزيرة العرب) أنه شاهد أكثر من مائة سد، رغم أن أكثرها قد تهدم، إلا أن آثارها كانت بادية للعيان إلى زمنه (بداية القرن الرابع الهجري). وذكر منها سد مأرب وهو

(١) لا يوجد أي دليل على أنه من الجن، فالآية قد صرّحت بما قاله عفريت من الجن، ثم قال الله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ وقد أجمع أهل التفسير على أنه صدّيق من الإنس يدعى آصف بن برخيا. وليس في ذلك غرابة. ووجود إنسان عنده علم من الكتاب ليس محصوراً بزمن معين. وليس هذا العلم من العلوم المعروفة في زمننا هذا. بل هو علم خاص باسم الله الأعظم الذي تتفعل له الأشياء انفعالاً مبهوراً فوق تصوراتنا الحالية.

أعظمها وأشهرها، ومنها (الخانق) بصعدة، و(ريعان) في ذمار، و(حبرة) في أضرة من بلد عنس، ويقول أحمد حسين شرف الدين إنه لا تزال آثاره باقية إلى اليوم^(١٩). وهناك مجموعة من السدود الصغيرة تبلغ ثمانين سدّاً في منطقة يحصب، وأشهرها (قصعان) قريباً من قرية ذي صارف (قتاب) و(شمران) في خلة عويدان، و(عراش) و(طمحان) و(عاد) و(سحر) و(ذي سهل) و(ذي رعين) و(مفاضة) عند قرية ربيع و(نظار) في الشعر، و(هران) و(الشعباني) و(الملكي) و(النواصي) و(المهيد) بالقرب من قرية منكث. و(نصاف) و(سد بيت كلاب) في همدان.

مدينة مأرب وسد مأرب

تقع مأرب على بعد ١٩٢ كيلومتراً شمال شرق صنعاء. وقد بنيت لتكون نقطة ارتكاز تجارية حيث تأتي قوافل البخور (اللبان المرّ) عبر شبوة (عاصمة حضرموت) أو عبر تمنح (عاصمة الدولة المعينية) من ظفار المهرة المشهورة بزراعة اللبان خصوصاً. وعندما تصل إلى مأرب ترتاح القوافل بعد دفع ضريبة اللبان والمر (العُسر لمعبد الإله الملقّه)، ثم تخرج القوافل شمالاً حتى تصل إلى غزة (فلسطين) ومدن الشام الأخرى في رحلة تستغرق أكثر من شهرين.

وكانت هذه القوافل تنقل منتجات الهند والصين التي تصل إلى قانا (بيرعلي) وعدن بحرّاً ومنها تتجه براً إلى الغرب لتصل إلى تمنح وشبوة ثم مأرب. وكانت بالإضافة إلى ذلك تحمل منتجات اللبان (البخور) والمر وسائر العطريات وأنواع الأحجار الكريمة كالعقيق اليماني المشهور والمجّزّ والياقوت وغيره من الأحجار الكريمة واللؤلؤ من عمان والخليج وبعض المغاطس اليمنية والمعادن كالذهب والفضة والنحاس. وتتجه هذه البضائع إلى الشام شمالاً ومنه إلى اليونان والرومان أو تتجه غرباً إلى مصر عبر البحر الأحمر.

(١٩) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ص ١٠٥، نقلاً عن الإكليل ج ٨ / ١١٥-١١٧.

ولقد كانت مأرب كما قال ويندل فيليبس (المستشرق والبحاث الأمريكي) أكبر وأغنى المدن القديمة في شبه الجزيرة العربية ومركزاً لحضارة ترجع إلى ثلاثة آلاف عام مضت (ألف عام قبل الميلاد) «ومأرب هي العاصمة الثانية والأهم لسبأ، أما الأولى فكانت صرواح».

ولا يعرف من هو باني هذه المدينة القديمة، ولكن بعض النقوش تشير إلى أن المكربي يثعمر بن سمهعلي بنوف (٦٤٠ - ٦٢٠ ق.م) بنى بابين للمدينة مأرب وحصنها ببروج بناها من البلق...

وتنتشر في مدينة مأرب الحالية آثار السور القديم وخرائب مبعثرة حولها، وفيها الكثير من الأحجار المنقوشة والمكتوبة بالخط المسند. وقد سرقت كميات منها وهي الآن موجودة في المتاحف العالمية مع كثير من التماثيل، ولكن لا يزال يوجد في متحف مأرب كما يقول أحمد حسين شرف الدين أكثر من ثلاثمائة قطعة من الرخام، بعضها تماثيل كاملة وبعضها مجرد رؤوس^(٢٠). وفي وسط مأرب بقايا أعمدة قصر ضخيم يعرف عند العامة بهيكل سليمان. وفي جنوب المدينة بمسافة كيلومترين يقع ما يُسمى عرش بلقيس والمعبد^(٢١) وستحدث عنها بعد قليل. وسنبداً بسد مأرب، المعروف أيضاً بالعرم وهو أشهر آثار اليمن وأعظم عمل هندسي في الجزيرة العربية كلها.

ويقوم هذا السد في وادي ذنه الذي تقع مدينة مأرب على الضفة الشمالية منه. وقريباً من مأرب يقع الجبل المسمى بجبل بلق. وفيه يشق وادي ذنه ممراً ضيقاً وعميقاً مقسماً ذلك الجبل إلى قسمين يعرفان ببلق الأيمن وبلق الأيسر. وأمام الممر الصخري الضيق (المعروف الآن بالضيقة) أقام أهل سبأ في عهود المكربيين (من

(٢٠) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢١) المصدر السابق.

القرن التاسع قبل الميلاد) جداراً سميكاً طوله حوالي ١٨٠٠ قدم وغطوه بالصخور الكبيرة من الجانب المواجه للسيل وجعلوا في كل طرف من ذلك الجدار فتحة للتصريف تسمى الصدف (وهما اثنتان الصدف الأيمن والصدف الأيسر). وبذلك تمكنوا من حجز مياه السيول ورفعوا مستواها لتصل إلى الأراضي الزراعية الواقعة على جانبي بطن الوادي المنخفض... وبالتالي فإن الهدف من بناء السد كما يقول الباقرية^(٢٢) هو رفع مستوى المياه لتصل إلى مستوى أعلى يمكنها من سقي الجانبيين المرتفعين للوادي (أي الجنتين اللتين وصفهما القرآن الكريم).

ويقول شرف الدين^(٢٣) إن هناك أسماء أربعة من المكربيين (ملوك سبأ الأوائل) موجودة على واجهة الصدف الأيسر والأيمن والمصارف الأخرى وهؤلاء هم:

(١) يثعمر بن سمهعلي ينوف وقام بتكميل ما كان قد شرع فيه والده في بناء بعض واجهات السد. وقد حكم والده ما بين سنة ٨٠٠ و ٧٨٠ ق.م وشاركه في الحكم ابنه.

(٢) يدع إل بين بن يثعمر (٧٨٠ - ٧٥٠ ق.م) واسمه على الصدف الأيسر من السد بالخط المسند.

(٣) ذمار علي ذراح بن يدع إل مكرب (٧٣١ - ٧٢١ ق.م) واسمه على الصدف الأيمن.

(٤) كرب إل بين بن يثعمر مكرب (٧٢٠ - ٧١٠ ق.م) واسمه مكتوب على أحد مصارف الصدف الأيسر.

وقد شيّد السدّ بالحجر البلق ذات القطع الهائل والنحت الدقيق ولا يزال كل من الصدف الأيمن والأيسر قائمان يمثلان البنيان المرصوص بكامل معناه. أما العرم (عرمن) فقد تهدم منذ أزمنة قديمة. وكان يبلغ طول البناء فيه عرض الوادي

(٢٢) محمد عبد القادر الباقرية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٨٨.

(٢٣) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ١٢١-١٢٨.

بما يجاذي ارتفاع الجبلين^(٢٤)... وتتجه المياه المحجوزة إلى خزان يصل طوله إلى ثلاثة كيلومترات وعرضه ما بين ٨٠٠ إلى ألف متر. وبالتالي تتحول المنطقتين المحاذيتين للسدّ إلى جتتين لوفرة المياه لهما طوال العام...

واستمر هذا السدّ يقوم بوظيفته الهامة في خزن المياه ما يقرب عن ١٤٠٠ عام أي منذ ابتداء القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن السادس بعد الميلاد، وهو تاريخ انهياره الأخير إثر اجتياح السيل للعرم. وقد أصيب السدّ بالتصدّع ثلاث مرات وقد أعيد ترميمه في كل واحدة منها، وهي:

(١) سنة ١٤٥ ق.م. أثناء ثورة الهمدانيين ضد الريدانيين، واستمر مهدماً حتى سنة ١١٥ ق.م. وفي هذه الفترة حدثت الهجرة الكبرى لقبائل اليمن وبالذات قبيلة سبأ وفروعها وقد ذكر القرآن العظيم ما حلّ بهم عقوبة لهم على كفرهم بنعم الله، وهي عليهم سابعة، وقد سبق ذكر الآيات وتفسيرها.

وفي هذه الفترة نزحت قبيلة غسان إلى حوران في جنوب سوريا وأقاموا دولة الغساسنة المشهورة، ونزحت قبيلة لخم إلى أرض الحيرة في جنوب العراق وأقاموا دولة المناذرة، ونزحت بعض قبائل كندة وأقاموا لهم دولة تمتد إلى البحرين شرقاً وإلى حضرموت جنوباً. وهاجر الأزدي إلى عمان وإلى مكة (خزاعة) وإلى المدينة (بني قيلة الأوس والخزرج) والبحرين. وأقاموا لهم دويلات قبلية، والغساسنة يعودون إلى الأزدي أيضاً، وأقاموا في عمان وبنوا مدينة صور البحرية.

(٢) ثم أعاد الملوك الهمدانيون من ملوك جَمَيْر بناء السدّ، وتهدم مرة أخرى في أوائل القرن الخامس للميلاد، وذلك أثناء حكم الملك شرحبيل بن يعفر بن أبي كرب أسعد الكامل (٤٢٥ - ٤٥٥ بعد الميلاد). وقد قام هذا الملك بترميم السدّ ترميماً كاملاً وقام بإصلاحات كثيرة في حفر القنوات. وبعد أن انتهى من عمله هذا

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٢٣.

وضع نصّاً كاملاً لعمله، وهو من أهم النصوص المتعلقة بالسدّ والتي لا تزال موجودة، وكان الانتهاء من العمل سنة ٤٥٠ ميلادية.

(٣) تهدم السدّ في عهد أبرهة بن الصباح الأشرم الحبشي الذي حكم اليمن وسط القرن السادس للميلاد. وقد قام شرف الدين بنسخ ما كتبه أبرهة بعدما أصلح هذا السدّ وترجمه ونشره في كتابه (نقوش سبئية من مأرب). وقد تمّ إعادة بناء السدّ سنة ٥٤٣ ميلادية. ووضع شرف الدين ملخصاً لهذين النصين الهامّين في كتابه «اليمن عبر التاريخ»^(٢٥). وفي كل منهما اسم الملك ولقبه وتاريخ الترميم والأعمال الهندسية التي قام بها وكما كانت كلفتها ومتى تمّ هذا العمل بالشهر والسنة (التاريخ الحميري) وعدد العمال الذين اشتركوا في العمل ومقياس طول وعرض السدّ وعدد الأغنام والأبقار والجمال التي ذبحت وكمية البر والشعير والذرة والتمر والسمن التي استهلكت وشكر الإله وشكر القبائل التي تعاونت في بناء السدّ.

ويبدو أن السدّ تهدّم مرة رابعة في أيام سيف بن ذي يزن أو قبله مباشرة أثناء الحروب لطرد الأحباش، ولم تقم له قائمة بعد ذلك إلى العصر الحاضر عندما قام الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الإمارات ببذل المال ومساعدة اليمن لإعادة بنائه مرة أخرى. وقد قام البناء مرة أخرى شائخاً كما كان.

عرش بلقيس بمأرب (معبد المقة)

يعتبر معبد المقة (الإله القمر) إحدى روائع الفن اليمني القديم. وهو شعار سبأ وأهم ألهتهم في معظم المراحل. كما أن الشمس كانت أهم هذه الآلهة في عهد سليمان عليه السلام كما قصّ الله سبحانه وتعالى علينا ذلك في سورة النمل، في قصة ذلك الهدهد الذي طار إلى اليمن وعرف أسرارها؛ كما قد مرّ معنا.

(٢٥) المصدر السابق، ص ١٢٨-١٣٢.

والمُقه الإله القمر له أسماء أخرى مثل (سين) و(شهر) و(ود) و(نهبوان) و(هران) و(تالب ريام).

والشمس لها أسماء عديدة عندهم منها (ذت نكرح) و(ذت حميم) و(ذت بعدان) و(ذت غضرن) و(ذت بران) و(ذت صتتم) و(ذت مخزن) و(ذت رحبن). وذت هي ذات وعثر أو الزهرة هي عثر وعشروت وفينوس، ومن أسماء الزهرة في اليمن عثر، و(ذو قبض) و(ذو يحرق)، و(عثر شرقن) أي الشارق، و(عثر ذو يهرق) و(ذو حنست) و(ذو جرب) و(حجر) و(بهروير) وغيرها من الأسماء.

وتوجد صورة منقوشة للشمس والقمر على عمود ضخم نصب على رأس الجبل المطل على باب الفلج جنوبي مأرب. وهو من آثار سبأ الأولى، وقد سُمي فيها القمر باسم (ود). أما المعبد نفسه فيسمى (أوام) و(محرم بلقيس) و(نهبوان) ويطلق عليه السكان (عوام) والأصل هو أوام وهو اسم القبيلة كما يقول شرف الدين لأنها كانت تسكن مأرب^(٢٦)، وعرش بلقيس الأسفل.

وهذا المعبد بناء ضخم مثلث يبلغ قطره حوالي ألف قدم. وطوله غير متساوي كما يذكره ويندل فيليبس^(٢٧) حيث يبلغ طول أحد الأضلاع ٣٧٥ قدماً ويبلغ طول الآخر ٢٥٠ قدماً. وتبلغ مساحة قاعته $٥٧ \times ٥٢ = ٢٩٦٤$ قدماً مربعاً^(٢٨). ويشتمل المعبد على عدة مربعات أقيم بينها ٣٢ عموداً، يبلغ طول الواحد منها ٢٧ قدماً، وعرضه ٨٠ سنتيمتراً وسمكه ٦٠ سنتيمتراً، ولا تزال ثمانية أعمدة منها قائمة حتى اليوم. ويقول الهمداني في الإكليل بأنه لو اجتمع أهل قرية لإزالة

(٢٦) المصدر السابق، ص ١١٦.

(٢٧) ويندل فيليبس: كنوز مدينة بلقيس ص ٣١٨.

(٢٨) المصدر السابق.

واقترع واحد منها لما استطاعوا لأنها قد ثبتت في الأعماق على الصخر وصهر عليها القطر (أي النحاس المذاب)^(٢٩).

وقد أقيمت الأعمدة على طريقة فنية على جهة المزاوجة، فقد نقب في الأساس ثقب صغير لكل عمود (٣ سم) ونحت في أسفل العمود القدر الذي ينطبق على الثقب. وهكذا أقيمت جميع الأعمدة المستقيمة والمعرضة بشكل هندسي متناسق، كما يقول شرف الدين في كتابه «اليمن عبر التاريخ»^(٣٠) ومحمد توفيق في كتابه (آثار معين في الجوف). وقد احتار الباحثون في كيفية رفع هذه الأعمدة الضخمة التي تنتهي بشكل مخروطي من أعلى. ويقوم عليها سقف واحد متحرك لكامل المعبد كما يرى ويندل فيليبس^(٣١). وهذا يؤيد رأي الباحث جلازر بأن هذه الأعمدة كانت في يوم من الأيام قواعد لعرش بلقيس^(٣٢).

وهناك بقايا بناء من سبعة أعمدة على بعد مائتي متر غرب هذا المعبد ويسميه الأهالي قصر سلحين، وربما كان هذا الأخير هو عرش بلقيس المشهور.

ويوجد على الحيطان ٦٤ نافذة اصطناعية منقوشة على الحجر البلق، مع كثير من التجاويف والصور التي تمثل القرابين، والأحجار ذات الصنعة المزدوجة الموشاة بمعدن الرصاص والزئبق. وفي نهاية كل حائط مربع منحوت موشى بالبرونز. وإلى جانب المعبد بناء دائري يصل بينه وبين المعبد باب. ومن الجانب

(٢٩) الهمداني: الإكليل ج ١٠/٨٧.

(٣٠) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ص ١١٧، وينقل ما كتبه محمد توفيق في كتابه آثار معين في الجوف.

(٣١) كما ينقله عنه شرف الدين، المصدر السابق ص ١١٨.

(٣٢) المقصود ملكة سبأ التي كانت في عهد سليمان والتي كان لها عرش عظيم. وربما كان اسمها بلقيس وهي قطعاً ليست بلقيس بنت الهداد التي ظهرت وملك في القرن الرابع بعد الميلاد وبينهما
١٣٠٠ عام.

الشرقي للمعبد أقيم بناء يشبه الكُلية، وترتفع بعض جوانبه ٢٧ قدماً، وقد بُني بعناية فائقة من طرفيه، وحشي بالرمل والحجارة، ولعله أقيم لدفع العواصف الرملية أو لمقاومة المياه إذا تدفقت من ناحية السد^(٣٣).

ويوجد على مقربة من المعبد ما يزيد على ١٥ نصاً منقوش عليها، وهي تمثل قواعد لتماثيل قد فصلت وأزيلت ولم يبق منها إلا أثر لأقدامها. وقد اكتشف هذه المجموعة ويندل فيليبس خلال رحلته التنقيبية (١٩٥٢) في اليمن. وتدل الكتابة على هذه القواعد على أنها أهديت للإله المقه (القمر)، وعليها أسماء الملوك والقادة الذين أهدوا هذه التماثيل البرونزية إلى المعبد.

ومن أهم هذه النصوص نص كتب فيه اسم الشرح يحضب وأخوه يازل بين ملك سبأ وذي ريدان ابنا فرع ينحب ملك سبأ وذي ريدان. وفيه ترجمة طويلة للملكين وأنها أهديا تماثيلهما للمعبد. والشرح يحضب هو الملك الخامس من ملوك سبأ وذي ريدان وقد حكم مع أخيه يازل من سنة ٣٥ إلى ١٥ قبل الميلاد.

وهناك نص آخر للملك نشأ كرب بن الشرح يحضب (١٥ - ٥ قبل الميلاد)، كما أن هناك نصوصاً أخرى لبعض ملوك وأقيال سبأ^(٣٤).

ويرجع أكثر الباحثين تاريخ بناء هذا المعبد إلى ما بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد. أما ويندل فيليبس فيرجعه إلى القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد. وقد ثبت أن يدع إل ذرح بن سمهعلي ينوف (٨٢٠ - ٨٠٠ قبل الميلاد) قد أقام جدار معبد المقه وكتب اسمه على نص منقوش من البرونز، وكتب اسمه أيضاً على القائمة العليا على معبد آخر هو معبد معربم على بعد ٤٥ كيلومتراً جنوب مأرب.

(٣٣) شرف الدين: اليمن عبر التاريخ ص ١١٩.

(٣٤) المصدر السابق ص ١١٩.

والخلاصة، كما يقول شرف الدين، إنه ليس من المستبعد أن تكون ملكة سبأ المشهورة (بلقيس) على عهد سليمان (القرن العاشر للميلاد) قد بنت هذا المعبد والعرش. ثم جاء بعدها بأكثر من قرن ملك آخر فأعاد بناء جدار هذا المعبد^(٣٥). وقد تم اكتشاف معلم أثري كبير في محيط معبد أوام بمنطقة مأرب حديثاً وفيه معبد ضخيم ورائع للشمس.

عرش (بلقيس) بصرواح

تقع صروح الأثرية على بعد ١٤٢ كيلومتراً شرق صنعاء، وعلى بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مأرب. وهي أقدم عهداً من مأرب. وتدعى أنقاض صروح اليوم (خربة) لأنها قد خربت. ومعبد صروح مثلث قائم الزاوية يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر قبل الميلاد (زمن سليمان عليه السلام) وبالتالي زمن ملكة سبأ التي تحدث عنها القرآن الكريم وسفر الملوك الأول من العهد القديم). وقال المستشرق جلاوزر إن هذا البناء قد شيد بالمرمر الأبيض المنحوت نحتاً جميلاً، وقد أحيط بسور خارجي من المرمز. ويبلغ طول المعبد ٢٧ خطوة و١٢ عموداً، لا يوجد الآن إلا بقاياها وعليها كتابات بالخط المسند. وفي وسط المعبد توجد صخرة مستطيلة من البلق لا يقل وزنها عن أربعة أطنان، مكتوب في جميع جوانبها بالخط المسند. وعلى مسافة ٨٠ متراً من المعبد يوجد قصر يعرف باسم قصر بلقيس. وكانت توجد بجانبه عدة قصور يقول الأهالي إنها كانت لبلقيس وكان به عرشها. ولذلك يعرف هذا القصر بعرش بلقيس الأعلى^(٣٦).

(٣٥) المصدر السابق ص ١٢٠.

(٣٦) المصدر السابق، ص ١٢٠، ١٢١.

قصر عُمدان

هو أحد القصور اليمنية القديمة المشهورة. وموقعه في شرق صنعاء وقد بناه الشرح يحضب بن فرع ينهب (الملك الخامس من ملوك سبأ وريدان وحضرموت ويمنات وقد حكم من سنة ٣٥ ق.م. إلى سنة ١٥ ق.م.).

ووصفه الهمداني في كتابه «الإكليل»^(٣٧) وقال إنه يتكون من عشرين طبقة، بين كل طبقتين عشرة أذرع. وكانت آخر طبقة من الرخام الشفاف. وعلى أركانه أربعة تماثيل نحاسية مجوفة فإذا هبت الريح دخلت أجواف التماثيل فيسمع لها صوت كزئير الأسد. وكانت أعلى غرفة من الدار (المفرج) اثني عشر ذراعاً مربعاً تطل على المنطقة كلها وإذا أضيئت يمكن رؤيتها من رأس جبل «عجيب» على بعد ٩٠ كيلومتر من صنعاء. وأفاض الهمداني في وصف القصر ودعائم الرخام والنقوش والزخارف وما يحتويه من ريش وأثاث فاخر وأستار وزينات.

وقد تهدم القصر في القرن الهجري الأول (السابع الميلادي). ولم يُعد بناؤه أبداً.

(٣٧) ذكر أحمد حسين شرف الدين أن هذا الوصف لعمدان في صفة جزيرة العرب للهمداني، وقد وهم وهو في الإكليل الجزء الثامن. وليس في صفة جزيرة العرب وفيه قال: وقد جمعت أخبارها (أي صنعاء) في القديم في كتاب الإكليل وأضربنا عن ذكر قديمها في هذا الموضع صفحا. (ص ١٠٣ من صفة جزيرة العرب).

وقد أقام المتحف البريطاني معرضاً باسم: «ملكة سبأ: كنوز من اليمن القديم». عرض فيه معروضات أثرية وأعمال فنية توضح الحضارة اليمنية في سبأ.

واستمر المعرض من ٩ يونيو إلى ١٣ أكتوبر ٢٠٠٢ وزاره جمع غفير من المهتمين والجمهور.



رسمه تخيلية لملكة سبأ

بلقيس وكنوز اليمن

في المتحف البريطاني

نقلًا عن (BBC)

بقلم: خليل عثمان - لندن

لم يرتبط تاريخ اليمن السحيق باسم مثلما ارتبط باسم بلقيس ملكة سبأ التي ورد ذكرها في الكتب السماوية، والتي حيكت حولها الأساطير، والحكايات والقصص، لتبدي من خلال الكم المتراكم عبر القرون من الصور والتداعيات والأخيلة العالقة في الوجدان الشعبي وأعمال العديد من الفنانين رمزاً تتواشج فيه معالم الجمال



لوحة صعود لملكة سبأ
للرسام الفرنسي كلاود لورين

الفاتن، والرخاء العميم، والثروة الوفيرة والقوة المنيعة.

«ملكة سبأ: كنوز من اليمن القديم» هو عنوان المعرض الذي افتتح في المتحف البريطاني في ٩ يونيو/ حزيران ٢٠٠٢ واستمر حتى ١٣ تشرين الأول/ أكتوبر.



صورة لبلقيس مع المدهد في مخطوط فارسي من عام ١٥٩٠

سعى المعرض من خلال تشكيلة من المعروضات الأثرية والأعمال الفنية، إلى تسليط الضوء على كنوز من تراث اليمن القديم تستحضر تاريخاً بائداً ولمحات من تفاصيل الحياة اليومية في جنوبي الجزيرة العربية.

وقد تم إحصار معظم هذه المعروضات من اليمن بينما جُمع القسم المتبقي منها من مقتنيات المتحف البريطاني نفسه ومقتنيات خاصة أخرى.

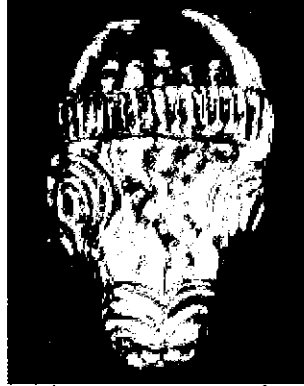
ويقول منظم المعرض سانت جون سيمبسون، من قسم الشرق الأدنى القديم في المتحف البريطاني، إن منظمي المعرض حرصوا على تقديم أعمال فنية لا تعكس فقط قصة بلقيس في الموروث الديني والفلكلوري وتصور كيفية تطورها، ولكنها تسعى أيضاً إلى استكشاف التاريخ القديم لجنوب الجزيرة العربية من خلال الاكتشافات الأثرية التي تدل على وجود حضارة غنية فيها منذ العصر البرونزي.

بلقيس كرمز جمالي

لدى دخول المعرض، يشعر المرء بالحضور الطاغي لبلقيس كرمز للفتنة والجمال من خلال لوحات تحكي بلغتها التصويرية المشهدة قصة بلقيس ولقائها

الشهير بسليمان الملك، وتنم عن حرص على تقديم أعمال فنية تعكس التباينات في قصة بلقيس لدى الأديان السهاوية الثلاثة.

غير أن صورة بلقيس تجاوزت القصص الديني لتدخل في أحلام وخيالات الفنانين. لذا يقدم المعرض نماذج من صورة بلقيس في الفن الأوروبي في العصر الحديث، والقرن التاسع عشر، وعصر النهضة. وتطغى على هذه الأعمال رؤى استشراقية لبلقيس ليس كرمز لجمال المرأة فحسب، بل كذروة الإغواء.



رأس نور ذهبي يرمز إلى ألقبة
كبير الآلهة
عند اليمنيين القدماء

ولعل ريشة إدوارد بوينتر، الفنان البريطاني من القرن التاسع عشر، تمثل أرقى تجليات هذه الرؤى.

وتنبئ لوحات بوينتر المعروضة في المعرض عن حرص واضح على إبراز التفاصيل التاريخية والدقة المعمارية، معتمداً على ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في الشرق في أيامه.

حمل الخناجر

ويقدر ما يهتم المعرض بإبراز صورة بلقيس، فإن تفاصيل حضارة القسم الجنوبي من الجزيرة العربية تحتل حيزاً واسعاً من المعارضات التي تقدم نماذج من التماثيل والفخاريات والحلي التي كشفت عنها آخر الحفريات الأثرية في المنطقة.

ويقول سيمبسون: «نحاول أن نروي قصة العصور السحيقة في اليمن عبر القصة الشهيرة عن لقاء سليمان بملكة سبأ».

فلا غرو إذن أن يأتي المعرض مترعاً بقطع فنية، وأعمال يدوية شتى، ونقوش، وتمائيل، ومنحوتات، وإيقونات دينية، ومباخر، ومجوهرات، ومسكوكات نقدية.

بعض هذه المعروضات سبئي وبعضها من مناطق أخرى في جنوب الجزيرة العربية، مثل مجموعة من التماثيل المرمية من أوسان، وهي مملكة قامت في المنطقة في القرون الأخيرة من الألف الثاني قبل الميلاد.



يد برونزية عليها نقوش

واللافت في تماثيل الرجال المعروضة أنها تمثلهم وهم يتمنطقون بخناجر، ما يؤكد أن عادة حمل الخناجر هي عادة موغلة في القدم في اليمن.

وتشي المعروضات بمؤثرات حضارية من مختلف الحضارات القديمة، بما فيها الحضارة المصرية، واليونانية، والرومانية، والفارسية والحبشية.



مبخرة من حجر كلسي
من القرن الثالث الميلادي

أرض الطيب والبخور

بيد أن تاريخ جنوب الجزيرة العربية لا يتجلى في معرض المتحف البريطاني من خلال المعروضات ذات المفردات البصرية التي تخاطب العين فحسب، بل ينساب أيضاً إلى باقي الحواس، صدى موسيقى تصدح في أرجاء الغاليري وأريجاً يفوح برائحة البخور، ما يوقع في النفس شعوراً بسفر يطوي الزمن إلى ماضٍ بعيد.

وغنيّ عن القول إن كنوز الماضي الساحر لليمن وجنوب شبه الجزيرة العربية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتجارة البخور والعمور واللبان، المستخدمة في الطقوس الدينية، والمعابد، والقصور، فضلاً عن بعض الاستخدامات الطبية.

ويعتبر بعض المؤرخين أن زيارة بلقيس إلى سليمان كانت ذات دوافع تجارية، بهدف تسهيل حركة تجارة العطور والبخور من اليمن إلى بلاد الشام وفلسطين. وتشير بعض الصور المعروضة في المتحف إلى الدور الذي لعبه تدجين الجمل، الذي يرجع تاريخه إلى أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، في ازدهار تجارة سبأ، وذلك بفضل قدرته على حمل الأثقال وتحمله للعطش ما يمكنه من قطع مسافات طويلة في الصحراء.

مومياوات يمنية

وكما اهتم المعرض بعرض تفاصيل الحياة في شبه الجزيرة العربية، فإنه اهتم أيضاً بعرض تفاصيل الموت، والمعتقدات الدينية في شأن الموت والحياة الآخرة، وذلك من خلال مجموعة من النصب الجنائزية، وشواهد القبور وصور لمدافن قديمة. ولعل أبرز ما في تفاصيل الموت في اليمن القديم هو المومياوات التي عثر عليها مؤخراً في مغارات جبلية على مقربة من صنعاء استخدمها اليمنيون القدماء كمقابر.

ويفيد سيمبسون بأن المومياوات التي عثر عليها في اليمن تعطي دليلاً على تقدّم في فن التحنيط لدى اليمنيين القدماء إلى درجة توازي تلك التي عرفها المصريون القدماء، وبالتالي فإن اليمن هي المكان الثاني في العالم بعد مصر يعثر علماء الآثار فيها على مومياوات محنطة.



نصب لبقبر يبدو عليه تمثال لرأس المرأة المدفونة

يبقى أن نشير إلى أن المعرض رافقته تظاهرة ثقافية حيث أقيمت على هامشه فعاليات شتى سلطت مزيداً من الضوء على التاريخ القديم لجنوب الجزيرة العربية من خلال سلسلة محاضرات، وورشات عمل خاصة، وحفلات موسيقية، وبرامج أخرى.

ويعرب سيمبسون عن اعتقاده بأن الكم الكبير من القصص والأساطير الذي يكتنف تاريخ اليمن «له أساس من الصحة». بيد أن التحدي، يتابع سيمبسون، يتجسد في الكشف عن مكونات هذا الأساس حيث إن «أكثر الموروثات الفلكلورية ثراء تبرز عندما يكون لديك أقل قدر من الأدلة التاريخية».

الفصل الخامس

مملكة سبأ ومريدان

١١٥ ق.م - ٢٧٥ بعد الميلاد

في الفصل الأول من الكتاب، كان الحديث عن اليمن، أين هي؟ وما حدودها؟، وتمّ التطرّق باختصار شديد إلى الممالك القديمة في اليمن، وأهم هذه الدول هي دولة سبأ التي امتدّ حكمها من ١٠٠٠ ق.م إلى ٥٢٥ بعد الميلاد. وهي فترة طويلة جداً، تحوّلت فيها السيطرة من قبائل سبأ إلى قبائل حمير. وكما أوضحنا في الفصل الثاني: «القبائل اليمنية: نظرة سريعة»، فإن حمير تنتسب أيضاً إلى سبأ الأكبر، وهو عامر (وقيل عبد شمس). وأولاد سبأ: كهلان، ومنه تفرّعت همدان والأزد وغيرهم، وحمير، ومنه تفرّقت قبائل حمير، ومجموعة من الأبناء عرفوا بالسبئيين، وهم الذين أسسوا مملكة سبأ الباذخة.

وفي الفصل السابق، تمّ الحديث عن مملكة سبأ، وما ورد عنها في القرآن الكريم، وفي كتب التاريخ، وما سجّله اليونان والرومان عنها، وما ذكرته النقوش والآثار، وأهم آثارهم، وما جاء في كتاب العهد القديم عنها. وتمّ استعراض تاريخ مملكة سبأ، المسجّل والموثق من سنة ٨٥٠ قبل الميلاد إلى عام ١١٥ قبل الميلاد. وتنقسم هذه الفترة إلى مرحلتين هي:

(١) حكم المكريين: أي الملوك الذي تلقبوا بلقب مكرب. ولعلّها كما يقول الشاطري في «أدوار التاريخ الحضرمي»، تعني المقرب، أي الذي يقدم القرابين للآلهة ويقربها لهم. وتمتدّ هذه الفترة من سنة ٨٥٠ ق.م إلى سنة ٦٢٠ ق.م. وتبدأ بسمهلي ينوف بن ذمار علي (٨٥٠ - ٨٢٠ ق.م)، وتنتهي بكرب إل وتر (وتار) الذي حكم من سنة ٦٢٠ إلى سنة ٦١٠ ق.م. وتوسّع ملكه، وصار يلقب بالملك. وله مشاريع ضخمة، ومعارك عديدة، انتصر فيها، وقضى فيها تقريباً على مملكة أوسان المنافسة، وله نقش طويل، يسمى نقش النصر في صرواح، وقد ذكرنا نبذة منه كافية.

(٢) مرحلة ملوك سبأ ٦٢٠ - ١١٥ ق.م: وتبدأ بكرب إل وتر (٦٢٠ - ٦١٠

ق.م) الآنف ذكره، وتنتهي بالشرح يحضب بن فرعم ينهب (١٢٥ - ١١٥ ق.م)^(١)، الذي انهزم أمام علهان بن نهفان الحميري أو الهمداني، الذي بدأ مرحلة جديدة من سنة ١١٥ ق.م. وهي الدولة التي سيطر فيها الحميريون على مجريات الأمور. وتلقبوا أولاً بملوك «سبأ وريدان». ونقلوا عاصمتهم من مأرب إلى ظفار (باريم)، والتي تقع شمال تعز وجنوب صنعاء. ثم انتقلوا بعد ذلك إلى صنعاء، وجعلوها عاصمتهم، ومع توسع المملكة، تحوّل اللقب الملكي فيما بعد، من ملك «سبأ وريدان»، إلى ملك «سبأ وريدان وحضرموت»، ثم أضيف إليه «يمنت»، ثم «طودم»، أي المناطق الجبلية، وتهمت أي تهامة. وصار اللقب طويلاً جداً هكذا: «ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودم (طودا) وتهامت (أي تهامة أو المناطق الساحلية)».

وتحدّث دائرة المعارف الإسلامية مادة جَمِير^(٢) عن شعب جَمِير، الذي قال عنه المؤرخ الروماني بليني Pliny (في كتابه التاريخ الطبيعي ج ٦ / ١٦١)، الذي رافق إيليوست جاليوس في حملته على اليمن سنة ٢٤ قبل الميلاد: أن هؤلاء القوم (أي جَمِير) هم أوفر القبائل عدداً. ويذهب استرابون إلى أن مريابا (مأرب) حاضرة سبأ كانت أيام الغزو الروماني تحت حكم الملك الحميري إيل عز (ولفظ إيل يعني الله ﷻ)، ويحرف إلى الأزاروس وترجح دائرة المعارف الإسلامية إن الأزاروس هذا هو نفسه الشرح يحضب بن فرعم ينهب، الذي حكم في الفترة ما بين ٣٥ وإلى ١٥ قبل الميلاد (أي في فترة الغزو الروماني سنة ٢٤ أو ٢٥ قبل الميلاد)، والذي تلقب بملك سبأ وذي ريدان، أو بعبارة أخرى ملك سبأ وجمير.

وعندما ظهر كتاب رحلة (طواف) حول البحر الأحمر Periplus Maris

(١) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٨٢، آخر ملك في قائمة ملوك سبأ، ثم يبدو أن هناك شرح يحضب آخر بعده.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، لمجموعة من المستشرقين، ترجمة أحمد الشتاوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس. دار المعرفة - بيروت (تصوير) ج ٨ / ١١٤ - ١١٧.

Erythrae لمؤلف مجهول (كتب فيما بين سنة ٤٠ إلى ٧١ بعد الميلاد)، كان الجُمَيْرِيُّونَ، كما يقول الكتاب، يحكمون الجزء الأكبر من نواحي جنوبي بلاد العرب، أعني ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي إلى حضرموت، مع ما يتصل بها من البلاد الداخلية التابعة لسبأ. كما كانوا يحتلون جانباً من الساحل الإفريقي الشرقي (Azailla) أي الزيلع. وقد اتخذ ملكهم شربثيل (والصواب كرب ائيل)^(٣)، وهو الحاكم الشرعي للجُمَيْرِيِّينَ، وأهل سبأ، مقره في ظفار.

ونبه الكتاب على عدم الخلط بين ظفار الجُمَيْرِيَّةِ، التي تقع شمال تعز وجنوب صنعاء وظفار الموجودة على المحيط الهندي (وهي مهريَّة، وموجودة اليوم في دولة عمان، وميناؤها وعاصمتها صلالة).

وقال كُتَّابُ هذا الفصل عن جُمَيْرِ بْنِ الملك كَرَبِثِيلِ (كرب إل وتار يهنعم)، كان على صلة ودية مع الرومان. واسمه موجود في النقوش اليمنية الكثيرة، ووجدت سُكَّةٌ باسمه، وقد ضربت في ريدان.

وقد انتقلت زعامة جنوبي بلاد اليمن من أهل سبأ إلى الجُمَيْرِيِّينَ، حوالي نهاية القرن الثاني قبل الميلاد (سنة ١١٥ ق.م، وذلك عندما انهزم الشرح يحضب بن فرعم ملك سبأ، أمام الملك الجُمَيْرِيَّيَّ علهان نهقان).

ولعل بعض السبب في ذلك راجع إلى اكتشاف الطريق البحري إلى الهند، على يد البطالمة (حكَّام مصر من اليونان الذين خلفوا الإسكندر المقدوني)، مما أفقد سبأ أهميَّتها باعتبارها مركز التجارة البريَّة في جنوبي بلاد العرب.

(٣) المقصود بذلك كرب إيل (إل) وتار يهنعم بن ذمار علي، وحكم من سنة ٣٥ إلى ٧٠ بعد الميلاد، وهو الزمن الذي قام فيه مؤلف كتاب رحلة (طواف) حول البحر الأحمر برحلته المشهورة.

تقسيم شرف الدين^(٤):

ويذكر أحمد شرف الدين طبقة الحكام (مملكة سبأ وريدان)، الذين حكموا اليمن من سنة ١١٥ قبل الميلاد، إلى سنة ٢٧٥ بعد الميلاد. وعدد ملوكهم ١٨. وهناك فترات فيها فراغ لعدم اكتمال النقوش التي تحتاج إلى مزيد من التنقيب، والذي أهمل للأسف لفترة طويلة، كما أن هناك اختلاف في سنين حكم هؤلاء الملوك، واضطراب كبير في أسائهم وفترة حكمهم وأهم سبق الآخر. وبالتالي فإن وضع مسلسل بحكمهم أمر بالغ الصعوبة وتكتفه الشكوك.

وهؤلاء هم:

الحكام	مدة الحكم
(١) علهان نهقان بن يرم الهمداني الحِمَيْرِي وهو المؤسس	١١٥-٨٠ ق.م
(٢) شعر أوتر بن علهان نهقان وهو الذي بنى سور صنعاء، وتغلب على مملكة حضرموت، ووسع المملكة، واستولى على شبوة.	٨٠-٥٠ ق.م
(٣) يرم أيمن بن علهان نهقان وحكم مع أخيه شعر أوتر	
(٤) فرع ينهب	٥٠-٣٥ ق.م
(٥) الشرح يحضب بن فرع ينهب	٣٥-١٥ ق.م
(٦) حكم مع أخيه يازل بين بن فرع ينهب والشرح يحضب هو الذي بنى قصر غمدان المشهور، وقد عُثِرَ أيضاً على عدة نقوش باسمه في معبد بلقيس بمأرب.	
(٧) نشأ كرب يها من بن الشرح يحضب	١٥-٥ ق.م

(٤) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ط ٥، ١٩٩٠، ص ٩٣-١٠٠.

ق.م-١٥ بعد الميلاد	(٨) وتار يها من بن الشرح يحضب
	(٩) ياسر يهصدق وحكم مع أبيه وتار يها من
١٥-٣٥ ب.م	(١٠) ذمار علي يهبر بن ياسر يهصدق
	(١١) ابنة يارن بن ذمار علي
٣٥-٧٠ ب.م	(١٢) كرب غل وتار يه نعم بن ذمار علي (أخ يارن)
٩٥-١٢٠ ب.م	(١٣) هلك أثر بن كرب إل
١٢٠-١٤٥ ب.م	(١٤) ذمار علي ذراح بن كرب إل
٢٤٥-٢٥٠ ب.م	(١٥) وهب إل يحز

لاحظ هناك فجوات زمنية كبيرة، لم يذكر فيها اسم أحد من الملوك، وذلك راجع لعدم اكتمال النقوش والآثار.

٢٥٠-٢٧٠ ب.م	(١٦) ياسر يه نعم
	(١٧) وابنه شممدار يه نعم
	(١٨) وابنه عمدان يه قبص

وقد اشتهر ياسر يه نعم عند المؤرخين العرب باسم «ناشر النعم»، وكان فاتحاً غازياً. وقد ادّعى المؤرخون أنه فتح الشام والعراق والمغرب وأفريقيا، وسمّوه ذا الأذعار لمجيئه بالأسرى من أفريقيا.

الشرح يحضب بن فرع يه ب

ويتحدث البا فقيه^(٥) عن الشرح يحضب بن فرع يه ب (٣٥-١٥ قبل الميلاد)^(٦) باعتباره أحد الحكّام الذين اشتهروا، وأنه من الأسماء التي ظلت تذكر بعد الإسلام، من حكّام هذه الحقبة.

ويقول البا فقيه إن النقوش التي اكتشفت تدل على وجود أكثر من ملك كان

(٥) د. محمد عبد القادر البا فقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ٨٤-٨٧.

(٦) حسب تقديرات أحمد حسين شرف الدين، ص ٩٣-١٠٠.

يدعى «الشرح يحضب» (وهذا أمر غير مستغرب، فهناك في الغرب في إنجلترا، مثلاً جورج الأول إلى جورج السادس). ويقول إن النقش (رقم ك ٤) يتحدث عن الشرح يحضب (الأول) ويقدر زمنه إلى سنة ٨٥ ميلادية.

ويبدو أن الشرح يحضب (الأول) ملك سبأ وذي ريدان، كان بكليلاً مرثدياً (يرجع إلى همدان)، ولعل حلفاً قد قام في وقته بين بكيل وجرت.

ويرد اسم الملك كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان، ويبدو أنه كان معاصراً لكرب إل وتر يهنم ملك سبأ، ولملك حضر موت يدع إل (نقش جام ٦٢٩ و ٦٤٣ و ٦٤٣ مكرر). وقد حكم كرب إل وتر يهنم من سنة ٣٥ إلى سنة ٧٠ بعد الميلاد، كما يقول شرف الدين^(٧).

ويبدو أن الحكم لم يكن مستقراً لواحد من هؤلاء الملوك، ففي النقش جام ٦٤٢ والنقشين (جام ٦٤٣ و ٦٤٣ مكرر) تسجيل حرب قامت بين كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان وملك حضر موت، ومن تحالف معه من قبائل. ثم قامت محاولة للصلح بينهما بواسطة نشأ كرب الجرقي، ومعه ثلاثمائة جندي لحراسته، أرسلهم الملك كرب إل بين. ولكن المحاولة فشلت. وقام ملك حضر موت بدخول مدينة يثل التي استقبلته دون حرب. ومنها هجم ملك حضر موت على نشق ونشن.

وقام نشأ كرب الجرقي ومن معه بتحرير نشق ونشن من ملك حضر موت حسب أوامر الملك كرب إل بين، كما ترك ملك حضر موت مدينة يثل، وترك أيضاً ناحية حنان بكل انكسار ومذلة.

وتتم المعركة بين كرب إل بين ملك سبأ وذي ريدان، وملك حضر موت، ويتنصر عليه بعد أن قُتل من جنود الحضارمة ألفين، كما خسروا الإبل والأفراس وعادوا خائبين إلى حضر موت بكل ذل وخزي.

(٧) شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٩٣-١٠٠.

أسرة يارم أيمن الهمدانية

كان الصراع محتدماً بين مختلف الزعماء، وكانت مأرب كما يقول الباقي^(٨) الجائزة، وحوها دارت معارك عديدة. وفي معبدها معبد المقه ثهوان بعل أوام، كانت تنصب النقوش التذكارية لتروي قصة الصراع وتحمد الآلهة على النصر.

وقد ذكرنا عن السلم الذي حققه يارم أيمن بين ملك سبأ وذي ريدان، وبين ملوك حضرموت وقتبان (النقش م ٣١٥)، ومن الطبيعي بعد ذلك أن يصبح ملكاً، وأصبح ملكاً على سبأ مع شريكه وأخيه كرب إل وترينهم (جام ٥٦٥).

وقد تولى بعده الملك ابنه علهان نهفان الذي حكم أيضاً مع ابنه شاعر أوتر، وقد حدد أحمد شرف الدين فترة حكم علهان نهفان بن يارم (يرم أيمن الهمداني) بالفترة من سنة ١١٥ إلى سنة ٨٠ قبل الميلاد. وفترة حكم ابنه شعر أوتر بالفترة من ٨٠ إلى ٥٠ قبل الميلاد^(٩).

وكان كلا الملكين على علاقة جيدة بملك حضرموت يدع إل، وقد أبرموا اتفاقاً وتحالفاً في ذات غيلم بأرض قتبان. (نقش رقم نامي ١٩). ثم حدث حلف جديد بين علهان نهفان وملك حضرموت الجديد يدع أب غيلان (نقش م ٣٠٨)، كما نرى جيش حضرموت يحارب الحميريين إلى جانب الجيش السبئي والهمداني. (م ١٥٥).

ويتحدث النقش (م ٣٠٨) أيضاً عن تحالف علهان نهفان مع جدت ملك الحبشة، بناء على طلب الملك الحبشي، ويصبح الطرفان بذلك جهة واحدة (كأحد) في الحرب وفي السلم ضد كل الأعداء.

وفي نفس النقش إشارة إلى هزيمة ألحقوها بعم أنس بن سخان وقبيلة خولان، ويظهر أن الأحباش قد أصبحوا طرفاً معترفاً به في الأحداث الدائرة في اليمن آنذاك.

(٨) الباقي (محمد عبد القادر)، تاريخ اليمن القديم.

(٩) شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٩٤.

شاعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان (٨٠ - ٥٠ قبل الميلاد)

شاعر أوتر هو ابن الملك علهان نهفان، وقد تولى الملك بعد أبيه، وشاركه أيضاً فترة من حكمه. وقد نجحت سياسة الملك علهان نهفان في التحالفات المتعددة لتوطيد حكمه... وقد استمر على هذه السياسة ابنه شاعر (شاعرم) أوتر، وقد استطاع هذا الملك أن يحول طاقات السبئيين من الحروب الداخلية المدقمة إلى حروب خارج حدود المملكة.

وفي النقش (ك ١١) يصف شاعرم نفسه بملك سبأ بن علهان نهفان ملك سبأ، وقد تملك قصري سلحين (مأرب)، وغمدان (صنعاء). وتلقب بملك سبأ وذي ريدان. وفي النقش (م ٣٣٤) والنقش (جام ٦٣٣): يتضح أن الحِميريين كانوا متحالفين مع هذا الملك، وأنه حين غزا حضر موت كانت قواته تتكون من قبائل سبأ وحمير معاً.

ويصف النقش (ك ١٣): انتصار الملك شاعر أوتر على حضر موت، وتفاصيل المعارك، وما قدمه الملك للإله المقة حمداً لها على النصر. والنصر ليس فقط على حضر موت بل على قتيان وردمان وخولان وقبائل أوسان ومن شابعهم.

ولكن بما أن ملك حضر موت كان متزوجاً من أميرة سبئية هي «ملك حلك»، والتي كانت في قصر شقير بشبوه، فقد أوصى الملك شاعر أوتر جنده بالانطلاق نحو ذلك القصر وحماية الملكة بعد أن قتلوا حراس القصر وحجابه ونائب ملك حضر موت.

وألقى الملك أخته «ملك حلك» بوسط قصر شقير سالمة، فأنقذوها. وكان القائد الذي قام بهذه المهمة هو فارعم. وقد قام هذا القائد بغزوتين أخريين في حضر موت، ودمر سفناً بالميناء (حيقن) والميناء المشهور قنا (بير علي) وقد سبي وغنم غنائم كثيرة.

«وليواصل المقة (الإله القمر) تدمير وإسقاط وإذلال وسحق ومحق كل ضار وشاني لسيدهم شاعرم أوتر... وأودعوا تقدمتهم المقة للحماية من كل متعجرف ومعربد ومزحزح لها من مكانها».

وقد أسر ملك حضرموت إيل عز (العزيلط)، وجيء به إلى مأرب مأسوراً.
وقد توغل شاعرم أوتر في حضرموت بعد ذلك.

الحرب ضد الأحباش ومن والاهم

قام شاعر أوتر بحرب الأحباش الذين بدأوا التوغّل في اليمن، وحاربهم، ومن تحالف معهم. وكان الأحباش خاصة في تهامة أرض الأشاعر ونجران، حتى وادي الدواسر. وهناك نقش (جام ٦٣٥) وفيه يتحدث مقدم النقش أبكرب أحرس بن عليم ويحمذل (أحد أمراء الملك شاعر أوتر) عن انتصار الملك شاعر أوتر في كل المعارك التي خاضها ضد الأشاعر وبحرم، ومن كان معهم (تهامة). وفي أنحاء نجران ضد الأحباش، ومن كان معهم. وفي مدينة (قرية ذات كاهل) ضد ربيعة ذي الثور، ملك كندة وقحطان.

ويذكر هذا القائد الأمير المعارك التي خاضها باسم الملك شاعر أوتر، والغنائم التي غنمها، ومن قاتل معه من القبائل، ومن انضم إليه مثل خولان، وقبائل من نجران ومن الأعراب.

وأخيراً يحمّد الإله الملقّه على هذه الانتصارات وعلى سلامة الملك شاعر أوتر. ويبدو أن الملك قد بعث هذا الأمير القائد في مهمات عديدة متتالية وغير قتالية، ومنها ذهابه إلى لحج وقرية الفاو في وادي الدواسر، والصراع مع الأحباش ومن تعاون معهم.

وقد صان كل مدن وحدود المملكة وحاشد ومن كان معهم من الأعراب طيلة أعوام المراقبة للدفاع عن حدود حاشد.

وهكذا وسّع شاعر أوتر حدود مملكته وحارب الأحباش، ثم تحالف بعد ذلك مع ملك حضرموت العزيلط، بعد أن أخضعه كما رأينا. ولهذا يبدو أن ملك حضرموت وجد من الخير له أن يتحالف مع هذا الملك القوي ضد أعدائه.

ونجد نقشاً آخر (جام ٦٣١) يذكر فيه صاحب النقش قطبان أوكن رئيس (قيل) قبيلة سمهودم من جرت، أنه حقق انتصارات مع قبائله للملك شاعرم أوتر ملك سبأ وذي ريدان. وأنه هو وقبيلته قاموا ضد أولئك المعتدين وعملوا فيهم قتلاً وغنموا منهم الأسرى والغنائم.

ويبدو أن الملك أرسل أيضاً قطبان هذا لمحاربة (أرض حبشت)، أي الأرض التي كان الأحباش يحتلونها من اليمن وهي نجران وأجزاء من تهامة. ثم أن الملك أرسل قطبان هذا في وفد إلى النجاشي، لإقامة علاقات أو مفاوضات. وذكر قطبان هذا أنه صدَّ هجوم الأحباش بقيادة بيجت ولد النجاشي على ظفار العاصمة الجديدة لمملكة سبأ وذي ريدان.

الشرح يحضب بن فرع بنهب وأخوه يازل بين^(١٠) (٣٥-١٥ ق.م)

ويتحدث النقش (جام ٥٧٦) عن تقديم عدد من التماثيل لمعبد المقة (إله القمر)، ثهوان بعل أوام لأنه أعان عبده الشرح يحضب بهزيمة كل جيش وقبيلة أثارته عليه حرباً من قبائل الشمال والجنوب والبحر والبر.

ويذكر أنه (أي الشرح) انتصر على مالك، ملك كندة وقبيلته، لأنهم أحلّوا بضمان ضمنه مالك تجاه المقة والملكين (الشرح يحضب وأخيه يازل بين حيث كانا يحكمان معاً، فأخذوا واحتجزوا مالك وكبار كنده بمدينة مأرب إلى أن أحضروا الغلام المدعو امرئ القيس، وأعطوا رهائن من قبيلة كندة، ودفعوا غرامة للإله المقة وللملكين (الشرح يحضب وأخيه) أفراساً وجمالاً وجميراً.

وهذا يوضح أن أرض كندة التي امتدت إلى الفاو وسط جزيرة العرب، كان عليها أن تؤمن الطرق التجارية المتجهة من سبأ إلى شمال الجزيرة العربية، فلما أخلت بذلك قام الشرح يحضب بحجز مالك ملك كندة وأفراداً من حاشيته.

(١٠) نقل الدكتور محمد عبد القادر الباقي في كتابه تاريخ اليمن القديم، مجموعة من النقوش المتعلقة بالشرح يحضب، وعنه نقلنا هذه المعلومات باختصار، ص ١٢١-١٣٠.

ويتحدث النقش (جام ٥٧٦) بعد ذلك عن عون الإله الملقه في دحر وهزيمة أحزاب حبشت (الحبشة)، وذي سهرتم، وشمر ذي ريدان، وقبائل جُمَيْر الذين نقضوا سلماً التزموا به.

ثم يتحدث النقش أن الملكين (الشرح يحضب وأخاه يازل يبين) صعدا من مأرب إلى صنعاء، لمهاجمة شمر ذي ريدان، وقبائل جُمَيْر وردمان ومضحيم... ووصف تدمير مدن جُمَيْر، وخط سير المعارك خطوة خطوة ابتداء من بيت ذسمن (ذي الشامة) إلى مدينة دلال إلى مدينة أطور، ثم إلى مدينة باسن (بوسان)... ثم مهانف (آنس)، ومدينة تعمرن (سبوا كل أهلها)، ثم مدينة نعص... ثم مدينة يكلأ (جنوب نعص)... وأخيراً يعود الملك إلى صنعاء ومعه الأسلاب والغنائم. وهناك تصل إليه الرسل من شمر تطلب مناصرته على ملوك سبأ. ولما علم الملك الشرح يحضب بهذه الاتصالات سارع بالهجوم على ملك شمر ذي ريدان، وقبائل جُمَيْر، وردمان ومضحيم. وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً، ثم عاد بالأسلاب والغنائم.

ظهور الأحباش

ويبدو أن الاتصالات بالأحباش من قبل شمر ذي ريدان أثمرت. ويتحدث النقش (جام ٥٧٦)، بأن جرمت ابن ملك الحبشة (النجاشي) ومعه أحزاب حبشت (أي الأحزاب الموالية للحبشة)، وذي سهرتم تقدم لمحاربة ملك سبأ (الشرح يحضب) استجابة لنداء شمر ذي ريدان، ويقول النقش أن الملقه (إله سبأ) جعل ملك سبأ ينتصر عليهم.

المدعو صحبم بن جيشم

ويتحدث النقش (جام ٥٧٦) بعد ذلك عن شخص يدعى صحبم بن جيشم، تمرّد على الملك، فأرسل الملك بعض الأمراء (مقتوي والجمع مقتويهم) من همدان، وذي غيبان لتأديبه. وقد فعلوا ذلك وجاءوا برأسه ويديه إلى الملك.

نجران

ويتحدث النقش بعد ذلك عن حملة تأديب كبيرة ضد قبيلة نجران التي تحالفت مع الأحباش ضد الملك. وبعد حصار طويل هزمت نجران ونائب ملك الحبشة الذي كان معهم مع فرقة من جيشه. وقدمت نجران رهائن من أبنائها للملك الشرح يحضب. وكانت الأضرار بالنسبة لنجران كبيرة حيث قتل منها ٩٢٤ شخصاً، وأسر ٥٦٢، وخضعت ٦٨ مدينة وقرية ونهب ٦٠ ألف حقل ورددت ٩٧ بئراً.

العودة إلى مأرب

ثم عاد الملك الشرح يحضب بعد كل هذه الإنجازات العسكرية إلى مأرب. وقدم القرابين للمقه (إله سبأ) شكراً له على الانتصارات التي حققها لهم، ولأنه حفظ لهم قصر سلحين (في مأرب)، وقصر غمدان (في صنعاء)، والمدن مأرب وصنعاء، ونشق.

النقش جام ٥٧٤

ويتحدث هذا النقش عن حملة انتقامية شنّها الشرح يحضب على الأحباش وذي سهرت أحلافهم لوادي سهام، ومطاردته لهم في وادي سردد. ومهاجمته لديار الأكسوميين وحلفائهم في تلك البقاع.

وكانت الحبشة (أكسوم) قد تغلغت في تهامة اليمن، ووصلت إلى نجران، وتحالفت مع قبائلها العديدة، ومنها قبيلة عك التي تقع ديارها في البر اليمني المواجه لجزيرة دهلك في البحر الأحمر، والذي كان تحت سيطرة أكسوم (أرتيريا اليوم).

ورغم الانتصارات التي تتحدث عنها النقوش، إلا أن الحُميريين والأحباش وأهل نجران وتهامة، ظلوا يشكلون قوة مناوئة للشرح يحضب. ولم تكن تلك الفترة كلها فترة حروب وعداء، بل كانت تتخللها فترات سلام، ثم نقض للعهد، ثم حروب أخرى ثم سلام. وهكذا.

فعلى سبيل المثال، يتحدث النقش رقم (جام ٥٨٥) عن شخص أرسله الملك الشرح يحضب وأخوه يازل بين الأحباش في سوم حاضرة المعافر (المعافر هي الحجرية اليوم) وإلى سهرتن (السهرة)، ولكن الأحباش لم يرعوا حق الرسول والسفير فأسروه لمدة عامين، وتأمروا على سلامته. ويتحدث النقش (جام ٥٨٥) عن غدر جرمت ولد التجاشي، مما أدى بطبيعة الحال إلى معارك متجددة انتصر فيها الشرح يحضب.

وهناك نقوش تتحدث عن صراع آخر بين الملك الشرح وأخوه، وبين زعيم ريدياني آخر يدعى كرب إل ذي ريديان، قام في حِمير بعد إخضاع ثورة شمر ذي ريديان، وقد انتصر الملك الشرح يحضب على هذا الزعيم الريدياني الجديد في ثلاث معارك، مما أدى إلى استسلامه. (جام ٥٧٨ وجام ٥٨٦ و٥٨٩)، بعد أن حاول محاولات عدة أن يتغلب على الشرح يحضب، وأن يلجأ إلى مدينة هكر الحصينة، ولكنه رغم ذلك انهزم واستسلم بعد أن طال عليه الحصار.

وفي أواخر عهد الشرح يحضب وأخيه يازل بين، يخفي ذكر يازل (جام ٥٨٧) و(جام ٨٧٧) دون ذكر ليازل. ويتحدث النقش عن تقدمات ونذر قدمه صاحبه للإله الملقب عند شفاء سيده الشرح يحضب من مرض ألمّ به.

وهكذا يبدو أن عهد الشرح يحضب وأخاه يازل بين كان مليئاً بالحروب والانتصارات، والتي تخللتها فترات سلام متعددة، تعقبها ثورات جديدة ومعارك جديدة.

واللافت للنظر أن الأحباش كانوا قد وطّدوا مقامهم في اليمن، في عهد الشرح يحضب وربما في العهود التي قبله، وأنهم تحالفوا مع قبائل يمنية عديدة، وأن الشرح رغم انتصاره عليهم في بعض معاركه، إلا أنه لم يستطع أن يجلبهم عن اليمن. وفي عهد الشرح يحضب كتب اثنان من الأقبال هما سعد شمس أسرع وابنه

ويذكر النص جملة أخرى كلّف بها الملكان القليل ذرحان ومشايحيه للهجوم على مدينة حلظوم ومدينة المشرقية (مشرقين) حيث انتصر عليهم هذا القليل، ودمّر معابدهم ونهب أموالهم.

كما أن الملكين أيضاً قادا حملة على مدينة منويم الأوسانية، وكل مدن وقلاع أوسان، ودمّرا ما كان لأوسان وتمنع. ثم عاد الملكان ظافرين إلى مأرب. وقام هذان الملكان بفرض الجزية على مدينة صنعاء (صنعو). والجزية لا تعني دفع مال بل في الأغلب الاشتراك في المعارك ضد الأعداء. وهم هنا الأوسانيون.

وترد في النقوش أسماء مجموعة من الأقبال الذين كلّفوا بالجزية (جزيت) وهي إما الحرب ضد الأعداء، أو المرابطة لحماية مدينة من المدن، أو ناحية من النواحي. ومن هؤلاء الأقبال الذين وردت أسماؤهم وكلّفوا بالجزية شرح إل بن ذريح، وشرحت بن تبع، والرم بن سخيمم، ويرعد بن ساران، ويرم بن همدان.

ولا شك أن هذه الفترة من حكم ملوك سبأ وذي ريدان شديدة التعقيد وغير واضحة المعالم كما يقول البافقيه. ويقول إن الحفريات والنقوش تلقي بعض الضوء على هذه الفترة البالغة التعقيد، ولكن النقوش ذاتها لا تعطينا تسلسلاً زمنياً لهؤلاء الملوك، لأن طريقة تأريخهم للأحداث تتبع تاريخ الملك، أي السنة الثالثة أو الخامسة... إلخ من ملك فلان الفلاني حدث كذا وكذا.

ويذكر البافقيه^(١٥) أن لغة المسند في هذه الفترة (بمحددها شرف الدين من ١١٥ قبل الميلاد إلى ٢٧٠ بعد الميلاد)، قد تطوّرت واقتربت من اللغة العربية الحديثة. ويطلب البافقيه الجامعات والأكاديميين بدراسة معمّقة للغة المسند وتطوّرها. وشهدت هذه الفترة استخدام الخيل في الحرب، والاهتمام بها وأسمائها. وكان القتال يتراوح بين غزوات قبلية وحروب كاملة يشنها الملوك.

(١٥) محمد عبد القادر البافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٣٥، ١٣٦.

واستمر اهتمام السبئيين بالزراعة والسدود والمساقى، وظهر ذلك واضحاً في النقوش، ولكن التجارة التي عليها قامت دولة سبأ، وبها اشتهرت، يبدو أنها قد فقدت أهميتها القديمة، ويرجع ذلك فيما يرجع إلى أن البطالمة (حكّام مصر من خلفاء الإسكندر) عرفوا الطرق البحرية إلى الهند، كما ظهرت دولة أكسوم (أرتيريا وميناتها عدول) في البحر الأحمر، ودولة أوسان، وكلها استخدمت التجارة البحرية، والتي كانت دولة سبأ بعيدة عنها، وطرقها كلها برية، وبالتالي فقدت الطرق البرية التجارية كثيراً من أهميتها، وتحول الاهتمام إلى الطرق البحرية العديدة. ومن الناحية الاجتماعية ظلت العلاقات عشائرية أساساً وشبه إقطاعية، وإلى جانب الملك كان هناك الأقبال، وهم حكّام في مناطقهم، ولهم استقلال ذاتي وحكم محلي، ومنهم الثامنة (الثمانية الأقبال الكبار)، الذين يختارون الملك ويقرّرون عزله، والمقتوي هو أحد الأقبال الذين يعملون في خدمة الملك مباشرة، وهو بمثابة وزير، ونتيجة خبرته وقوّته قد يتحول إلى ملك.

الفصل السادس

النبأعة

ملوك سبأ وذي ريدان وحض موت ويمنت

٢٧٥ - ٥٣٣ بعد الميلاد

لقد عُرِفَ ملوك جَمِيرٍ في التاريخ الإسلامي باسم التبابعة (جمع تُبَّع)، ويبدو أن الكلمة أتت من أتباع الناس لهم. وقال بعض المؤرخين بل إنها بتع، وهو اسم لقبيلة، ثم حُرِّفَت فصارت تُبَّع، والأول أظهر. وقال المؤرخون إن كلمة تُبَّع هي لقب لكل ملك في اليمن (في مرحلة معينة من مراحل تاريخه)، كما أن فرعون لقب لكل ملك من ملوك مصر القديمة، والنجاشي لقب لكل ملك من ملوك الحبشة، وكسرى لقب لكل ملك من ملوك الفرس، وقيصر لقب لكل ملك من ملوك الروم.

والتبابعة ملوك اليمن ينتسبون إلى الهميسع بن جَمِيرٍ وهو العرنجج وهو ابن سبأ الأكبر، وإخوته كهلان (ومن كهلان همدان والأزد وغيرهما من القبائل)، ورهم وعبد الله والنعمان والمولود ويشجب وشداد وربيعه، وهذه المجموعة عرفت بالسبئيين، لأنهم الذين أسسوا دولة سبأ الباذخة. ولا شك أن أبناء كهلان اشتركوا معهم. وفي مرحلة لاحقة كان الأمر كله لِجَمِيرٍ، الذين عرفوا باسم التبابعة.

وقد حكموا منذ سنة ٢٧٥ ميلادية إلى سنة ٥٣٣ ميلادية. وعدد ملوكهم المعروفين أربعة عشر (١٤)، وكانت عاصمتهم الأولى ظفار (ذي ريدان) أو باريم. وهي كما أسلفنا تقع شمال تعز وجنوب صنعاء، ولا علاقة لها بظفار المهريّة المعروفة بظفار الحبوطي، والموجودة اليوم في غرب عمان والمطلّعة على المحيط الهندي. أما عاصمتهم الثانية فهي صنعاء.

وقد امتلأت كتب الإخباريين والمؤرخين المسلمين وكثير من التفاسير للقرآن الكريم بأخبار هؤلاء التبابعة، وأنهم ملكوا الدنيا المعروفة آنذاك، وأن أحدهم ويدعى تبَّع الأقرن، هو نفسه ذو القرنين الذي حكم الدنيا، والذي جاء ذكره في القرآن الكريم، كما أن منهم من وصل إلى الصين والتبت والتركستان، وبنى مدينة سمرقند، وذهب إلى أفريقيا... وحكم مصر وشمال أفريقيا وغيرها...

وهذه أمور فيها كثير من المبالغات والأساطير، ولا يوجد أي دليل تاريخي عليها، وهناك أدلة قوية على أن هؤلاء الملوك وَّحدوا اليمن، وامتدَّ ملكهم إلى الجزيرة العربية ووصلوا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة (يثرب) وغيرها، وما عدا ذلك فهي إضافات وقصص تحتاج إلى دليل. وهناك دليل حديث على أن قوماً من اليمن سكنوا في التبت وفي شمال الهند قبل الإسلام. ولا يزالون يعبدون الشمس. وقد أذاعت محطة (العربية) عنهم برنامجاً. وكانت عاداتهم وخناجرهم ورقصاتهم يمنية. وبعض كلماتهم، ولكن مقدّم البرنامج ظنهم من الأكراد.

قائمة ملوك التبابعة

وقد وضع أحمد حسين شرف الدين^(١) قائمة هؤلاء الملوك المعروفين بالتبابعة، ووضع مدة حكم كل واحد منهم، حسب ما وصله من معلومات ودراسات عن النقوش اليمنية وغيرها، وهي قائمة مفيدة في إعطاء فكرة تاريخية عن هؤلاء الملوك الذين كانوا يتلقبون بملك سبأ وريدان وحضر موت ويمنت، ثم أضافوا بعد ذلك، منذ زمن أبكر ب أسعد (أسعد الكامل)، لقب وأعرابهموا طودم (طودا) وتهتمم (وتهامة).

١- شمر يهرعش (يرعش) بن ياسر يهنعم، حكم من سنة ٢٧٥-٣٠٠ بعد الميلاد.

واشتهر والده باسم ناشر النعم لدى المؤرخين المسلمين، وأنه فتح أفريقيا وغيرها. وأما شمر يهرعش فيلقب باسم بُعّ الأكبر^(٢). وأنه فتح العراق والشام وفارس وسجستان والتركستان، وأسس مدينة سمرقند. وذلك كله لا دليل عليه من التاريخ ولا من النقوش اليمنية الكثيرة التي وجدت منذ عهد شمر يهرعش، والتي سنستعرضها فيما بعد.

(١) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٩٧-٩٩.

(٢) وفي ذلك خلاف لأن بعضهم يجعل لقب بُعّ الأكبر عمرو بن ذي القرنين.

٢- ذو القرنين تبع الأقرن (ياسر يهنعم بن شمر يهرعش)، حكم من سنة ٣٠٠ إلى سنة ٣٢٠ بعد الميلاد.

وزعموا أنه هو ذو القرنين المذكور في سورة الكهف، وأنه كان عند بعضهم ملكاً نبياً، وهو أحد الذين حكموا العالم القديم بأسره.

٣- عمرو بن ذي القرنين (ذمر علي يهر)^(٣)، حكم عمرو من سنة ٣٢٠ إلى ٣٣٠ م. ويقولون إنه هو الذي غزا التبت وجعل فيها حامية من العرب لا تزال موجودة حسب زعمهم إلى العصر الإسلامي. وفي قصيدة لدعبل الخزاعي يفخر فيها على الكميت ويذكر التبابعة (باعتباره من اليمن من الأزد).

وهم كتبوا الكتاب بباب مرو وباب الصين كانوا الكاتيينا
وهم سمو قديماً سمرقنداً وهم غرسوا هناك التبتينا
والمقصود بالتبتينا، التبت حيث غرسوا حامية عربية هناك، حسب زعمهم.

٤- بلقيس بنت الهدهاد^(٤)، ٣٣٠ - ٣٤٥ ميلادية.

وقد زعموا أنها هي التي ذهبت إلى سليمان عليه السلام، وذلك خطأ لأن ملكة سبأ التي ذهبت إلى سليمان قديمة (سليمان في القرن العاشر قبل الميلاد: ٩٦١ - ٩٢٢)، وهذه بعد الميلاد وبينهما ١٣٠٠ عام. وقد زعموا أن أم بلقيس (التي ذهبت إلى سليمان عليه السلام) جنية، وأن ساقها كانتا مليتين بالشعر مثل الماعز، وأن الجنّ صنعت النورة لسليمان لإزالة شعرها الكثيف.

وفي عهد بلقيس بنت الهدهاد بدأ الغزو الحبشي لتهامة اليمن، لأن أكسوم

(٣) يسميه شرف الدين عمرو بن ذي القرنين، ويذكره الباقية باسم ذمر علي يهر. ولاحظ اختلاف الأسماء بين الباقية (تاريخ اليمن القديم)، وشرف الدين (اليمن عبر التاريخ).

(٤) ليس لها ذكر عند الباقية في مصادره العديدة.

المملكة القوية هي في أرتريا ومواجهة لليمن. ومن الطبيعي أن يكون الغزو أولاً للمناطق الساحلية التهامية اليمنية. ويقال إن النصرانية بدأت منذ ذلك الحين. وسيأتي الحديث عن النصرانية واليهودية في اليمن.

٥- المهدهاد بن المهدهاد (وهو ثاران يهنعم بن ذمر علي يهبر كما يذكره البافقيه)، حكم من سنة ٣٤٥ إلى سنة ٣٧٤ ميلادية.

وفي عهده تم طرده هؤلاء الأقباش الذين بدأوا التسلل إلى اليمن من جهة تهامة.

٦- ملك كرب يهامن، حكم من سنة ٣٧٤-٣٨٥ ميلادية.

ويبدو أن ملك كرب يهامن قد دخل الدين اليهودي لوجود نقش جُمَيْرِي موجود خارج أنقاض ظفار ذي ريدان (عاصمة الجُمَيْريين الأولى) كتب في سنة ٤٩٣ جُمَيْرِيَّة، وهي توازي ٣٧٨ ميلادية. وفيه ذكر الإله ذي سموي أي إله السماء. ويذكر النقش الملك ملكي كرب يهامن وابنيه أبكرب أسعد (وهو أسعد الكامل)، وذي أرا أمر أيمن (ذي أرا أمر أيمن).

٧- أبكرب أسعد الكامل بن ملكي كرب، حكم من سنة ٣٨٥ إلى ٤١٥ ميلادية.

وهو أشهر التباعة. ويتحدث الإخباريون أنه حكم ثلاثمائة سنة، وسيأتي الحديث عنه عند أهل التفسير، وسنقل ما قاله ابن كثير وابن إسحاق صاحب السيرة وغيرهما عند الحديث عن تبع في القرآن الكريم والسنة. وأنه هو المقصود بتبع الذي ورد ذكره في الذكر الحكيم، وفي الأحاديث النبوية. وقد تهود أبكرب أسعد ونشر اليهودية في اليمن.

٨- حسان بن أبكرب أسعد (الكامل)، حكم من سنة ٤١٥ إلى سنة ٤٢٥ ميلادية.

٩- شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد (الكامل)، حكم من سنة ٤٢٥ إلى ٤٥٥

ميلادية.

١٠- شرحبيل يڪف (وقد تنصّر)، حكم من سنة ٤٥٥ إلى سنة ٤٧٠ ميلادية.

١١- معدي كرب يهنعم (تنصّر)، حكم من سنة ٤٧٠ إلى ٤٩٥ ميلادية.

١٢- مرثد آل ينوف (تنصّر)، حكم من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥١٥ ميلادية.

١٣- يوسف أسار (زرعة ذو نواس) (تهوّد)، حكم من سنة ٥١٥-٥٢٤ وهو الذي قتل النصارى وحارب الأحباش، ويقال إن قصة الأخدود في نجران كانت في عهده.

١٤- سيف بن ذي يزن، الذي استعان بالفرس لطرد الأحباش (٥٢٥-٥٣٣ ميلادية).

تُبِعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّفَاسِيرِ وَالسِّيَرَةِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ * فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ (الدخان: ٣٥-٣٧).

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمٌ تُبِعَ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ * أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (ق: ١٢-١٥).

قال ابن كثير في تفسيره في سورة الدخان، في قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ﴾، يقول تعالى منكرًا على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد، وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا، ولا حياة بعد الممات ولا بعثًا ولا نشورًا، ويحتجّون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا، فإن كان البعث حقًا ﴿فَأْتُوا بِآبَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة... ثم قال تعالى متهدّدًا ومتوعّدًا ومنذرًا لهم بأسه الذي لا يردّ

كما حلّ بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تُبَّع، وهم سبأ حيث أهلكهم الله ﷻ وخرّب بلادهم. وشرّدهم في البلاد، وفرّقهم شذر مذر، كما تقدّم ذلك في سورة سبأ. وهي مُصدّرة بإنكار المشركين للمعاد، وكذلك هاهنا شبههم بأولئك، وقد كانوا عرباً من قحطان، كما أن هؤلاء عرب من عدنان. وقد كانت حِمَيْر، وهم سبأ^(٥)، كلما ملك فيهم رجل سموه تُبَّعاً (لأن الناس تَبَّعَهُ)، كما يقال كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، والتجاشي لمن ملك الحبشة، وغير ذلك من أعلام الأجناس. ولكن اتفق أن بعض تبايعتهم خرج من اليمن، وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند^(٦)، واشتدّ ملكه وعظم سلطانه وجيشه، واتسعت مملكته وبلادها، وكثرت رعاياه، وهو الذي مضّر الحيرة، فاتفق أنه مرّ بالمدينة النبوية، وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانعوه وقتلوه بالنهار، وجعلوا يقرونه (أي يضيفونه) بالليل، فاستحيا منهم، وكفّ عنهم، واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه وأخبراه أن لا سبيل له على هذه البلدة، فإنها مهاجر نبيّ يكون في آخر الزمان، فرجع عنها، وأخذها معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة، فنهياها عن ذلك، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبيّ المبعوث في آخر الزمان، فعظّمها وطاق بها وكساها الملاء والوصائل والحَبْر. ثم كرّ راجعاً إلى اليمن ودعا أهلها إلى التهود

(٥) حِمَيْر وكهلان فرعان كبيران من سبأ، ولكل منهما بطون كثيرة، وأشهر بطون كهلان الأزدي، وهم أولاد الأزدي بن الغوث ابن النبيّ بن مالك بن زيد بن كهلان. وقد تفرّقوا بعد خراب سدّ مأرب ومنهم بارق وألمع وغامد ودوس، وهم في عسير (من المملكة العربية السعودية)، ومنهم العتيك وسكنوا عمان، ومنهم الغساسنة والأوس والحزرج.

(٦) هذا من المبالغات من الإخباريين الذي يدعون أن تبَّعاً هذا ملك العالم، واحتلّ الصين والتبت وبنى مدينة سمرقند... إلخ.

معه. وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام، فيه من يكون على الهداية، قبل بعثة عيسى عليه الصلاة والسلام، فتهوّد معه عامة أهل اليمن^(٧).

قال ابن كثير: «وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة، وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه، ترجمة حافلة، أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر. وذكر أنه ملك دمشق، وأنه كان استعرض الخيل صُفِّت له من دمشق إلى اليمن^(٨)».

ثم ساق حديثاً بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أدري الحدود طهارة لأهلها أم لا؟ ولا أدري تُبَّع كان لعيناً أم لا؟ ولا أدري ذو القرنين نبياً كان أم ملكاً^(٩)»...

ثم أورد ما جاء في النهي عن سبِّه ولعنه، وكأنه والله أعلم كان كافراً ثم أسلم، وتابح دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق، قبل بعثة المسيح ﷺ، وحج البيت في زمن الجرهميين، وكساه الملاء والوصائل من الحرير والخبر، ونحر عنده ستة آلاف بدنة^(١٠)، وعظّمه وأكرمه، ثم عاد إلى اليمن.

قال ابن كثير: «وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تُبَّع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل، فإن تبَّعاً هذا المشار إليه في القرآن (الكريم) أسلم قومه على يديه، ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام، فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في

(٧) الصحيح أنه تهوّد معه أعداد من أهل اليمن، وبقي منهم كثيرون على عبادة الشمس والقمر وعتتر (عشروت، والزهرة) والنجوم، والأوثان. وتبَّع هذا أسعد أبو كرب، وهو بعد زمن المسيح بقرون.

(٨) هذا من المبالغات والأساطير التي نسجت حول تبَّع هذا.

(٩) لم يوضح ابن كثير مدى صحة هذا الحديث. وهناك أحاديث سيذكرها فيما يأتي، نهى فيها رسول الله ﷺ عن سبِّ تبَّع لأنه آمن. فلعله لم يكن يعلم ثم أخبره الله بذلك.

(١٠) هذا أيضاً من المبالغات وأسعد الكامل ظهر في القرن الرابع وأوائل الخامس بعد المسيح وما قاله ابن كثير خطأ.

سورة سبأ، وقد بسطنا قصّتهم هنالك والله الحمد والمثنة^(١١).

وقال سعيد بن جبير: كسا تُبّع الكعبة، وكان سعيد ينهى عن سبّه. قال ابن كثير: وتُبّع هذا هو تُبّع الأوسط، واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليامي. ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستاً وعشرين سنة (من المبالغات)، ولم يكن في حَيَرٍ أطول مدة منه. وتوفي قبل بعثة رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة (وهذا أيضاً خطأ لأن تُبّع ظهر في القرن الخامس الميلادي، في أوله ورسول الله ﷺ بعث سنة ٦١٠ ميلادية فيكون بينها قريب من مائتي سنة لا غير)..

قال ابن كثير: «وذكروا أنه لما ذكر له الخبران من يهود المدينة، أن هذه المدينة (يثرب) مهاجر نبيّ في آخر الزمان اسمه أحمد، قال في ذلك شعراً، واستودعه عند أهل المدينة، فكانوا يتوارثونه، ويروونه خلفاً عن سلف، وكان ممن يحفظه أبو أيوب الأنصاري (خالد بن زيد) الذي نزل رسول الله ﷺ في داره عندما قدم المدينة، وهو:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مُدّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرّجتُ عن صدره كل غم

قلت: وواضح أن هذا الشعر منحول، فلغته وألفاظه غير لغة العرب قبل سبعمائة سنة من البعثة كما يزعمون، لأن اللغة القرشية (الفصيحة)، لم تكن قد ظهرت وسادت في ذلك الزمان. ولأهل اليمن لغتهم، وهي تختلف اختلافاً كبيراً

(١١) الواقع أن كلام الحافظ ابن عساكر هو الصواب، وكلام ابن كثير هو الخطأ، فتبّع الذي كسا الكعبة وتبّع الدين اليهودي هو أسعد أبكر وب هو تيان الملقب بالأسعد الكامل، ظهر في مطلع القرن الخامس بعد الميلاد... وهو الذي نشر اليهودية في اليمن بعد أن اندثرت حيث آمنت ملكة سبأ. كما حكى عنها القرآن وقالت: «أسلمت مع سليمان لله رب العالمين». وكان سليمان ﷺ على اليهودية الحقّة وتهود معها كثير من أهل اليمن. ثم اندثرت اليهودية وأعاد نشرها أبكر وب أسعد (الأسعد الكامل).

عن لغة قريش، ولم يتم توحيد اللغة وسيادة قريش إلا في عصر المعلقات الشعرية وزمنها لا يزيد عن قرن ونصف من الزمن قبل البعثة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم.

قال ابن كثير: «ذكر ابن أبي الدنيا أنه حُفِرَ قبر بصنعاء في الإسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين، مكتوب فيه بالذهب: هذا قبر حير وتميس، وروي حي وقماضر، ابنتي تَبِع. ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله، ولا تشر كان به شيئاً، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما».

وكان (كعب الأحبار) يقول في تَبِع: «نُعِتَ نعتُ الرجل الصالح، ذمَّ الله قومه ولم يذمه». قال: وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: «لا تَسْبُوا تَبَعاً، فإنه قد كان رجلاً صالحاً (وهذا القول له حكم المرفوع). وقال ابن حاتم بسنده عن سهل بن سعد الساعدي ؓ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا تَسْبُوا تَبَعاً فإنه كان قد أسلم». ورواه الإمام أحمد في مسنده... ورواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لا تَسْبُوا تَبَعاً فإنه قد أسلم». ورواه عبد الرزاق الصنعاني موقوفاً عن عطاء بن أبي رباح: «لا تَسْبُوا تَبَعاً، فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبِّه».

وجاء في كتاب «الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ لمحمد بن محمد زبارة»^(١٢): «قال علماء التفسير في الكلام على قوله تعالى في سورة الدخان: «أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِعَ»، وقوله تعالى في سورة ق: «وَقَوْمٌ تَبِعَ كُلُّ كَذَّبِ الرُّسُلِ» أي هم (قريش) خير في القوة والمنعة أم قوم تَبِعَ الجُمَيْرِي الذي دار في الدنيا بجيوشه وغلب أهلها، وقهرهم، واسمه أسعد أبو كرب. وقال قتادة: ذمَّ الله قومه ولم يذمه. وقال الزجاج: جاء في التفسير أن تَبَعاً كان ملكاً مؤمناً، وأن قومه كانوا كُفَّاراً».

(١٢) محمد بن محمد زبارة: الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ (مجموع) الدار اليمنية للنشر والتوزيع ١٩٨٤،

«وفي شمس العلوم^(١٣): هو أسعد تُبَّع الأوسط الكامل بن ملكي كرب أي تُبَّع الأكبر ابن تُبَّع الأقرن (لأنه كان له قرنين يضعهما مثل ذي القرنين)^(١٤)، وكان مؤمناً، ويقال إنه كان نبياً مرسلأ إلى نفسه، لأن الله ذكره عند ذكر الأنبياء، فقال: ﴿وَقَوْمٌ تَبِعَ كُلٌّ كَذَّبَ الرَّسُولَ﴾ ولم يُعلم أنه أرسل إلى قوم تُبَّع رسول غيره، وهو الذي نهى النبي ﷺ عن سبِّه لأنه آمن به قبل ظهوره بسبعائة عام، وليس ذلك إلا بوحي من الله ﷻ. وفي الحديث: «لا تسبوا تُبَّعاً فإنه قد أسلم»، وفيه: «لا تسبوا تُبَّعاً فإنه أول من كسا الكعبة». وأخرج أحمد بن حنبل والترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «رحم الله حمير، أفواهم سلام، وأيديهم طعام، وهم أهل أمن وإيمان».

ومن شعر تُبَّع الكامل (حسب زعمهم):

وكسونا البيت الحرام من العَصْدِ بِمِائَةٍ مِنْصَدًا وَبِرُودَا

وَأَقْمَنَابَهُ مِنَ الشَّهْرِ تِسْعًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدَا

وَنَحْرْنَا سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْبَدَنِ نَرَى النَّاسَ حَوْلَهُنَّ رُكُودَا^(١٥)

وفي رواية: وأقمنا من الشهر عشرأ (أي عشرة أيام بدلاً من تسعاً).

والقصيدة التي أولها:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسَمِ

وولادة أسعد بن تُبَّع الكامل في حمير على مسافة يومين شمالاً من صنعاء. ودَفَّنُهُ

في قرية غيبان من قرى بني بهلول على مسافة ساعات جنوباً إلى الشرق من صنعاء،

(١٣) شمس العلوم لشنوان الحميري، وهو صاحب القصيدة الحاتية الطويلة من تاريخ اليمن ومطلعها:

الأمجد وهو غير مزاح فاختر لنفسك صالحاً يا صاح

(١٤) زعم بعض الإخباريين والمؤرخين أن تُبَّع الأقرن هو نفسه ذو القرنين الذي جاء ذكره في القرآن

الكريم في سورة الكهف.

(١٥) كما أسلفنا لم تكن لغة قريش قد ظهرت قبل البعثة بسبعائة عام وسادت، حتى يقول فيها تُبَّع شعراً،

وثانياً نرى المبالغة من البدن التي نحرها عند البيت، فقد نقل ابن كثير أن تُبَّعاً نحر نحو ستة آلاف بدنة.

وها هو تُبَّع ها هنا حسب زعمهم يقول إنه نحر سبعين ألف بدنة عند البيت. وهو رقم خرافي.

كما هو الأشهر والمحفوظ عن علماء عصرنا^(١٦).

وتروى من القصيدة المشهورة الأبيات التالية:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسب
له أمة سُميت في الزبور فأمة أحمد خير الأمم
فلو مُدَّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وكنت ظهيراً على المشركين أسقيهم كأس حرب وهم

أبو كرب تبان أسعد (الأسعد الكامل) في سيرة ابن هشام

جاء في سيرة ابن هشام^(١٧): قال ابن إسحاق، وتبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة وساق الحبرين من يهود (المدينة) إلى اليمن، وعَمَّرَ البيت الحرام.

«قال ابن إسحاق: وكان مرّ بها (أي المدينة) في بدأته، فلم يهج أهلها، وخَلَّفَ بين أظهرهم ابناً له، فُقِّتِلَ غيلة، فقدمها وهو مجمع لإخراها واستئصال أهلها، وقطع نخلها. فجمع له هذا الحي من الأنصار، ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني النجار (وطلة أم عمرو نسب إليها)... فاقتتلوا، فتزعم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونهم بالنهار ويقرونه بالليل، فيعجبه ذلك منهم. ويقول: والله، إن قومنا لكرام، فبينما تَبَّع على ذلك من قتالهم، إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بني قريظة، عالمان راسخان في العلم، حيث سمعا بما يريد من إهلاك المدينة وأهلها فقالا له: أيها الملك لا تفعل، فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة. فقال: ولم ذلك؟ فقالا: هي مُهَاجِرُ نبيّ يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان،

(١٦) موقع ولادة ووفاة تبع الكامل تحتاج إلى تحقيق ولا دليل على ما قاله زبارة.

(١٧) أبو محمد عبد الملك بن هشام الحِمَيرِيّ المعافري: سيرة ابن هشام (وهي تهذيب ابن إسحاق). تعليق ومراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، (تصوير دار الفكر الناشر البائي الحلبي ١٩٣٧)، ص ١٥-٢٥. وقد اختصرنا هاهنا ما قاله بحذف ما لا حاجة له.

تكون داره وقراره، فتناهى عن ذلك. ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منها، فانصرف عن المدينة، وأتبعها على دينها...

قال ابن إسحاق: وكان تُبَّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجّه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان وأملج أتاه نفر هذيل (من نسل نزار ابن معد) فقالوا له: أيها الملك ألا ندُّك على بيت مال أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزرجد والياقوت والذهب والفضة؟ قال: بلى. قالوا: بيت بمكة يعبد أهله، ويصلّون عنده. وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك... فسأل الحبرين فقالا له: ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك. ما نعلم بيتاً لله اتخذ في الأرض لنفسه غيره، ولئن فعلت ما دعوك لتهلكنّ وليهلكنّ من معك جميعاً. قال: فماذا تأمراني أن أصنع، إذا أنا قدمت عليه؟ قالوا: تصنع عنده ما يصنع أهله: تطوف به، وتعظّمه، وتكرمه، وتحلق رأسك عنده، وتذلّ له حتى تخرج من عنده. قال: فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالوا: أما والله إنه لبيت أبنينا إبراهيم، وإنه لكما أخبرناك، ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله، وبالدماء التي يهريقون عنده، وهم نجس أهل شرك... فقتل النفر من هذيل، وأقام بمكة فطاف البيت ونحر عنده وحلق رأسه. وأقام بمكة ستة أيام^(١٨)، ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل... ثم كسا الكعبة بعد رؤيا رآها.

وكان تُبَّع (أب كرب تبار أسعد) أول من كسا الكعبة، وأوصى جُرحم، وكانوا سدنة

(١٨) قالوا وأقام بمكة تسعة أو عشرة أيام، واستدلوا بذلك ببيت من شعر قالوا إن تُبَّع قاله:

وكسونا البيت الذي حرّمه الله ملاء مُعَصِّباً وبرودا

وأقمنا من الشهر عشرأً وجعلنا لبابه إقليدا

ويُروى تسعاً بدلاً من عشرأً.

قالوا وتُبَّع هذا (أي أسعد الكامل أكبر) هو أول من كسا الكعبة كسوة كاملة. رأى في المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع، ثم رأى أن يكسوها الوصائل: ثياب خيرة من عصب اليمن، وجعل لها باباً يغلق، وهو الإقليد (والإقليد لغة هو القفل، وقد ورد في القرآن الكريم ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ جمع لإقليد. ولا يزال أهل حضرموت يستخدمون لفظ إقليد إلى اليوم.

البيت، بتطهير البيت الحرام، وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاة، (خرق الخيض).

ثم خرج إلى اليمن ومعه الخبرين اليهوديين، ودعا قومه إلى الدخول في اليهودية فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى نار كانت تخرج في اليمن يتحاكمون إليها فيما يختلفون، تأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم، فخرج قومه بأوثانهم وخرج الخبران تجاهها فأكلت النار الأوثان، فتبعته جُمَيْر على دينه (اليهودية).

وكان لهم بيت يسمونه رثام يعظّمونه، وينحرون عنده، ويكلمهم منه كاهن مختفي فيه، شيطان (من شياطين الإنس) يفتنهم، فاستطاع الخبران أن يبطلا كلامه، ويستخرجا منه كلباً أسوداً، وهدما ذلك البيت.

الأبحاث والنقوش التاريخية في عهد التبابعة

أول من تلقب بملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت

شمر يرعش بن ياسر يهنعم (٢٧٥-٣٠٠ بعد الميلاد)

يعتبر شمر يرعش بن ياسر يهنعم أول من تلقب بلقب ملك سبأ وريدان وحضر موت ويمنت، ويعتبره الإخباريون أول التبابعة.

وشمر يرعش هو ابن ياسر يهنعم، والمشهور عند المؤرخين العرب باسم ناشر النعم. وقد حكم ومعه ابنة شمدر يهنعم، وابنه عمدان يهقبص، من الفترة الممتدة من سنة ٢٥٠ إلى ٢٧٥ ميلادية. وقد زعم المؤرخون العرب أن ناشر النعم غزا بنفسه الشام والعراق والمغرب. ورغم ذلك فإن لقبه في النقوش الموجودة في معبد بلقيس هو ملك سبأ وريدان، دون إضافة حضر موت ويمنت. ولو كان كما يزعمون لامتد لقبه إلى حضر موت ويمنت. وقد أُرِّخ أحد هذه النقوش في شهر ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة بالتاريخ الحميري. وللحصول على التاريخ الميلادي يخصم منها ١١٥ سنة فيكون ذلك التاريخ ٢٧٠ ميلادية.

وعندما تولى شمر يرعش سنة ٢٧٥ ميلادية كان لقبه هو ملك سبأ وريدان، ثم بعد فترة وجدت نقوش أخرى، وقد تَلَقَّب بلقب ملك سبأ وريدان وحضر موت ويمنت. وقد زعم الإخباريون أن شمر يرعش (هيرعش) قد وصل إلى الصين وحكمها فضلاً عن سجستان وفارس والتبت والعراق والشام وأفريقيا... إلخ.

وقد زعموا أن أفريقش بن ذي المقار، أحد التبابعة، هو الذي فتح أفريقيا وسميت باسمه، وكل ذلك من الأساطير والقصص.

النقوش من عهد شمر يرعش

ويقول الباقية^(١٩) إن هناك نقشين من محرم بلقيس في مأرب من عهد شمر يرعش وُصف فيها «بملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان». واكتشفها الباحث جام، ويعرفان بجام ٦٥٦، وجام ٦٦١. كما أن هناك نقوشاً أخرى من نفس المكان يوصف فيها شمر يرعش بملك سبأ وذي ريدان بن ياسر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان (جام ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٥). وهناك مجموعة ثالثة من النقوش من نفس الموضع تربط بين الأب والابن في عهد واحد: «ياسر يهنعم وابنه شمر يرعش ملكي سبأ وذي ريدان» (جام ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨).

وهكذا نجد أنه بعد أن حكم مع أبيه حكماً مشتركاً، انفرد بالحكم بعد وفاة أبيه، وبدأ يتلقَّب باللقب الجديد المطول.

وهناك نقوش متعددة تتحدث عن شمر يرعش بلقب ملك سبأ وريدان، ومنها النقش (م ٤٠٧) الذي يصف اشتراك المقتوي (المقتوي هو أحد الأقبال الذين يعملون للملك، وهو ما يوازي قائد كبير أو أمير) أبو كرب مع سيده الملك في غزوة

(١٩) محمد عبد القادر الباقية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٣٧-١٥١.

ضد قبائل سهرت ودوأت وصحر وحرث، ومقاتلتهم في وادي (ضممد)، ثم مطاردهم إلى (عكوتين)، في الأنحاء الشامية (الشالية)، حتى احتواهم واحتملهم البحر، فقتلوهم بوسطه... والمنطقة المذكورة هي في شمال تهامة ما بين وادي بيش ووادي سهام. وقد كانت قبيلة سهرت في العهود السابقة على صلة وثيقة بالأحباش. أما في هذا الزمن فيبدو أن الأحباش قد أخرجوا من اليمن تماماً ليعودوا إليها بعد قرون.

وهناك نقش (جام ٦٤٩) كتبه مقتوي آخر لشمر يهرعش ذكر فيه عدداً من المعارك التي خاضها لسيدته، وعدد الذين نازلهم أمام الجيش فقتلهم أو أسرهم. وفي نقش (جام ٦٥٠) يتحدث المقتوي بهل أسعد الجرتي عن اشتراكه في حرب ضد سهرتن لحساب سيده شمر يهرعش.

ويحكي نقش (جام ٦٥١) أن المقتوي عبد عم (عم هو أحد أسماء القمر الذي كان يُعبد من دون الله. وهو الاسم المتداول لدى القتبانيين)، أن هذا المقتوي اصطحب أتباعاً وجنوداً إلى مأرب بأمر شمر يهرعش للمراقبة والعمل (الخدمة) أثناء موسم الأمطار، ولبناء وتجديد سور المدينة وأبراجها، والحيلولة دون طغيان مياه الأمطار عليها.

وكان هناك نظام يجعل من واجب المقتوي وأتباعه المراقبة والحراسة في موقع معين، وهو ما يشير إليه المقتويان (شربيل وأخوه مرتدم) اللذان أمرهما الملك شمر يهرعش بالإقامة والحراسة بالقصر (سلاحين) في مأرب.

وهذه المجموعة من النقوش تتحدث عن شمر يهرعش بلقب ملك سبأ وذي ريدان فقط. ولكن هناك مجموعة أخرى من النقوش تتحدث عنه بلقب سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. ومن غير المعروف تاريخ هذا التغيير. ومن المجموعة الأخيرة من النقوش (جام ٦٥٦) ويتحدث فيه عن عدد من أبناء سبأ كهلان عن

غزوهم لحضرموت وإخضاعهم لها لحساب الملك شمر يهرعش الذي ظهر بلقب ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت.

وهناك نقش (م ٩٤٨) يتحدث عن دخول شمر يهرعش إلى حجر في (حضرموت) واستيلائه عليها وما فيها من اللبان. وقد فرض شمر يهرعش سيطرته على شبة عاصمة حضرموت القديمة، كما استولى على المناطق الساحلية الممتدة من قانا إلى عدن، والمطلّة على بحر العرب والمحيط الهندي. وهذه المنطقة هي التي أُطلق عليها لفظ (يمنت) أي المناطق الجنوبية، كما قد أوضحناه في الفصل الأول من الكتاب من أن يمنت أو يمن تعني الجنوب، وأن شامت أو شام: تعني المناطق الشمالية.

وهناك عدد من النقوش بهذا الصدد منها نقش (جام ٦٦٠) ونقش من متحف صنعاء، وفيه أن أحد أتباع وأمراء شمر يهرعش، وهو شمر أولط، ذهب إلى مدينة شبة ليتقرب إلى الإله سين (وهو من أسماء القمر الذي كانت عبادته منتشرة هي والشمس وعثر (الزهرة) في اليمن).

وقد توغلت قوات شمر يهرعش في المناطق الشمالية في عسير، وحارب امرؤ القيس بن عمرو المتوفى سنة ٣٢٨ ميلادية، والذي كتب على شاهد قبره: أنه ملك العرب وأخضع قبائل أسد، ونزار، ومعد، وأنه شئت قبيلة مذحج، وبلغ مدينة نجران التي كان يحكمها شمر يهرعش. ولكن يبدو أن الحرب بين الجانبين كانت سجالاتاً.

وقد تمكّن شمر يهرعش من إخضاع حضرموت وسواحلها، رغم الاضطرابات المتكررة، كما أخضع كل ما كان لمملكة سبأ وريدان، ووسّع ملكه إلى تهامة ونجران، واتجه إلى المناطق الشمالية متحالفاً مع قبائل كندة ومذحج والأعراب.

واستمرت حضرموت في المقاومة والثورة. وهناك نقش لسعد تالب الجدني كبير الأعراب (نقش رقم ك ٣٢) في عهد ذمر علي يهبر^(٢٠) ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. ويبدو أنه قد حكم بعد ياسر يهنعم وذرا أيمن وشمر يهرعش. وفي الحملة تفصيلات كثيرة في إخضاع حضرموت والوصول إلى تريم، وشبام، وسيون، ومريمة، وغيرها من المدن والقلاع الحضرمية. وذكر أن عدد القتلى من الحضارم بلغ ١٣٠٠ والجرحى ٧٠٠ والسبي ثلاثة آلاف مع الغنائم. وقفلوا راجعين إلى سيدهم ومعهم «أنهار» الذي ملكوه حضرموت، نيابة عن الملك، ومجموعة من الأمراء والقواد، ووصلوا إلى ظفار العاصمة حيث أحسن الملك استقبالهم.

ويرتّب الباقية هؤلاء الملوك المتعاقبين والذين لقبوا بملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت كالتالي:

- (١) شمر يهرعش بن ياسر يهنعم.
 - (٢) ياسر يهنعم (غير والد شمر يهرعش) وابنه درأ أيمن.
 - (٣) ذمر علي يهبر (عمرو بن ذي القرنين عند شرف الدين).
 - (٤) ثاران يهنعم ابن ذمر علي يهبر (ويسميه شرف الدين الهدهاد بن الهدهاد)
- [ذمر وثاران حكما معاً].

ويتحدث النقش (ك ٣١) عن عهد ذمر علي يهبر مع ابنه ثاران يهنعم، وعن إصلاحات واسعة للطرق تمت حوالي سنة ٤٣٤ هجرية (٣٤٣ - ١١٥ = ٣١٩ ميلادية).

وهناك ملك جاء اسمه في نقشين (جام ٦٦٦ و ٦٦٧) تلقّب بملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت واسمه كرب إل وتر يهنعم. وفي النقش إشارة إلى ثورة حدثت بمدينة ظفار تمّ القضاء عليها.

(٢٠) يسميه شرف الدين في قائمته عمرو بن ذي القرنين تبع الأقرن (اليمن عبر التاريخ ص ٩٧-٩٩).

وفي مجموعة الكهالي هناك نقش جديد (ك ٢٨) يذكر أن الملك كرب إل وتر يهنعم أرسل وفداً إلى النجاشي في الحبشة، وأن هذا الوفد مكث في هذه الرحلة سبعة أشهر، وأنه حقق مهمته بنجاح، وأن الوفد عاد عن طرق ميناء المخا (مخون) اليمني المشهور.

ورغم أن العلاقات قديمة بين الحبشة، وخاصة مملكة أكسوم واليمن، فإن أكسوم احتلت مناطق يمنية واسعة في عهد ملوك سبأ وذي ريدان، إلا أن الأحباش قد أخرجوا من اليمن منذ عهد ياسر يهنعم أو قبله ولم يعودوا لها حتى القرن الخامس الميلادي.

وقد تولى بعد ثاران يهنعم ابن ذمر علي يهبر، ابنه ملك كرب (ملككرب) والذي حافظ على اللقب «ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت». وكما هو معتاد كان ثاران ينعم يجعل ابنه مشاركاً له في الحكم. وهناك نقش (جام ٦٧١) تحدّث عن تصدّع في سدّ مأرب في عهدهما، وقاما بإصلاح ذلك الخلل بكل همة وتفان. هي المرة الثانية التي تتحدّث فيها النقوش عن تصدّع سد مأرب الذي سبقت الإشارة إليه^(٢١).

ويبدو أنّ تحوّلًا في الديانة قد حدث. رغم أن المشهور لدى المؤرّخين العرب أن أبكرب أسعد (أسعد الكامل)، وهو المشهور بتبّع عندهم، أنه هو الذي تحوّل إلى اليهوديّة بعد أن غزا المدينة وأخذ معه منها حبرين يهوديين. ولكن هذا النقش يوضح أن والده ملككرب وأخاه ذرا أمر أيمن قد دخلا أيضاً في الدين الجديد. ولعل أبكرب أسعد هو الذي قام بتلك الحملة المشهورة، ولما عاد ومعه الخبران اليهوديان دخل اليهوديّة والده وأخوه، كما دخلها عدد من رجالات حِمير وشعب حِمير.

وفي النقش السابع (بيت الأشول ٢) أيضاً ذكر ليهوديّ اسمه يهودا يكف

(٢١) انظر فصل مملكة سبأ الباذخة في التاريخ والقرآن الكريم، مدينة مأرب وسدّ مأرب.

الذي قام بإنشاء بيته الذي سبّاه (يكرب) والذي حمد فيه إله السماء والأرض على ذلك. ويبدو أن أبكرب أسعد هو الأخ الأكبر، ولهذا يتكرّر في النقوش: «أبكرب أسعد وأخهو (أخوه) ذرا أمر أيمن، وبنهو (بنوهم حسن (حسان) يأمن، ومعد كرب ينعم، وحجر إيفع، أملك (ملوك) سبأ وريدان وحضرموت ويمنت»^(٢٢).

ويقولون إن أبكرب أسعد هذا توفي بمدينة غيمان، وله فيها قصر مشهور، هو قصر غيمان، وغيمان منطقة جُمَيْرِيَّة غنيّة بالآثار. وفي المنطقة وإد يسمّى وادي أسعد، وكذا غيل أسعد، وبقايا بنايات ضخمة بناها أبكرب أسعد هذا.

وقد ذكر عدد من المؤرخين النقش الملكي (بيت الأشول ٢) بالخط المسند، عثر عليه في منكت خارج أنقاض ظفار ذي ريدان، عاصمة جُمَيْر، وكتب في سنة ٤٩٣ جُمَيْرِيَّة (٣٧٨ ميلادية) وفيه ذكر الإله ذي سموي أي إله السماء، ويذكر النقش الملكي ملكي كرب يهامن وابنيه أبكرب أسعد وذرا أمر أيمن. والنقش كان بمناسبة قصر لهم واختتموه «بمقام مرأهمو مرأسمين» أي بمقام سيدهم سيّد السماء. وتاريخه شهر ذداون من عام ٤٩٣ جُمَيْرِيَّة (أي ٣٧٨ ميلادية) كما يقول البافقيه^(٢٣).

وقد تحدّث الإخباريون عن ملكي كرب (ملككرب وحرّفوه أحياناً إلى كليكرب) وقالوا إنه حكم ٣٥ سنة. ولكن أحمد شرف الدين في كتابه: «اليمن عبر التاريخ»^(٢٤) يقول إنه حكم من سنة ٣٧٤ إلى سنة ٣٨٥ (أي ١١ عاماً فقط). ثمّ تولّى بعده ابنه أبكرب أسعد (أسعد الكامل) أشهر التبابعة ودام حكمه فترة طويلة

(٢٢) د. محمد عبد القادر البافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥١.

(٢٣) د. جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢/ ٥٦٨، د. محمد عبد القادر البافقيه:

تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٠.

(٢٤) أحمد شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٩٨.

من ٣٨٥ إلى ٤١٥ ميلادية، كما يقول شرف الدين، بينما يتحدث الإخباريون أنه حكم لمدة ثلاثمائة وست وعشرين سنة، وهو أمر غير صحيح ولا منطقي. (ذكر المدّة الطويلة ابن كثير في التفسير كما قد مرّ معنا).

وأبكرب أسعد (أسعد الكامل) هو كما يقول الباقي، أشهر ملوك اليمن الأقدمين (من التبابعة). وقال الهمداني في الإكليل^(٢٥): إن مولده كان بخمر، وإن نشأته كانت بجبل أهنوم، وكلا الموضوعين يقعان في بلاد همدان. وقد نقل عنه الهمداني أشعاراً كثيرة فصيحة، ولغتها سهلة، وفيها إيمان بالنبي ﷺ الذي سيأتي في آخر الزمان، وأنه لو عاش إلى زمنه لكان له وزيراً وابن عم، ولقاتل معه الكفار وقرج عنه كل غم، وسقى المشركين كأس حرب وهم، كما تقدم معنا وهي أشعار منحولة.

وقدمت أبكرب أسعد كما أسلفنا في مدينة غيبان الحِميرية وله فيها آثار وقصور. وفي عهد أبكرب أسعد تطوّر اللقب الملكي وأصبح: «ملك سبأ وذو ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهمو طودم (أي المناطق الجبلية: الطود) وتهتمم (أي تهامة)».

وهناك نقش (رقم ركانز ٤٠٩) الذي عثر عليه في شمال الجزيرة العربية في منطقة تدعى وادي ماسل الجمح، وفيه ذكر للملك أبكرب أسعد الذي وصل إلى تلك المنطقة^(٢٦).

وكان مع الملك أعراب كندة، وقد استولى هذا الملك على معظم أنحاء جزيرة العرب. ويذكر نقش (ركانز ٥٣٤) أن أبكرب أسعد قد عمّر وحكم طويلاً، وقد ذكره النقش مع خمسة من أبنائه وهم حسان يأمن ومعد كرب ينعم، وحجر إيفع، وشرحبيل يعفر وأبنا آخر. وتاريخه عام ٥٤٣ هـ حِميرية أي ٤٢٨ ميلادية.

(٢٥) الحسن بن أحمد الهمداني: الإكليل، ج ٨/ ٥٧.

(٢٦) د. محمد عبد القادر الباقي: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥١.

والغريب أن نقش (بيت الأشول ٢) والذي ذكر ملكي كرب يهامن ابنه أبكرب أسعد وذرا أمر أيمن كان تاريخه سنة ٤٩٣ هجرية أي ٣٧٨ ميلادية. وبين النقشين خمسين عاماً. وهذا يدل على أن أبكرب أسعد قد حكم مع والده أولاً ثم حكم مستقلاً. وأن الذين قالوا إنه حكم ٣٥ عاماً لم يبعدوا عن الصواب ومنهم الهمداني. أما الذين جعلوا حكمه ثلاثمائة سنة فقد أبعدوا النجعة. ويبدو أن شرف الدين (اليمن عبر التاريخ) قد خفّض المدة إلى ثلاثين عاماً (٣٨٥-٤١٥ م) وهي مدة متقاربة مع ما سبق.

وقد تولى حسان بن أبكرب أسعد بعد أبيه، وحكم من سنة ٤١٥ إلى سنة ٤٢٥. وقد حكم حسان هذا هجر، وتلقب باللقب الطويل «ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودم (طودا) وتهمت (وتهامة)». ويقول الإخباريون إنه غزا قبيلة جديس باليهامة، وقتل الزرقاء (زرقاء اليهامة) التي اشتهرت بأنها ترى الأشياء على بعد ثلاثة أيام.

وقد ذكر ابن هشام في السيرة، أن حساناً سار بهجر عن بلادها يريد غزو بلاد العرب والفرس كما كانت التبايع تفضل، فكرهت هجر البقاء معه ومواصلة الحروب، فكلّموا في ذلك أخاً لحسان كان معهم يقال له عمرو، وقالوا له: «اقتل أخاك، ونحن نملكك علينا، ونرجع إلى بلادنا»، ففعل، ولكنه ندم بعد ذلك فقتل رؤساء هجر الذين أشاروا عليه بذلك، وكان ذو رعين (أحد أقبال هجر) قد نصحه بعدم قتل أخيه، فأبقاه وجعله وزيره.

ثم تولى شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد الكامل بعد أخيه حسان وحكم من سنة ٤٢٥ إلى سنة ٤٥٥ م. وهي قريب من مدة حكم أبيه.

ويقول الباقرية إن شرحبيل يعفر كان ملكاً في عام ٤٥٩ م (٥٦٤ هجرية) كما يدل على ذلك نقش (٥٤٠ م) جاء فيه أن الملك شرحبيل يعفر قد أمر بإصلاح سدّ

مأرب الذي تعرّض للتصدّع للمرة الثالثة^(٢٧). وفي عام ٤٥٠ م (٥٦٥ هجرية) سخر الملك عشرين ألفاً من رجال حمير وحضرموت للقيام بالترميمات المطلوبة. وذكر تفصيلاً كميات الطعام وأنواعه المختلفة التي استهلكها هذا العدد الكبير من العمال المسخرين.

وقام هذا الملك بإصلاحات كثيرة في حفر القنوات وتسهيل الري. وخلاصة نقش الملك شرحبيل كما يورده شرف الدين ما يلي^(٢٨):

«شرحبيل يعفر ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود وتامة بن الملك كرب أسعد، ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم في الطود وتامة، قام بترميم سدّ العرم (أي سدّ مأرب) من قرب رحب إلى حدود عبران، بأن طهّره من أكداس التراب من أسفل المحاذي لوادي طمحان إلى أعلاه، كما شيّد سدّ (مذاب)، وكابّة^(٢٩) (جيلان) وكابّة (تزن) التابعة لقبيلة النمرين، بغية تحوير المياه إلى (العرم). كما قام بإصلاح محاجر وادي يسرين سارة (أي تنظيفاً لها من الأتربة) وعمارّة، مع ترميم مساقط المياه المنصبّة إلى السدّ والمصارف التابعة لها، وكان هذا الإصلاح في شهر ثبّان عام ٥٣٥ هجرية (أي ٤٢٠ ميلادية)^(٣٠).

«وقد اشترك في العمل الكثير من قبائل حمير وحضرموت يبلغ عددهم عشرين ألف عامل. ويذكر في آخر النص مقياس طول وعرض السدّ، وختمه بالثناء على إله الأرض والسماء. (كان كما أسلفنا هو ووالده وجدّه وقد تهوّدوا

(٢٧) محمد عبد القادر الباقية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٢.

(٢٨) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ١٢٨، ١٢٩.

(٢٩) لفظ الكابّة: يستعمل إلى اليوم في عدن واليمن الحجرية، وتعني بناء مرتفعاً ضخماً مثل العمود الضخم.

(٣٠) استمر العمل من عام ٤٢٠ إلى عام ٤٥٠ ميلادية، عندما كتب النقش، وذكر فيه تاريخ الانتهاء من العمل، وكان العمل على فترات متقطّعة، لأن العمال متبرّعون من القبائل.

وتركوا عبادة الأوثان والنجوم والقمر والشمس) على ما حباه من العون. ثم شكر القبائل التي اشتركت في الإصلاح، وكان مقدار ما استغرقه العمل من الأرزاق (٥٣٤٠) كيساً من حبوب البرّ والشعير والذرة والتمر، و(١٣٠٠) مظموس ومن اللحوم ١٣٧٠ رأس من الإبل و١٦٣٠ ذبيحة من البقر والغنم، و٤٠٣٠٠ غرباً من السمن والذبس) (نقيع التمر والزبيب). وتاريخ النقش شهر ذو ودان عام ٥٦٥ حَمِيرِيَّة أي عام ٤٥٠ للميلاد. وسبب الفرق بين التاريخين (٤٢٠ و ٤٥٠ ميلادية) هو أن الترميمات استمرت ثلاثين عاماً على مراحل، وبدأت عام ٥٣٥ حَمِيرِيَّة (٤٢٠ م) وانتهت عام ٥٦٥ حَمِيرِيَّة (٤٥٠ م)، أي أنها استغرقت ثلاثين عاماً كاملة. وهذا التاريخ الأخير هو نفس التاريخ الذي ذكره البافقيه في النقش رقم م ٥٤٠، وبذلك يتضح سبب الاختلاف في التاريخين (بداية الإصلاح ونهايته وهي ثلاثين عاماً).

ويشير نقش آخر كتب عام ٤٥٧ ميلادية أي بعد سبع سنوات من النقش السابق على أن الملك شرحبيل يعفر قد قام ببناء قصر له أسماه هرجم، وأنه أعاد ترميم السد تنظيفاً ونجصصياً، حتى لا يتعرّض مرة أخرى للتصدّع.

وقد أورد البافقيه نص هذا النقش كاملاً وفيه: أن الملك شرحبيل يعفر ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعراهم طودا وتهامة قام ببناء قصر (هرجم)، ووصف بناءه وحجارته المربعة، ونوافذه التي تفتح وتغلق، وأجراس من الذهب والنحاس بين تماثيل من الثيران المنحوتة، وأحاط القصر بمجموعة من التماثيل بشرية، وأوعال وأسود ونمور وكلها من الذهب والنحاس. وذكر ترميم السدّ بنصر وعون ومقام سيدهم الرحمن بعل (إله) السماء والأرض. وبقوة وعون قبائلهم وجيوشهم سبأ، وحَمِير، وحضرموت، ويمنت. وكان هذا الإنجاز قد تم بالشهر ذي ألن في العام الثاني والسبعين وخمسة (٥٧٢ حَمِيرِيَّة أو ٤٥٧ ميلادية).

ويقول البافقيه إن بهذا النقش تنقطع آخر أخبار شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد وأسرته الكبيرة، ولم تكتشف نقوش لمدة ٥٩ عاماً... ولا بد من البحث عنها فإنها لا شك مطمورة (لا توجد نقوش ما بين ٥٧٢ و ٦٣١ من التقويم الحِميرِي).

وقد تولى شرحبيل الحكم بعد شرحبيل يعفر كما يقول أحمد شرف الدين^(٣١) في قائمته بملوك التبابعة وأن مدة حكمه استمرت من سنة ٤٥٥ إلى ٤٧٠ ميلادية (٥٧٠ إلى ٥٨٥ بالتقويم الحِميرِي).

ويذكر جواد علي^(٣٢) وحسن صالح شهاب^(٣٣): أن هناك كتابة بالمسند ومؤرخة سنة ٥٧٥ حِميرية (٤٦٠ ميلادية) جاء فيها اسم شرحبيل يكف ملك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم (أعرابهم) طودم (أي طودا) وتهتمم (أي تهامة). وفي هذا المسند كتبت عبارة «رحمن وبنهو كرشستن غلبن» (أي الرحمن وابنه المسيح الغالب). وهذا يدل على أن اليهودية التي اعتنقها ملكي كرب يهامن وابنه أبكرب أسعد (أسعد الكامل) وابنه الآخر ذي أرا أمر أيمن، ثم اعتنقها أبناء أسعد الكامل حسان بن أبكرب أسعد الكامل ثم شرحبيل يعفر بن أبكرب أسعد الكامل، لم تستمر في عهد شرحبيل يكف الذي تنصّر. ثم إن معدي كرب يعنهم (ويذكره البافقيه) باسم (معدي كرب يعفر) هو آخر من تحلّى باللقب الملكي الطويل: «ملك سبأ وذوي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا وتهامة». ويقول صالح شهاب إنه كان أيضاً نصرانياً، وقد حكم من سنة ٤٧٠ إلى سنة ٤٩٥ ميلادية.

ثم إن الملك مرثد آلن ينوف (٤٩٥ - ٥١٥ ميلادية) كان أيضاً نصرانياً، ثم

(٣١) شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ٩٧-٩٩.

(٣٢) جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢/ ٥٦٨.

(٣٣) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ٧٢.

تولّى يوسف أسار (زرعة ذو نواس) الحكم، وتحوّل إلى اليهودية، وأعادها بقوة إلى جَمِير، وحارب الأحباش باعتبارهم غزاة، كما حارب النصارى باعتبارهم عملاء لهؤلاء الأحباش. وقد ارتبط اسمه بالمذابح التي أقامها للنصارى وخاصة نصارى نجران. وسيأتي ما ورد في القرآن الكريم في سورة البروج من قصة أصحاب الأخدود. وما قاله فيها المفسرون وما جاء فيها من أحاديث.

الفصل السابع

الأحباش واليمن

وقصة ذي نواس (يوسف أسامر زمرعة)

وأصحاب الأخدود، وقصة أبرهة

وأصحاب الفيل

علاقة أكسوم (الحبشة) باليمن

يطلق لفظ أكسوم على منطقة أرتيريا، وهي شرق الحبشة ومطلّة على البحر الأحمر، وقرية جدًّا من البر المواجه لها من اليمن. وفي الجهة الجنوبية لا يفصل بينهما سوى باب المنذب، ومن اليسير جدًّا على من يقف على أحد جانبي باب المنذب أن يرى البرّ المقابل له، إذا كان الجوّ صحواً، وفي معظم الأوقات يكون الجوّ كذلك^(١).

ونظراً للتشابه الكبير بين طبيعة الساحل الأرتيري والساحل اليمني الغربي (تهامة) (ساحل قاحل حار يفضي إلى هضبة مرتفعة تتمتع بمطار موسمية منتظمة)، فإن اليمنيين الذين سبقوا الأحباش في الحضارة واشتهروا برحلاتهم وهجرتهم، سرعان ما وصلوا إلى البرّ الأرتيري، وتسلّقوا تلك الهضبة، واستقرّوا بها، وكوّنوا مستوطنات كبرت مع الزمن. وقد اشتهر اليمنيون بدمائتهم، وسرعة اندماجهم في المجتمعات الغربية عنهم، وتزاورهم مع الأهالي. وهو أمر قد حدث في كل الهجرات اليمنية إلى العصور القريبة حيث ذهبوا إلى شرق آسيا ودخلوا أندونيسيا وماليزيا والفيليبين وتزوّجوا من أهلها ونشروا دينهم (الإسلام) فيها. وكذلك فعلوا في شرق أفريقيا، وفي أماكن أخرى كثيرة على مدى التاريخ.

وكوّن اليمنيون مستوطنات في أرتيريا واختلطوا بأهلها الكوشيين (من الجنس الحامي)، ولهذا نجد أن دائرة المعارف الإسلامية تذكر في مادة «حَمِير» أن بعض كتاب اليونان والرومان مثل مرقانوس (Maricianus) في بداية القرن الرابع الميلادي، يصف الحَمِيرِيِّين بأنهم شعب أثيوبي. ويتردّد هذا الوصف دائماً عند المصنّفين البيزنطيين القدماء^(٢).

(١) Ullindorf E. The Ethiopians. London ١٩٦٥, pp. ٥١-٤٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ / ١١٥ (مادية حَمِير ١١٤-١١٧).

وتؤكد أبحاث الآثار والنقوش أن أقدم الآثار التي عُثِرَ عليها في البرّ الأفريقي الحبشي، لا ترقى إلى أبعد من القرن الخامس قبل الميلاد، في حين تعود أقدم النقوش اليمنية إلى القرن العاشر قبل الميلاد. كما أن أقدم الأخبار الموثوقة عن مملكة أكسوم لا ترقى إلى أبعد من القرن الأول قبل الميلاد، بينما تعود أقدم النقوش في سبأ اليمنية إلى القرن الثامن قبل الميلاد في عهد المكربين. والغريب حقاً أن كل المظاهر الحضارية التي وجدت في البرّ الأفريقي (الحبشي) كانت لها نفس خصائص المظاهر الحضارية اليمنية. وذلك دليل واضح على أن تلك الظاهرة إنما حدثت بفعل الهجرة اليمنية إلى الحبشة (أرتيريا وما حولها)^(٣).

وقد أقام اليمنيون مستوطناتهم في الهضبة الأفريقية الأثيوبية، ونقلوا معهم لغتهم، وخطهم المسند، وفنهم المعماري، وطريقة عمل السدود والمنشآت والصهاريج لحفظ المياه، وطريقة اللبس، وصناعة الأسلحة. وقد أثبتت أقدم النقوش الأثيوبية التي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد أنها كتبت بالخط المسند، وأنها لغة سبئية صرفة، أضيف إليها تغييرات وتحورات تجعلها شبه سبئية. وقد ذكرت تلك النقوش العديدة سبأ ومأرب (ماربا) والإله السبئي «المقه» (الإله القمر) وبعض الآلهة اليمنية الأخرى^(٤).

وذكرت دائرة المعارف الإسلامية^(٥) أن الحُمَيْرِيِّين في زمن مؤلف كتاب رحلة (طواف) حول البحر الأحمر Periplus Maris Erythrae (حوالي ٧٠ ميلادية)، كانوا يحتلون جانباً من الساحل الأفريقي الشرقي (Azalla) أي زيلع. وتقول أيضاً إن خط المسند الذي كتبت به النقوش السبئية والمعينية قد اقتبس للأبجدية الأثيوبية. وهي تحوي جميع الحروف العربية بإضافة حرف صغير مغاير للسين. ولغة حمير

(٣) د. محمد عبد القادر الباقي: تاريخ اليمن القديم، ص ١٦٥-١٦٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ / ١١٤-١١٧.

السبئية هي لهجة عربية تنهاز عن عربية الشمال بخصائص نحوية معينة مثل التميم (أي حرف الميم بدلاً من التنوين) واستبدال أداة التعريف أل بحرف النون^(٦). وعندما يريد اليميني أن يقول سأفعل، يقول: هافعل، أو شافعل، وهي باقية إلى اليوم.

ويقول كتاب رحلة (طواف) حول البحر الأحمر Periplus Maris Erythrae إن علاقة اليمن بشرق أفريقيا كانت وطيدة في زمنه. وأن أمير قبيلة المعافر (وهي قبيلة حِمْيَرِيَّة معروفة ومساكنها هي منطقة الحجرية اليوم، وعاصمتها تُربة، ومناطقها القبيطة وذبحان والمقاليس والمقاطرة واليوسفية وقدس والصلو والأعبوس وهي بالقرب من تعز) Mapharitic Chief يحكم الساحل الجنوبي لليمن الذي سماه الساحل الأوساني Ausanic Coast، حيث قامت دولة أوسان القويّة، والتي دخلت في منافسات وحروب مع دولة سبأ، ودولة سبأ وذي ريدان بعدها، ودولة حضرموت. وكانت دولة أوسان دولة بحريّة بالدرجة الأولى، وتعتمد على التجارة البحرية الممتدة من الهند إلى مصر، وإلى الساحل الأفريقي.

وقد سيطر الحاكم الأوساني على الساحل الأفريقي المقابل، وبالذات منطقة حافون (وهي في الصومال حالياً). ولا تزال منطقة في المعلا في عدن تسمى حافون لأن أكثر أهلها من الصومال). ووصل الأوسانيون إلى ربطة Rhabta على الساحل الشرقي الأفريقي. وأقاموا علاقات وطيدة مع أكسوم (أرتيريا) وتحاربوا معها في بعض الأحيان، ولكن معظم علاقاتهم كانت ودية وتجارية. وأثبت أمير المعافر (في دولة أوسان) أنه قادر على السيطرة على كلا الساحلين اليمني والأفريقي المقابل له الذي يمتد من خليج أفاليتس (Gulf of Avalites) إلى رأس التوابل Cape of Spices. ويعتقد بعض الباحثين أن أوفاليتس هي نفسها مدينة زيلع... وقد وسّع حكام دولة أوسان (عدن والسواحل الجنوبية والتهامية) علاقاتهم مع أرتيريا والصومال والحبشة والسودان^(٧).

(٦) دائرة المعارف الإسلامية، المصدر السابق.

(٧) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن ص ٥٦.

ويقول الباقرية^(٨): إذا تأمل الإنسان في أسماء بعض الأماكن في مصوِّع (ميناء أرتيريا الحالي) يجد الأسماء العربية اليمنية، ويجد النقوش الحميرية والسبئية.

وما أن جاء القرن الأول الميلادي، حتى كانت مملكة أكسوم قد برزت إلى الوجود، وكانت اليمن في تلك الفترة مشغولة بصراعاتها الداخلية المريرة، مما يسر لهذه المملكة الناهضة أن تتطَّع إلى احتلال المناطق المجاورة من الساحل اليمني (تهامة)، والممتدة إلى عسير. وهي المنطقة التي أطلق عليها الجغرافي والمؤرخ الروماني بطليموس في خارطته اسم «الكنايديو كوليتاي». وسرعان ما أصبح الأحباش طرفاً في الصراع اليمني نفسه فحالفوا الهمدانين ضد الحميريين، كما يوضحه النقش (م ٣٠٨)، وحاولوا احتلال ظفار الحميرية اليمنية لحسابهم، كما يشير إليه النقش (جام ٦٢٩). ثم ناصروا شمر ذي ريدان الحميري ضد السبئيين (النقشين جام ٥٧٦ و٥٧٧). ولعلَّ النقوش الحبشية التي زين فيها الملوك الأحباش ألقابهم بمناطق يمنية، تعود إلى هذا الوقت (القرن الرابع بعد الميلاد)، ومنها لقب ملك سبأ وذي ريدان (حمير)^(٩).

وفي كثير من الفترات كانت العلاقة التجارية وطيدة بين الجانبين الحبشي الأرتيري واليمن. وكان ميناء عدول (Adulis) الأرتيري نشيطاً جداً في القرن الأول وما بعده، وهو في مقابل ميناء المخا الذي اشتهر عبر العصور. وكانت الوفود الملكية بين الجانبين على قدر من الأهمية. وقد وصف صاحب الرحلة (الطواف) حول البحر الأحمر Periplus Maris Erythrae هذه العلاقات الحسنة بين ملك أكسوم زوسكالييس (زاهكاليه) وملك اليمن خربثيل (أي كرب إيل).

وفي القرن الرابع الميلادي تمَّ لأكسوم القضاء النهائي على مملكة مروى الحبشية. وبلغت ذروة اتساعها على الشاطئ الأفريقي. وفي عهد الملك عزانا بن

(٨) د. محمد عبد القادر الباقرية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٦٥-١٦٩.

(٩) المصدر السابق.

اللامبيدا الذي تنصّر (القرن الرابع الميلادي)^(١٠)، اتّسع ملكه في السودان ضد البجّة، ونواحي نهر عطبر، ووصل إلى قرب ملتقى النيلين (موقع الخرطوم اليوم). ثم احتلّ مناطق من اليمن واسعة وجعل ضمن ألقابه ملك حَمِير وريدان وسبأ وسلحح (سلحح أو سلحين: اسم قصر في مأرب). وتدلّ النقوش على أنه قد تنصّر. وفيها إشارات واضحة مثل «ربّ السماء الذي يهيم على كل كائن في السماء والأرض». ومع ذلك هناك نقوش من نفس الفترة تدلّ على العبادات الوثنيّة. ولعلّها ترجع إلى ما قبل اعتناق عزانا النصرانية أو إلى مجموعات لم تكن دخلت الدّين النصرانيّ بعد.

وأخذت النصرانيّة في الانتشار، وقويت العلاقات والصلات بين أباطرة الروم والحبشة، وخاصة أن الدولة البيزنطيّة كانت تسعى لمدّ نفوذها التجاريّ والعسكريّ إلى اليمن منذ فترة طويلة. ولا أدلّ على ذلك من غزو الرومان لليمن في عهد يوليوس جاليوس سنة ٢٤ قبل الميلاد، وهي الحملة التي مُنيت بالفشل الدّريع.

وفي مطلع القرن السادس الميلاديّ أثناء حكم يوسف أسار زرعة ذي نُوّاس الذي تهوّد، بدأ الاضطهاد في اليمن ضدّ النصارى، وخاصة نصارى نجران، مما أدّى إلى أن يتّصل الإمبراطور جستنيان الأول إمبراطور بيزنطة بملك الحبشة (أكسوم)، الملك «كالب اللا أصبحه»، ويمدّه بالسفن والمال ليهاجم على اليمن، ويتنقم من ملكها يوسف أسار (ذي نُوّاس) الذي تهوّد وقتل نصارى اليمن. ولم يكن ملك الحبشة محتاجاً لمن يهيجه ضدّ ذي نُوّاس فقد قتل ذو نُوّاس أعداداً كبيرة من الأحباش الذين كانوا يحتلّون تهامة وظفار ونجران.

(١٠) يقال إن الملك عزانا بن اللامبيدا تنصّر على يد الأسقف فرومنتوس (Frumentius) واختلف في سنة دخوله النصرانية على أقوال ثلاثة: سنة ٣٤٤ أو ٣٥٠ أو ٣٥٦. انظر: زاهر رياض، تاريخ أثيوبيا (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣٨-٤١)، وجورج حوراني: العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة السيد يعقوب، ص ٩٤-٩٦.

بداية النصرانية في اليمن

قدم إلى عدن القسّ الهنديّ الأصل من مدينة ديو، الأريوسي المذهب ثيوفيلس (أي محبّ الإله) سنة ٣٤٥ وقيل سنة ٣٥٦، وبعثه قسطنطين الثاني (٣٣٧-٣٦١م)، الذي كان يؤيد الأريوسية، على عكس سلفه قسطنطين الأول الذي كان أول من تنصّر من أباطرة الرومان، وحارب الأريوسية حرباً شعواء. والأريوسية تجعل للمسيح المكانة العليا، لكنها لا تجعله إلهاً ولا ابن الإله كما تفعل الكاثوليكية، والفرق الأخرى. ولهذا تمّ اضطهادها منذ البداية، ثم القضاء عليها ما عدا فترة قصيرة هي فترة ظهورها وفترة قسطنطين الثاني وفترات محدودة أخرى^(١١).

والخلاصة أن القسّ الهندي ثيوفيلس هذا أخذ الإذن من الملك الحِميريّ في ظفار لفتح كنيسة في عدن من أجل التجار اليونان والرومان الذين يقيمون في هذه المدينة التجاريّة فترة طويلة من الزمان. كما سمح له الملك الحِميريّ بإقامة كنيسة أخرى في ظفار العاصمة نفسها^(١٢)، ولكن يبدو أن انتشار المسيحية كان ضئيلاً في تلك الفترة، رغم الجهود الضخمة التي بذلتها مملكة أكسوم.

ويبدو أن هذا الغزو تمّ كما أسلفنا في عهد الملكة بلقيس بنت الهداد، ولكن طردهم منها الهداد بن الهداد، وهو ثاران يهنعم بن ذمر علي، والذي حكم ما بين ٣٤٥ إلى ٣٧٤ ميلادية. ولم يكن للحبشة وجود في عهد أبكرب أسعد الكامل، ولا عهد بنيه. وإنما يبدو أنهم دخلوا مرة أخرى في عهد شرحبيل يكف (٤٥٥-٤٧٠ ميلادية) الذي تنصّر، وتبعه معدي كرب يهنعم الذي كان نصرانياً أيضاً (٤٧٠-٤٩٥م)، وتبعهم مرثد آلن (أي الله) ينوف وكان أيضاً نصرانياً. ثم تولى بعدهم

(١١) حزة لقمان: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ودراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية لمحمد علي البار، دار القلم، ٢٠٠٦.

(١٢) جورج حوراني: العرب والملاحاة في المحيط الهندي، ترجمة السيد يعقوب، ص ٩٤-٩٦.

يوسف أسار زرعة ذو نؤاس الذي تهوّد، وحارب النصرانيّة بعنف، كما حارب الأحباش الغزاة وهو صاحب القصة المشهورة.

الحرب بين النصارى واليهود في اليمن

بدأ التنافس بين النصرانية واليهودية، ثم تحوّل إلى حروب كما هو معروف. وانتقلت الحرب من الدولة البيزنطية إلى وكلائها بالحبشة الذين احتلّوا اليمن، وأقاموا تحالفات متعددة مع ملوكها، ونشروا النصرانية في ربوعها، وحيث تحوّلّت بالفعل أعداد كبيرة من اليمنيين إلى هذا الدين الجديد... بل إن النصرانية بفروعها المختلفة دخلت اليمن، وأول ما دخلها المذهب الأريوسي الموحد الذي يعتقد أنّ المسيح، وإن كانت له المكانة الكبرى، إلا أنه ليس ابن الله وليس مساوياً للأب، وبقي المذهب المينوفيزي (الموحد) هو الأكثر انتشاراً في اليمن. وفي عام ٥٠٠ ميلادية تمكّن الزاهد السوري الأصل فيمون من إدخال النصرانية إلى نجران، وهي أيضاً من المذهب الموحد الأريوسي. وقد قرّب بعض النصارى الأريوسيين من العراق وسوريا إلى جزيرة سقطرى واليمن^(١٣).

(١٣) مذكرات ويلستد التي نقلها البروفسور برين دو في كتابه: «سقطرى جزيرة السكينة»: Brain Doe

زرعة ذو نواس

وفي سنة ٥١٠، وقيل سنة ٥١٥ ميلادية، تربّع الملك الحِميري زرعة ذو نواس على عرش اليمن، وكان وثنيًا، ثم تحوّل إلى اليهودية بواسطة بعض رجال الدين اليهود، وتسمّى باسم يوسف، ثم دفعوه إلى مناوأة النصاري. وخاصة أن الأحباش كانوا يحتلون بعض مناطق اليمن، ويفرضون على ملوكها التحوّل إلى النصرانية، ويعاملونهم كأتباع. وكانت توجد في بعض المناطق اليمنية مثل ظفار حاميات حبشية.

ويوسف أسار هو نفسه زرعة ذو نواس الملك الحِميري، وقد قام ذو نواس بعد تهوّدته بمحاربة الأحباش بصورة أكبر مما كان عليه قبل تهوّدته، وناصره كثير من أهل اليمن على اعتبار أن الأحباش قوة أجنبية غاشمة محتلة. وقد عثر العالمان البلجيكيان ريكمان ووسما على نقش حِميري مؤرخ سنة ٦٣٣ هجرية أي ٥١٨ ميلادية. وفي النقش الذي سجّل باسم ريكمان وأعطى رقم ٥٠٨ (Rykman ٥٠٨)^(١٤) أن حرباً وقعت بين الملك يوسف أسار (زرعة ذو نواس) والأحباش. وأن القبائل اليمنية مثل يزن وجدنم وجبا أيّدتته، وأنه هاجم ظفار وهدم كنيستها (ecclesia) وهي كلمة تعني الكنيسة التي تجمع)، ويسمونها القليس (تحريف لإكليسيا، وهو اسم الكنيسة باليونانية)، وسار إلى أرض الأشاعر والمخا، وهدم كنائسها وهزم الحبشة. ثم إنه زحف إلى أرض شمر فدكّ معاقلها. وكان عدد القتلى من الأحباش وحلفائهم في هذه المعارك ثلاثة عشر ألف قتيل، أما عدد الأسرى فقد بلغوا تسعة

(١٤) جاء في كتاب نجران منطلق القوافل لعبد الرحمن الطيب الأنصاري (دار القوافل للنشر، الرياض ٢٠٠٣م) نص هذا النقش، وفيه: «ليبارك ألن (الله) الذي له السماء والأرض الملك أسار يثار ملك كل الشعوب وليبارك الأقيال»، وذكر مجموعة من الأقيال الذين حاربوا معه وأنه قتل من أعدائه ١٢,٥٠٠ شخص وأسر منه ١١,٠٠٠ وغنم ٢٩٠,٠٠٠ من الإبل والبقر والضأن. وأرّخه من مذران (يوليه) من عام ثلاثة وثلاثين وستائة (حبرية) وكتبه تميم ذحضية، بحياية ربّ السماء وربّ هود ومحمد من كل خسيس ومخادع.

آلاف وخمسمائة أسير. وغنم ٢٨٠ ألف رأس من الأبقار والأغنام والإبل وغنائم أخرى. ثم زحف إلى نجران وقاتل الأحباش وحلفائهم وأنزل بهم خسائر عظيمة^(١٥).

وعلى هذا، فيبدو أن تعذيب النصارى في نجران كان ضمن هذه الحروب ضد الأحباش وحلفائهم. ولكن الحرب تميّزت بشراستها، وخاصة في نجران بحيث تمّ قتل النساء والأطفال والكبار والصغار في قصة الأخدود الشهيرة، حيث أضرمت النيران في الأخدود ورُميَ فيها كل من رفض أن يغيّر دينه.

المذابح التي وقعت للنصارى

ويصف هذه الوقائع المؤرّخ العدني حمزة علي لقمان^(١٦) قائلاً: «ووقعت أول مذبحه ضد المسيحيين اليمنيين والأحباش في مدينة ظفار اليمنية والمحاظة بسور منيع يجرسها عدد من الجنود الأحباش». ولما فشل ذو نُوَاس باحتلالها بقوة السلاح استعمل الحيلة والخداع، وأرسل وفداً من القسس المسيحيين والحاخامات اليهود، مقسماً بأدوناي (أي بالله) بأن لا يمستهم سوء إذا جاؤوا إليه طواعية، وأنه مستعدّ لإرسال الأحباش إلى بلادهم سالمين... فصدقت الحامية ذلك، وأرسلوا ثلاثمائة منهم إلى الملك ذي نُوَاس الذي أحسن وفادتهم. ولكنه بيّتهم بالغدر وقتلهم في الليل قاطبة، وهجم على ظفار، وأباد من بها من سكانها النصارى ومن الأحباش.

«وتوجّه إلى نجران واستخدم نفس الحيلة، ولكن الحيلة فشلت بعد أن وصلت أنباء مذبحه ظفار إلى أهل نجران، فرجع ذو نُوَاس إلى القوّة العسكريّة، ولكن أهل نجران صمدوا رغم الحصار، ورغم ما تكبّدوه من خسائر في الأرواح والممتلكات. وتعجّب الملك ذو نُوَاس من صمودهم فأرسل إليهم أنه سيعفو عنهم إن هم جاؤوا

(١٥) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن ص ٧٣-٧٥.

(١٦) حمزة علي لقمان: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، ١٧-٢١.

إليه طائعين، فأرسلوا له وفداً من ١٥٠ فرداً فقتلهم ذو نواس وهجم عليهم فجأة، وانتصر عليهم ثم إنه حفر الأخاديد وأضرم فيها النيران، وخيّر الأهالي بين أن يرجعوا عن دينهم (النصرانية الموحدة الأريوسية) أو يجعلهم طعمة للنيران، فثبتوا. وسبق عشرون ألفاً من أهل نجران إلى الأخاديد وأحرقوا أحياء رجالاً ونساءً، شيباً وأطفالاً، وهي مذبحه مريضة بكل المقاييس.

وذكر بطريرك متلين (المتوفى سنة ٥٣٦ ميلادية) أن زرعة (ذو نواس) بعث برسالة إلى المنذر ملك الحيرة بالعراق، يخبره بها فعله بالأحباش، ونصارى اليمن، لأنهم رفضوا التحول إلى اليهودية. وأنه زحف على نجران بمئة وعشرين ألف مقاتل، وأنه استولى عليها بحيلة بعد أن أقسم لهم أنه سيعفو عنهم، ولكنه نكث بأيمانه، وأفتاه أحبار اليهود بذلك، وأن لا شيء عليه في نكته العهد. فقتلهم وأضرم النار في الأخاديد ورماهم فيها. وأن مطرانهم بولس قد توفي قبل الاستيلاء على المدينة، وأروه قبره، فأخرجه من القبر وأحرقه^(١٧). وتقول دائرة المعارف الإسلامية إن القديس أرتاس (St. Arthas) استشهد عام ٥٢٦م، وهو من أهل نجران في قتال ملك أكسوم (الحبشة).

وهناك لوحة نقش جُمَيْرِيّ بالمسند على بعد ٥٠ ميلاً شمال شرق نجران يصف هدم الكنيسة وقتل رجالها، وهجوم الملك يوسف (زرعة ذو نواس) على نجران، وعلى المنخا (نخون)، و(أسعرن) الأشاعر الموجودون في تهامة، والذين ناصروا الأحباش.

وقد حرّر في سنة ٦٦٣ جُمَيْرِيّة (٥١٨ ميلادية).

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية ج٨/١١٦ (مادة جُمَيْر ١١٤-١١٧).

أهل الأخدود في القرآن الكريم والسنة المطهرة

جاءت قصة أهل الأخدود في سورة البروج (١ - ١٠)، قال تعالى: ﴿وَالسَّاءِرَاتِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ﴾.

وقد أورد ابن كثير^(١٨) في تفسيره لهذه السورة أن أهل التفسير وأهل السير اختلفوا في أهل الأخدود على أقوال:

١- أنهم أهل نجران: وهذا أحد أقوال محمد بن إسحاق صاحب السيرة، ورواه عن محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران. وأن أهلها كانوا نصارى على دين عيسى عليه السلام (الذين الموحد القديم، وهو مذهب آريوس)، فسار إليهم ذو نواس بجنده، فدعاهم إلى اليهودية، وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخذ الأخدود، وحرقتهم بالنار، وقتلهم بالسيف، ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألف. ففي ذي نواس وجنده أنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصة أهل الأخدود.

وذكر ابن إسحاق أن ذا نواس اسمه زرعة، وبعد أن تهود صار اسمه يوسف، وهو ابن بيان أسعد أبي كريب، وهو تبع (أسعد الكامل) الذي غزا المدينة وكسا الكعبة، واستصحب معه من أحبار اليهود فكان هو أول من تهود من ملوك حِمير (وهو أمر غير صحيح وإن كان ذو نواس من نسله وعقبه فبينها مئات السنين).

(١٨) ابن كثير (أبو الفدا إسماعيل) القرشي: تفسير القرآن العظيم، ج ٤ / ٤٩١-٤٩٦.

ولما قتل أهل نجران (عشرين ألفاً) لم ينجُ منهم أحد إلا رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان، فذهب إلى قيصر ملك الشام، فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة، يقدمهم أرباط وأبرهة فانصروا على ذي نواس فانتهر في لجج البحر... واستمرّ ملك الحبشة على اليمن سبعين عاماً ثم استنقذه منهم سيف بن ذي يزن بعد أن استنجد بالفرس.

٢- أوردت كتب السنّة مثل صحيح مسلم والنسائي والترمذي ومسند أحمد، قصة أخرى ليس فيها تحديد المكان ولا الزمان والحديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر. فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر. وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه. وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر.

«قال: فبينما هو ذات يوم، إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحبّ إلى الله أم أمر الساحر. قال: فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورمها فقتلها ومضى الناس. فأخبر الراهب بذلك. فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ. فكان الغلام يرى الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم. وكان للملك جليس فعمي، فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة. فقال: اشفني ولك ما هنا أجمع. فقال ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فأمن فدعا الله فشفاه.

«ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربّي. فقال: أنا؟ قال: لا، ربي وربك الله. قال: ولك ربّ غيري؟ قال: نعم، ربّي وربك الله. فلم يزل يعذّبّه حتى دلّ على الغلام، فبعث إليه، فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء. قال: ما أشفي أحداً، إنما يشفي الله ﷻ. قال: أنا! قال: لا. قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربّي وربك الله. فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلّ على الراهب، فأتى الراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه. وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى فبعث به مع نفر على جبل كذا وكذا. وقال: إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك. فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فبعث به مع نفر في قرقور فقال: «إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر». فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون. وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. ثم قال للملك: إنك لست بقاتي حتى تفعل ما أمرك به، فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، فقل باسم الله ربّ الغلام، فإنك إن فعلت ذلك قتلني. ففعل ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: باسم الله ربّ الغلام، فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات. فقال الناس: آمناً برّبّ الغلام. فقيل للملك: رأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك. قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فحُدّت فيها الأخاديد، وأضمرت فيها النيران، وقال:

من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها. قالوا فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أمّاه فإنك على الحق».

هكذا أورده ابن كثير واللفظ لمسلم. وأورد قصصاً أخرى مماثلة، بعضها عن محمد بن إسحاق صاحب السيرة، وأنها حدثت في نجران. وفي رواية أخرى كانت الأخدود في اليمن زمان تُبَع (والمقصود أسعد الكامل أول من تهود)، وأن الذين عُدُّوا كانوا على الدين النصراني الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام... وفي رواية أنها في العراق، في بابل، وأخرى أنها في فارس، حتى قال أسباط السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ﴾، كانت الأخدود ثلاثة: خُدُّ بالعراق، وخُدُّ بالشام، وخُدُّ باليمن... رواه ابن أبي حاتم. وعن مقاتل أيضاً أنها ثلاثة: واحد بنجران اليمن، وواحد بالشام، وواحد بفارس. وقال إن التي أنزل الله فيها القرآن هي التي حدثت في نجران باليمن.

والخلاصة أن أصحاب السيرة والتاريخ على أنها قد حدثت في نجران باليمن في عهد يوسف، زرة ذي نَؤاس الذي تهود وقتل نصارى نجران من الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام (من المذهب الأريوسي الموحد).

وأما أصحاب علم الحديث فلم يحدّوا مكاناً ولا زماناً، وأثبتوا قصة الغلام التي جاءت في صحيح مسلم وسنن الترمذي والنسائي ومسنَد أحمد. والله الأعلم بالصواب، ولا يمنع أن تكون قد حدثت في نجران، حيث مكان الأخدود لا يزال موجوداً إلى اليوم. ونجران في جنوب المملكة العربية السعودية.

ولا يذكر سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن» شيئاً من هذه القصص، وإنما يذكر دلالاتها من انتصار الإيمان على الظلم والطغيان والجبروت والكفر، حتى وإن كان المؤمن يوضع في الأخدود ويُحرق، ما هي إلا لحظات وينتقل إلى

العالم الآخر، بينما ينتقل الطاغية إلى عذاب جهنم وعذاب الحريق أبد الأبدية. ويتنقل المؤمن إلى رضوان الله وجنة عرضها السموات والأرض، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ.

والخلاصة أن القرآن والسنة المطهرة لم تحدّد زمان ولا مكان أهل الأخدود، وإنما فعل ذلك أهل التفسير والأخبار.

دراسات تاريخية في النقوش اليمينية في فترة ذي نواس وأبرهة نقوش هامة من عهد يوسف أسار ذي نواس وسميفع أشوع وأبرهة

ذكر الدكتور محمد عبد القادر البافقيه^(١٩) مجموعة من النقوش الهامة التي عثر عليها في اليمن وترجع إلى هذه الفترة الهامة، وأحدها قد كتبه أو أمر بكتابه يوسف أسار زرعة ذي نواس، والثاني كتبه سميفع أشوع الحِميرِي الذي كان عينه ملك الحبشة، ليكون نائباً عنه في اليمن، ولكن أبرهة لم يمكّنه من ذلك. والثالث نقش أمر بكتابه أبرهة بن الصباح الأشرم حاكم اليمن الفعلي والذي اعترف به النجاشي، ولأهمية هذه النقوش سنذكرها تفصيلاً.

نقش يوسف أسار ذي نواس (جام ١٠٢٨)

وفي عهد يوسف أسار (زرعة ذي نواس) كُتب نقش طويل عثر عليه جام في بئر الحميمة شمال نجران (جام ١٠٢٨). وقد كتب هذا النقش أحد أتباع يوسف أسار وهو القليل شرحبيل ذي يزأن عندما رابط في نجران، ومعه قبائل همدان ورماة من الأذن (وهم من حَمِير) وأعراب كندة ومراد ومذحج^(٢٠).

وقد افتتح النصّ بالدعاء: «ليبارك إلن (الله) الذي له السماء والأرض الملك يوسف أسار، ملك كل الشعوب، وليبارك الأقبال لحيعث يرخم، وسميفع أشوع وشرحبيل أشوع وشرحبيل أسعد، بني شرحبيل، يكمل سادة يزأن (قبيلة اليزنيين من حَمِير) وجدن (قبيلة حَمِيرية أخرى) الذين ساندوا سيدهم الملك يوسف أسار يثأر (وهو نفسه زرعة ذو نواس) عندما دمر حرقاً الكنيسة (القليس ecclesia) وقتل الأحباش بظفار، والذين ساعدوه في محاربة الأشاعر والركب وفرسان والمخا (المتعاونين مع الأحباش)، وفي محاربة نجران (التي تحوّلت إلى النصرانية،

(١٩) د. محمد عبد القادر البافقيه: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٤-١٥٦.

(٢٠) المصدر السابق..

وكانت مع الأحباش)، وتقوية دفاع (تصنع) (جبال سسلتن؟ المنذب)^(٢١). وشكرهم عندما التقوا حوله، وعندما غنم وظفر بهذه الغزوة التي كان فيها عدد القتلى من الأعداء ٥١٢ ألف قتيل^(٢٢) (وهو رقم كبير جداً، وإن صحَّ ذلك فهو يدلُّ على بطش الملك يوسف أسار ذو نواس بأعدائه وقتله المدنيين والنساء والأطفال والشيوخ الذين أبوا ترك النصرانية والالتحاق باليهودية... وأن ما ورد من القرآن في سورة البروج يشير إلى هذا الملك الجبار)، والسبي إحدى عشر ألفاً، و٢٩٠ ألفاً من الإبل والبقر والضأن.

ويتحدث النصّ (النقش جام ١٠٢٨) عن الأعمال الحربية التي شنَّها الملك في ظفار، وفي الأجزاء الجنوبية من تهامة عند باب المنذب، وفي نجران (وهي المناطق التي كانت تحتلها الحبشة وتساندها فيها القبائل من تلك المنطقة).

وذكر النقش أن القليل شرحبيل أشوع هو الذي تولى احتلال نجران باسم الملك، وأن أخوته الأقبال كانوا يرابطون مع الملك بالبحر قرب باب المنذب ويقومون بتقوية الاستحكامات ووضع السلسلة عند باب المنذب لمنع الأحباش من الوصول إلى البر اليمني.

ويختتم النقش بالدعاء لأبناء الأسرة الأقبال وأرَّخه في شهر مذرأن من عام ثلاثة وثلاثين وستائة (حُمَيْرِيَّة) أي ٥١٨ ميلادية. ووضع النقش المسند في حماية ربِّ

(٢١) سسلتن تعني السلسلة، والمقصود بذلك وضع سلاسل عند باب المنذب تمنع نزول أمداد الحبشة إلى البرِّ الأيمن، وهي منطقة بحرية محدودة. وقد حاول الفرس بعد ذلك استخدامها ضد الأسطول البيزنطي... وقد التبست العبارة على الدكتور محمد عبد القادر الباققيه، ولذا وضع عليها علامة السؤال. وهذا الإجراء الذي قام به يوسف أسار (ذو نواس) ليس غريباً، بل هو أمر متوقَّع.

(٢٢) يبدو أن الباققيه أخطأ في نقل الرقم والصواب هو ١٢,٥٠٠ (اثنا عشر ألف وخمسة مائة) وقد أكد هذا الرقم الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري في كتابه: «نجران طريق القوافل» عندما نقل النقش المذكور.

السماء، ثم ولادة وقوة الجند من كل خسيس ومخادع. ويستعيذ بالرحمن العليّ ضد كل من يحاول مسنحه. صاغه تميم ذي حديت وقدمه باسم «الرحمن ربّ هود ومحمّد»، وهو أمر غريب جدًّا، والنقش موجود ولم يعلّق الباقية ولا غيره على هذه العبارة الأخيرة، ومعلوم أنّ مُقدّم النقش وكاتبه هو يهوديّ من أقبال جَمِير المتهودين، وذكرهم للرحمن غير مستغرب، ففي نقوش سابقة جاء ذكر الرحمن. ولكن المستغرب هو ذكر الرحمن ربّ هود ومحمّد. وكان من المتوقّع من يهوديّ أن يقول ربّ إبراهيم وموسى مثلاً. ولكن ذكر هود وهو غير موجود في التوراة الموجودة اليوم، يدلّ على أن الجَمِيرِيّين كانوا يعرفون هوداً، وهو على أية حال جدّ قحطان أو والد قحطان كما يقول الإخباريون. وهم من نسل جَمِير بن سبأ من أحفاد قحطان. وبالتالي قد لا يكون الأمر شديد الغرابة في ذكر هود عليه السلام. وأما ذكر محمّد صلى الله عليه وآله فهو مذكور لا ريب في أسفار التوراة التي لديهم، وأما التوراة الحالية فلا يوجد فيها نصّ صريح في ذلك، ولا شك أنهم قد حذفوا ما فيها من نصوص صريحة تبشّر بالنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

نقش سميفع يشوع من حصن الغراب (م ٦٢١)

ويتحدث النقش عن الصراع مع الأحباش وأحلافهم الذين كانوا موجودين في اليمن عام ٦٣٢ جَمِيرِيَّة (٥١٧ ميلاديّة). وقد استمرّ الصراع حتى عام ٦٤٠ جَمِيرِيَّة (٥٢٥م)، وهو نهاية حكم ذي نواس (يوسف أسار). وهناك نقش من حصن الغراب (م ٦٢١) يتحدّث عن هذا الصراع وتاريخه عام ٦٤٠ جَمِيرِيَّة (٥٢٥م)، وفيه أنه سميفع أشوع وأخوته رمّوا حصن الغراب، وبابه، وسوره، وصهاريجه، وطريق العقبة الصاعدة إليه، وتحصّنوا به. (وذلك بعد أن انتصر الأحباش على يوسف أسار)، ووجدوا الأحباش زرافات بأرض جَمِير حيث قتلوا ملك جَمِير وأقباله الجَمِيرِيّين والأرحبيين.

والسؤال الذي يضعه الباقي هـ هل هذا سميفع يشوع هو نفسه الذي تحوّل إلى النصرانية وولاه ملك الحبشة أمر اليمن، لأنه كان حريصاً على إيجاد ملك يمني؟ ولكن أبرهة وهو عبد لرجل يوناني من عدول (ميناء أرتيريا)، وأحد قواد الجيش استولى على قيادة الجيش بمؤامرة وقتل أرباط القائد الرسمي، وتولّى الحكم في اليمن وبالتالي تخلّص من سميفع يشوع هذا...

والسؤال الثاني الذي يضعه الباقي هـ ولم يردّ عليه: من هو ملك حمير الذي قتله الأحباش؟ ولكن من الواضح أن النقش يتحدث عن يوسف أسار (ذي نواس) الذي هزمه الأحباش وقتلوه وذلك سنة ٥٢٤ ميلادية، والنقش مكتوب سنة ٦٤٠ حميرية، أي سنة ٥٢٥ ميلادية.

ويُدعى سميفع أشوع في هذا النقش أن له السيادة على مناطق واسعة تمتد من حضرموت إلى منطقة ظفار (والظاهر أن المقصود بظفار هاهنا ظفار المهريّة المطلّة على المحيط الهنديّ والموجودة شرق حضرموت، وهي حالياً في سلطنة عمان. ولا يقصد مدينة ظفار الحميرية الموجودة شمال تعز وجنوب صنعاء، فهذه قد استولى عليها الأحباش).

ويبدو من النصّ، كما يقول الباقي هـ^(٢٣)، أن سميفع أشوع كان يقبع مترتباً في حوض الغراب، وأن الأمور في سنة ٦٤٠ حميرية (٥٢٥ ميلادية)، لم تكن قد استقرّت بعد. ولعلّ تسوية قد تمت بعد احتلال الأحباش لمدينة ظفار والمناطق الغربية بين الغزاة، وبين هذا الزعيم اليمنيّ. ولعلّ اختفاء النعمة اليهودية من نقشه كان دليلاً أو تمهيداً لتحوّل دينيّ أتاح له التفاهم مع الحبشة.

ولم ينتبه الباقي هـ إلى أن سميفع أشوع، أو يشوع، هو نصرانيّ حسب اسمه. فيشوع أو أشوع هو يسوع بذاته أو عيسى عليه السلام، ولست أدري معنى اسم سميفع ولعلّها السامع (المطيع) ليشوع.

(٢٣) د. محمد عبد القادر الباقي هـ: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٨.

وقد ورد أن ملك الحبشة كان حريصاً على تعيين أحد الأمراء (الأقيال) اليمانيين الذين تنصروا، ولا شك أن سميفع يشوع هذا قد تنصّر، كما هو واضح من اسمه، وتسميه المراجع العربيّة صحيفع. وقد عينه الملك بالفعل ملكاً لحَمَيْر، وحاكماً على ظفار (ريدان) الحَمَيْرية. ولكنّ أبرهة (إبراهيم)، وهو في الأصل عبد لتاجر يوناني من (عدول)، قتله. وعدول (Adulis) هي ميناء الحبشة الآسامي والمشهور، والتي نافست المخا في مرحلة من المراحل. وتوجد في شرق أرتيريا مواجهة للمخا اليمانية.

وخلاصة الأمر أن سميفع أشوع الأمير الحَمَيْري الذي تنصّر والذي عينه ملك الحبشة المنتصر على ذي نواس (يوسف أسار) قد قتل بيد رجال أبرهة (إبراهيم) الذي استتبّ له الأمر، وصار ملك الأحباش في اليمن غير المتوّج.

وقد قام أبرهة أيضاً بقتل أرباط قائد الجيش الرسمي بعد أن أعلن مبارزته، ودبر حيلة بواسطة أحد عبيده لاغتياه فاغتاله. وهنا استشاط ملك الحبشة غضباً وأقسم أن يدوس بقدمه التراب مخلوطاً بدم أبرهة. وما كان من أبرهة - كما تقول الروايات التاريخية - إلا أن أرسل له دمه مخلوطاً بالتراب ليدوسه النجاشي كالب ملك الحبشة بقدمه، ويرّ قسمه، كما أرسل له الهدايا الثمينة والأموال الجزيلة، فأقرّه على ملكه في اليمن.

نقش أبرهة بن الصباح الأشرم نقش مأرب الكبير سنة ٥٤٢ ميلادية (٦٥٧ حَمَيْرية) وأبرهة (أبراهام) تلقب في النقوش بنائب الملك الأجفري رحيس زبيمن «ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنت وأعرابهم طودا وتهامة». ولعلّ كلمة زبيمن تعني «الذي باليمن».

ويذكر الباقرية^(٢٤) نقشاً طويلاً تركه ذلك الملك الحَبَشِيّ في مأرب (النقش رقم م ٥٤١)، ويبدأ النقش بعبارة: «بقوّة وعون ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس

(٢٤) د. محمد عبد القادر الباقرية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٥٩ - ١٦٤.

سَطَرُوا هذا المسند. إن أبره (أبرهة) نائب الملك الأَجْفَرِيّ (ملك الحبشة) ورحيس زبيمن ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا وتهامة».

ثم يتحدث النقش عن تمرد قام به شخص يدعى يزيد بن كبشة وأنه أخل بالمواثيق بعد أن استخلفه أبرهة على حكم كندة. كما يذكر النقش تمرد عدد من أقبال سبأ، وهم مُرَّة، وثمامة، وحنش، ومرثد، وحنف ذو خليل، ومعهم اليزينيون (من جَمِيرَة)، الأقبال معددي كرب بن سميفع وهعن وأخوته بنو أسلم. وقد أرسل أبرهة الأشرم لهؤلاء قائداً يدعى جره دزبنز ليتولى مهاجمة حصن كدار بالمشرق، وهو الذي اعتصم فيه الأقبال المتمردون.

وبلغ أبرهة أن شخصاً يدعى يزيد جمع الجموع من كنده وحارب بهم حضرموت وأسر مندوب أبرهة هناك مازن هجن الأذمري. ولما بلغ الخبر إلى أبرهة جمع جيوشه من الأحباش ومن جَمِيرَة بالآلاف في شهر ذي القبط من عام ٦٥٧ جَمِيرِيَّة (يونيه ٥٤٢ ميلادية)، وتحرك عن طريق صرواح في اتجاه العبر، ولكن الناصر يزيد سارع بإعلان ولائه وتوبته.

تهدم سد مأرب

وفي هذه الأثناء جاء من يستصرخ الملك من سبأ، لأن سدّ العرم قد تهدم حاجزه وقنواته ومصارفه، وذلك في شهر ذمردان ذي السبعة (أي الشهر السابع) من نفس السنة (٦٥٧ جَمِيرِيَّة)، وأصدر الملك (أبرهة) أمره إلى الأحباش بأن يشتركوا مع اليمنيين في الأعمال التي يتطلبها ترميم السدّ. وذهب الأعراب إلى مدينة مأرب وقدسوا بيعتها، ومن هناك توجهوا إلى العرم (السدّ) وقاموا بالحفر، كما اتجهوا إلى الجبل (العر) ليأخذوا منه الحجارة المطلوبة لإقامة الأساس لجسم السدّ.

إعادة بناء السدّ

«وبعد أن تمّ لهم وضع الأساس الحجريّ انتشر مرض بين القبائل وفي المدينة، ولما رأى الملك أن ذلك قد أرهق القبائل أذن لهم، أحباشهم وأحمرهم (أي جَمِير هم)،

وعاد الملك من العرم إلى مدينة مأرب، ومعه الأقيال المواليين له (ذو الكلاع، وذو مهدم، وذو ذبيان، وكبير حضرموت... إلخ)... وتحدث عن قدوم وفود لتساهم في دعم بناء السدّ وهم سفراء النجاشي، وسفراء ملك الروم، ووفد ملك فارس، ورسول المنذر ورسول الحارث بن جبلة (الغساني) ورسول أبكرب بن جبلة.

«وما لبثت العُمة أن انجابت بعون الرحمن، ووردت القبائل في الموعد الذي اتَّفَق عليه من قبل، وبدأ أبناءؤها في عمليات الترميم.

وذكر بعد ذلك تفاصيل السدّ وأبعاده، التي رُمّت وكميَّات الطعام التي استهلكت في تلك الفترة من قبل العمال من القبائل والأحباش.

إعادة وإصلاح وبناء سدّ مأرب للمرة الثالثة والأخيرة

وقد لخص أحمد شرف الدين^(٢٥) نصّ نقشه أبرهة بن الصباح (الأشرم) في إصلاح سدّ مأرب (النقش م ٥٤١)، وذكر تفاصيل هامة لم يذكرها الباقي، ومنها: أن تأجيل العمل في السدّ لم يكن بسبب مرض، بل بسبب موعد حصاد الزروع (الصراب)، وأن القبائل يرغبون في حصاد زرعهم أولاً، ثم يعودون للسدّ بعد الصراب... وقد ضرب لهم أجلاً فلما حان الأجل بعد حصاد الزرع، جاءت القبائل ومنهم قبائل (كدار) من حضرموت، وجبا وكنع ويعفر (من حمير)، وعلى رأسهم الملوك والأدواء (أي رؤساء حمير). كما جاء من الحبشة أكسوم ذو معاهر ابن النجاشي ملك الحبشة بنفسه ليساهم في احتفالات بناء السدّ. وجاءت قبائل ذو شعبان وذو رعين (قبيلة من مخلاف يمحصب) وذو همدان (وقبائل همدان تشمل حاشد وبكيل والأزد) وذو الكلاع (وذو الكلاع الأكبر يزيد بن النعمان، والأصغر سميفع بن ناكور... وكلاهما من أدواء أي زعماء اليمن. والكلاعي في اللغة الشجاع وصاحب البأس، والتكلّع: التحالف والتجمّع)، وذييين، وكبار حضرموت، وكان معهم الكثير من الصلات والمعونات المالية.

(٢٥) أحمد حسين شرف الدين: اليمن عبر التاريخ، ص ١٣٠ - ١٣٢.

وفي نفس الوقت جاء إليه وفد ملك الروم، ووفد ملك المنذر (من الحيرة)، ووفد من الحارث بن جبلة ملك الغساسنة وأخيه أبي كرب بن جبلة.

وبوشر العمل في إعادة بناء (العرم) أي سد مأرب حتى بلغ ٤٥ أما (أي ذراعاً) طولاً و٣٠ باعاً عرضاً و١٤ باعاً سمكاً، كما قام بتطهير حوض السد ومصارفه.

وكان مقدار ما استغرقه العمل من المؤن ٥٠٨٠٦ كيساً من الدقيق (البر) و٢٦,٠٠٠ وِسْقاً من التمر، و٣٠٠٠ ذبيحة من الإبل والبقر والغنم، بالإضافة إلى ٢٠٧,٠٠٠ ذبيحة من الغنم خاصة. وأهريق ٣٠٠ غرب من السمن، و١١,٠٠٠ غرباً من الدبس (نقيع التمر). وكانت مدة العمل أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً. كتب النص في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ بالتوقيت الحُمَيْرِي (أي سنة ٥٤٣ ميلادية).

معركة يوم حلبان (النقش ركامنز ٥٠٦)^(٢٦)

ورغم العديد من الثورات التي قامت ضد أبرهة إلا أنه وطّد حكمه في اليمن، وقضى على أعدائه العديدين وعلى الثوّار. وكان يتلقب بأبي أكسوم وأيدته كثير من قبائل اليمن. وخاصة قبائل تهامة ونجران التي تنصّر أكثرها، كما أيدته مجموعات كبيرة من حِمَيْر التي تنصّر بعض زعمائها فقط، وبعض زعماء قبائل حضرموت وكندة. وامتدّ ملك أبرهة إلى قبيلة معد الشمالية، وتعرف المعركة باسم يوم حلبان الذي سجّله أبرهة أيضاً في نقش وجده الباحث ركامنز (النقش ركامنز ٥٠٦). وقد تمردّ بنو عامر فسيّر إليهم أبرهة مقاتلين من كندة وسعد وقبائل أخرى، وأحدث فيهم مقتلة وأصاب منهم مغنم كثيرة، ثم إن أبرهة بنفسه هاجم حلبان بجيش كثيف فاستسلمت له معد وقدمت الرهائن. واستخلف عليهم عمرو بن المنذر بعد أن قدّم هو الآخر ابنه رهينة. وهي سياسة استمرت في اليمن دهوراً طويلة إلى عهد

(٢٦) د. محمد عبد القادر الباقية: تاريخ اليمن القديم، ص ١٦٢، ١٦٣.

الإمام أحمد وعهد الاستعمار الإنجليزي في عدن والجنوب. وهو أن يجعلوا أحد زعماء القبائل حاكماً على منطقته، وفي نفس الوقت يأخذون منه ابنه رهينة عندهم حتى لا يتمرد. وقد رجع الملك إلى عاصمته في صنعاء بحول الرحمن حسبما يقول النقش المؤرخ بعام ٦٢٢ هجرية (٥٠٧ ميلادية). ويبدو أن هناك خطأ في التاريخ لأن أبرهة لم يكن دخل اليمن في ذلك الوقت، بل إن يوسف أسار (ذانواس) لم يكن قد ظهر على المسرح بعد، وإنما كان الملك الحُميري هو مرثد آلن ينوف (حكيم من سنة ٤٩٥ إلى سنة ٥١٥ ميلادية) وكان نصرانياً.

ولعل التاريخ الصواب هو ٦٥٢ هجرية الموافق ٥٣٧ ميلادية. وهو عهد أبرهة في اليمن.

وقد ذكر الشاعر المخبل المعديّ يوم حلبان، وانتصار أبرهة (أبو يكسوم)، فقال:

ويوم أبي يكسوم والناس حُضِرُّ على حلبان إذ تقضى مجاملة
طوبنا لهم باب الحصين ودونه عزيز يمشي بالحراب مقاوله

أبرهة وقصة أصحاب الفيل

عندما قام زرعة ذو نُوَاس بمذبحته للنصارى في اليمن وفي نجران بصورة خاصة، كما أسلفنا، وصل الخبر إلى قيصر الروم جستنيان الأول البيزنطيّ بواسطة الناجي الوحيد الذي فرّ من نجران، ووصل إلى القيصر، ويدعى دوس ذو ثعلبان. وأياً يكن الأمر فقد اتصل قيصر الروم بملك الحبشة (قيل اسمه كالب وقيل بل ألا «الله» أصبحه) يحثّه على الانتقام لهؤلاء النصارى الذين ذبحهم وحرقهم ذو نُوَاس. ولم يكن ملك الحبشة (كالب) محتاجاً لمن يحثّه على ذلك، فقد قتل ذو نُوَاس الحبشة الذين كانوا في اليمن يحكمون أجزاء منها، وبينون الكنائس وينشرون النصرانية.

ويقال إن كالب هذا جهز سنة ٥٢٣م سفناً كثيرة بمساعدة الإمبراطور جستنيان البيزنطيّ بلغت حسب زعم المؤرّخين ٢٣٠ سفينة، منها سبعين سفينة كبيرة، وخمسة عشر ألف جندي. ويقال إن ذا نُوَاس أقفل موانئ البحر الأحمر اليمنية بسلاسل حديدية، ثم رتب جنوده على الشواطئ لمنع نزول الأحباش إلى البرّ (وهو ثابت بالنقوش التي سبق ذكرها). وبعد لأيٍ تمكّن كالب من الهبوط بجنوده على الساحل اليمنيّ، بينما كانت قوات أخرى نزلت من الحجاز وعسير إلى اليمن. واضطر ذو نُوَاس إلى الانسحاب إلى الجبال. ويقال إن الهزيمة حلّت بجيوش ذي نُوَاس فسار بفرسه نحو البحر حتى غرق.

وعندما استقرّ ملك الحبشة في ظفار، وقضى على ذي نُوَاس عَيْن (سميفع أشوع) صميفع الحِميريّ الذي تنصّر حاكماً على ظفار وما حولها. ويقال إن أبرهة (إبراهيم) أحد ضبّاط الحملة من الأحباش، والذي كان في الأصل مملوكاً لتاجر يونانيّ في (عدول وهي ميناء أرتيريا) استولى على السلطة بعد أن عاد الملك إلى الحبشة. وأن الملك غضب، ولكن أبرهة استطاع أن يستجلب رضاه بعد أن دفع له الجزية، وأرسل له تراباً مخلوطاً بدمه، كي يبرّ الملك بقسمه ويطأ على دم أبرهة في التراب.

ونقل أبرهة عاصمته من ظفار إلى صنعاء، ثم وسع رقعة مملكته حتى استولى على اليمن بأكملها وتلقب بلقب «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت والأعراب في الجبال والتهائم».

وبدأ حكام حمير بثورون ضد الحكم الحبشي وتجمع صميفع (الذي كان عينه ملك الحبشة قبل أن يستولي أبرهة على حكم اليمن) ورؤساء القبائل، وبدأوا في مناوشة الأحباش، وبدأوا من قانا (بير علي) وجددوا بناء القلاع والحصون والأسوار. وقد وجد نقش بالمسند سنة ٦٤٠ هجرية الموافقة لسنة ٥٢٥ ميلادية، يؤكد تجمع صميفع ورجال القبائل ضد الأحباش (نقش حصن الغراب رقم م٦٢١) الذي سبق ذكره بالتفصيل.

ويقال إن ملك الحبشة قبل أن يرضى على أبرهة، أرسل جيشاً وتى عليه أحد أقربائه الذي يدعى أرياط. ولما وصلت الحملة استعمل أبرهة الحيلة، وأرسل رسالة إلى أرياط يذكره بأنها أبناء وطن واحد ودين واحد، وإن كان لا بد من القتال فليجتنبوا الجيشين الخسائر وليتبارزا، فمن انتصر يتولى أمر الحبشة كلها في اليمن، فوافق أرياط على ذلك. ولكن أبرهة أمر عبده ارنجادا بأن يختفي في حفرة في ميدان المبارزة، فإن رأى الدائرة على سيده رمى رمحه ضد عدوه. وبالفعل حمل أرياط على أبرهة، وشرم أنفه بسيفه، فما كان من العبد إلا أن رمى رمحه وأردى أرياط قتيلاً. وعندما رأى جيش أرياط مقتل قائده بدأ بالتراجع ثم أعلن الولاء لأبرهة^(٢٧).

وبذلك استتب الأمر لأبرهة، رغم ثورة صميفع يشوع ورؤساء القبائل الحميرية الذين استطاع أبرهة أن يخضعهم. وبحدود سنة ٥٤٢ ميلادية كانت كل اليمن بما فيها حضرموت قد خضعت لحكم أبرهة.

(٢٧) حمزة لقمان: معارك حاسمة من تاريخ اليمن، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ١٩٧٨، ص ٢٦.

وبنى أبرهة كنيسة كبيرة في صنعاء عرفت باسم (القليس Ecclesia)، وهي كلمة يونانية معناها الجامعة، أو التي تجمع وهو نفس معنى لفظ الكنيسة. ولكن العرب لم يتجهوا إليها بل استمروا في التوجه إلى مكة. ويقال إن أحد العرب لوث هذه الكنيسة بالنجاسات، فغضب أبرهة وأقسم ليهدمن الكعبة في مكة، فجهز جيشاً كبيراً وأخذ معه الأفيال راكباً بنفسه على أكبرها الفيل الأبيض الذي يدعى محمود. فخرج إلى أبرهة أحد أشراف اليمن يقال له ذو نفر لمقاتلته، ولكن أبرهة تغلب عليه دون عناء^(٢٨)، فلما وصل أبرهة إلى أرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي فهزمهم أبرهة^(٢٩)، وأسر نفيل بن حبيب ليدله على أرض الحجاز، فلما وصل الطائف خرج أهل ثقيف فصانعوه عندما رأوا أنهم لا قدرة لهم به، وبعثوا معه أبا رغال دليلاً حتى انتهى جيش أبرهة إلى المغمس، وهو قريب من مكة، فأغار جيش أبرهة على سرح أهل مكة من الإبل، ومن بينها مائتي بعير لعبد المطلب شيخ مكة آنذاك. وقال أبرهة إنه لا يريد حرب قريش إلا إذا منعه عن هدم الكعبة، فقال عبد المطلب: «والله لا طاقة لنا به، ولا تريد حربه». فذهب إلى أبرهة فأكرمه وأجلسه معه. وسأل أبرهة عبد المطلب عن حاجته فقال: أن ترد عليّ إبلي، فاستصغره أبرهة، أن عبد المطلب ترك أمر الكعبة، وتحدث في أمر إبله، فقال عبد المطلب كلمته المشهورة: «أنا ربّ إبلي، ولليبت ربّ مجمي».

وكان عبد المطلب يرتجز ومعه نفر من قريش وهو آخذ بحلقة الكعبة:

لا هُمَّ أن المرء يمنع رحله فنامنح رحالك
لا يغلسبن صليبهم ومحالم أبدأ محالك
إن كنت تاركهم وقبيلنا فأمر ما بدا لك

(٢٨) إسماعيل بن كثير القرشي (أبو الفداء): تفسير القرآن العظيم، الباب الحلي، القاهرة، ج ٤ / ٥٤٩،

تفسير سورة الفيل.

(٢٩) المصدر السابق.

وتحرّكت قوات أبرهة للهجوم على مكّة، ولكن الفيلة يقدمها الفيل الأبيض توقفت في وادي محسّر (يسميه العامة وادي النار) بالقرب من منى، وأبت الفيلة أن تتحرك معها نخسوها وضربوها، فلما وجهوها بعيداً عن مكّة تحرّكت. وكذلك فعلت ناقة رسول الله القصواء في فتح مكّة، فقال الناس: خلأت القصواء أي حرنت، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذلك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل».

وأرسل الله سبحانه وتعالى طيراً تحمل حجارة من سجّيل معلّمة موسومة، فرمت بها، فكانت إذا أصابت الحجرة الفارس دهدته وقتلته، وأصيب أبرهة، فلما رجع إلى اليمن مات إثرها. وقال بعضهم أصابهم مثل الجدرى، وبه مات أبرهة. وكانت هذه الواقعة قد حدثت في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ (٥٧٠ ميلادية)، ولذا سمّي العام عام الفيل.

يقول ابن كثير في تفسيره لسورة الفيل: «هذه من النعم التي امتنّ الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله وأرغم أنفهم، وخيّب سعيهم، وأضلّ عملهم، وردّهم بشرّ خيبة، وكانوا قوماً نصارى. وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كانت عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة خيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنشرّفه ونعظّمه ونوقرّه ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه، خاتم الأنبياء».

وأنزل الله سبحانه وتعالى على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم سورة الفيل متمتاً على قريش والعرب بأجمعهم: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ

كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿١﴾

ومات أبرهة في صنعاء وجسده يتساقط أنملة أنملة وقطعة قطعة من أثر ما أصابه من الطير الأبابيل وحجارتها السجّيلية. وتولى بعده الحكم في اليمن ابنه أكسوم الذي قال عنه مؤرّخو العرب إنه كان قاسياً ظالماً، قتل الرجال وسبى النساء ليردّ هيبة الحبشة بعد حادثة الفيل المروّعة، مما حدا بكثير من أهل اليمن إلى الهجرة إلى الحجاز والالتجاء لقريش التي زادت شهرتها وسمعتها ومكانتها لدى العرب بعد حادثة الفيل.

ولكن أكسوم هذا لم يلبث في الحكم سوى عامين (٥٧٠ - ٥٧٢م)، ثم مات، وخلفه أخوه مسروق الذي وصف بأنه أكثر قسوة من أبيه وأخيه.

سيف بن ذي يزن (معدني كرب بن أبي مرة)

واجتمع أمراء من حِمير واختاروا سيف بن ذي يزن أميراً لهم، ولم تكن بيده قوة كافية، فذهب أول الأمر إلى القسطنطينية وقيصرها يشكو له ظلم الأحباش، فلم يجبه قيصر باعتبار توحد الدين بين الحبشة والدولة البيزنطية. ورحل سيف بن ذي يزن حتى وصل إلى ملك فارس كسرى أنوشروان سنة ٥٧٤م فتعاطف معه ملك الفرس، ولكنه لم يرد أن يعطيه فرقة من جيشه لحاجته إليهم في حرب الدولة البيزنطية، فأرسل معه من كان في السجون من فارس، وبعض القادة والجنود.

ووصل سيف بن ذي يزن ومعه القوات الفارسية (من نزلاء السجون) إلى عدن فتقاتلوا مع القوات الحبشية، وكان على رأس القوات الحبشية الملك مسروق بن أبرهة، فرماه وهراز (قائد الفرس) بسهم في جبهته فأرداه قتيلاً، وهجم الفرس وسيف بن ذي يزن ومن معه من حِمير على الحبشة حين خرّ ملكهم مسروق بن أبرهة، فأثخنوا فيهم القتل، ودخل وهراز قائد الفرس وسيف بن ذي يزن عدن، ثم

بعد ذلك سقطت صنعاء، وانتهى حكم الحبشة على اليمن وذلك سنة ٥٧٥هـ. وأرسلت العرب وفوداً للتهنئة بقتل الأحباش والانتصار عليهم، وخروج من بقي منهم من اليمن. ومن ضمن تلك الوفود وفد قريش الذي رأسه عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كما يقولون.

وبهذا ينتهي دور الأحباش في اليمن التي بقيت فيها الأديان الثلاثة:

١- الوثنية وعبادة الشمس والقمر والزهرة (عشروت) والنجوم الأخرى.

٢- اليهودية.

٣- النصرانية، وكانت خاصة في أهل نجران.

وفي عام الوفود جاء وفد نصارى نجران إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قصة طويلة انتهت بأن دفعوا الجزية وبقوا على دينهم (ستحدث عنها بعد قليل). ولكن هذه النصرانية اختفت من نجران على قولين:

أولهما: إسلام أهل نجران تدريجياً حتى إنه لم يبق بها أحد من النصارى.

والقول الثاني: أن عمر أجلاهم في خلافته إلى الشام تنفيذاً لقول رسول الله ﷺ:

«لا يجتمع في جزيرة العرب دينان». وقوله: «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب». ولكن ما يشكل على هذا القول إن عمر لم يُجَلِّ يهود اليمن، بل بقوا في صنعاء وعدن، وغيرهما من مدن اليمن، وقراها إلى اليوم. وكان خروجهم من اليمن بعد قيام إسرائيل بحيث لم يبق من آلافهم إلا المئات، كما أن عمر عندما أجلى يهود خيبر، كان ذلك بسبب جرائم قتل قاموا بها غيلة، وأجلاهم إلى شمال جزيرة العرب، وبذلك لم يخرجوا من جزيرة العرب. وبقي بعض اليهود بالمدينة إلى عهد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد حكم الأحباش اليمن حوالي أربعة وسبعين عاماً، كانت اليمن فيها مسرحاً لحروب طاحنة بين أقبال اليمن، وقوات الاحتلال الحبشية. ولكن أهل

اليمن أنفسهم، وخاصة في أول الأمر، كانوا فرقاً شتى فمنهم من أيد الأحباش وناصرهم، ومنهم من حاربهم.

ويذكر حسن صالح شهاب في كتابه: «عدن فرضة اليمن»، نقلاً عن الطبري أن كسرى أنو شروان استجاب لطلب سيف بن ذي يزن (معدى كرب بن أبي مرة) وخرج بنفسه في جيش بسفن كثيرة نحو عدن، وسكّر ناحية من البحر بين جبلين مما يلي أرض الحبشة في سفن عظام وسلاسل من حديد، وقتل عظماء تلك البلاد، أي من الحبشة، ثم انصرف إلى المدائن.

ولكن المصادر الأخرى بما فيها الطبري نفسه تذكر أن أنو شروان لم يذهب بنفسه لمقاتلة الأحباش، وإنما أرسل قائداً من قواده مع مجموعة من الجنود ومجموعة أكبر من المساجين.

ولا شك أن نجاح سيف بن ذي يزن في احتلال قانا وعدن، ثم احتلال صنعاء وقتل مسروق بن أبرهة، وإزالة حكم الأحباش عن اليمن، كان ضربة للدولة البيزنطية مما أدى إلى ضرر بالغ بتجارة وسفن اليونان والرومان، والتي تخرج من مصر من بحر القلزم (البحر الأحمر) لتصل إلى موانئ اليمن وما جاورها من شرق أفريقية، وبدأت السفن الفارسية تضايق السفن التجارية الرومية مضايقة شديدة.

ورغم أن الذي تولى الحكم في اليمن سيف بن ذي يزن، إلا أن القوة الفارسية كانت تلعب دوراً كبيراً في حكم البلاد. ولما مات سيف بن ذي يزن، تولى الحكم بعده المرزبان بن وهرز الفارسي كعامل من قبل كسرى، ثم خسرو بن التيجان، ثم باذان الذي بقي والياً على اليمن، حتى جاءت بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن فأسلم، وذلك عام ٦٢٢ م، فأقره النبي ﷺ على حكم صنعاء، وما حولها مما كان تحت يده.

ويُعرف هؤلاء الفرس الذين توطنوا اليمن وتزوجوا من أهلها وتحدثوا لغتها، يعرفون باسم الأبناء، لأنهم صاروا لليمنيين مثل الأبناء فهم أبناء بناتهم، وقد صاروا جزءاً من أبناء اليمن فعلاً.

الفصل الثامن

علاقات اليمن النجارية القديمة

اليمن والفرعنة

كانت لمصر الفرعونية علاقة ببلاد بنت، وهي البلاد التي تستورد منها مصر اللبان والمرّ والبخور والصبر. وقد كانت الملكة حتشبسوت قد أقامت علاقات تجارية مع ملك حضرموت وشبوه وظفار حيث تنمو في بلاده أشجار المرّ واللبان. وامتدّت العلاقة لتصل إلى جزيرة سقطرى. وكانت عدن من الموانئ التي تزورها السفن المصرية وتتبادل معها التجارة، وذلك منذ ٣٥٠٠ عام (حتشبسوت ١٥٠٠ قبل الميلاد).

وقد حفر المصريون القدماء قناة تربط ما بين النيل والسويس، وذلك في عهد سنوسرت الثالث، وذلك لتيسير نقل البضائع التي تأتي بها السفن المصرية من بلاد بنت، وحضرموت، واليمن، وشرق أفريقيا مباشرة إلى العواصم المصرية بواسطة هذه القناة بدلاً من نقلها بالجمال والحمير وهي رحلة لا تخلو من المصاعب والمخاطر.

وقد قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد فتح مصر بإعادة شقّ قناة سنوسرت الثالث التي كانت قد اندثرت، وأمر واليه على مصر عمرو بن العاص بشقّ تلك القناة لتسهيل التجارة والانتقال بين مصر والجزيرة العربية^(١).

وكان النشاط التجاري البحري بين مصر وبلاد اليمن عبر البحر الأحمر كبيراً. ولم يتوقف هذا النشاط في عهد البطالسة (البطالمة)، وهم خلفاء الإسكندر المقدوني (اليوناني) الذي أقام إمبراطوريته الضخمة وبنى الإسكندرية، وأقام علاقات تجارية مع اليمن وغزا سقطرى بناء على نصيحة أستاذه أرسطوطاليس الفيلسوف المشهور. وتقول تلك الرواية إنه أسكن مفرزة من جنده فيها، وذلك لأهمية نباتات الجزيرة وخاصة الصبر واللبان والمرّ. ولا شك أن عدن كانت ميناء معروفاً تتمّ فيه مبادلة

(١) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ١٢.

هذه السلع. وليس لديّ ما يثبت أن الإسكندر المقدوني غزا عدن، ولكن قيام التجارة بين عدن واليونان أمر له شواهد كثيرة، وخاصة اليونان - البطالمة الذين سكنوا مصر وأقاموا دولتهم فيها.

اليمن واليونان والرومان

اهتمّ اليونان باليمن وموانئها وجزرها وخاصة جزيرة سقطرى... وقد عرفوا عنها الأساطير المدهشة من المصريين القدماء. وكانت كل الحضارات القديمة تعتمد على جنوب جزيرة العرب في جلب اللبان والمرّ والصبر والبخور وشجرة دم الأخوين (العندم). وكانت كل المعابد في العالم القديم تستخدم البخور واللبان، وتحرقه بانتظام في كل الطقوس الدينية. وكان سكّان جنوب الجزيرة العربية هم محتكرو هذه التجارة. وظلت الموانئ اليمنية الممتدة من ظفار إلى باب المندب تصدر هذه المواد الثمينة.

ويذكر المؤرّخ اليوناني هيروdotس (القرن الخامس قبل الميلاد) أن بلاد العرب هي الوحيدة في العالم التي تنتج البخور واللبان والقرفة^(٢)، وصمغ اللادن الذي يستخرج من نبات خاص والمرّ. ويصف هيروdotس بتفصيل شديد كيف يحصل العرب على البخور (اللبان) وكيف يطردون الحيات الطائرة التي تسكن في رؤوس أشجار اللبان لتحرسها، وكيف يحتال هؤلاء العرب حتى يطردوا الحيات بحرق العبهر (وهو الميعة: مادة صمغية تستخرج من شجر الاصطرك) ليطردوا بدخانها الحيات ثم بعد ذلك يجمعون اللبان، (وهو أمر أسطوري لا علاقة له بالحقيقة). وكذلك يصف طريقتهم في جمع الكاشيا (السنا) وجمع اللادن والقرفة... وكلها قصص أسطورية ربما نشرها تجّار اليمن من أجل ترويح بضائعهم، وأنهم يتحمّلون في سبيل الحصول عليها العديد من المخاطر.

(٢) الواقع أن القرفة كانت تأتي من الهند، ولكن تجّار جنوب الجزيرة العربية هم الذين كانوا يحتكرونها.

والغريب حقاً أن شعراء اليونان قد تحدّثوا عن جزيرة سقطرى، وحضرموت وسبأ. وقد خلّد شاعر الإلياذة هوميروس جزيرة سقطرى، كما ذكرها استرابون في شعره وأسموها جزيرة بانخيا الساحرية، موطن البخور والمر والطور، والصبر، ودم الأخوين (العندم) ولذا استوطنتها الآلهة حسب زعمهم.

وتقول دائرة المعارف الإسلامية^(٣) إن كولنشييف قام بترجمة برديّة مصرية قديمة موجودة في مدينة سانت بيترسبرج (صارت فيما بعد لينينجراد ثم عادت بعد انهيار الشيوعية إلى بيترسبرج) وترجع إلى ألفي سنة قبل الميلاد، وفيها وصف لجزيرة بأنخ (الجزيرة الساحرية) وما فيها من عجائب النباتات مثل المرّ واللبن ودم الأخوين والصبر والبخور، والمقصود بذلك كله جزيرة سقطرى. وكانت بأنخ مصدر إلهام للمصريين القدماء فنسجت حولها الأساطير، وزعموا أن الآلهة سكنت هذه الجزيرة، وهي مقرهم الأساسي، كما تذكر أسطورة مصرية قديمة منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد كما يقول البروفسور برين دو^(٤) إنه في بحر الهند (جنوب جزيرة العرب) جزيرة عبقر أو جزيرة الجنّ، وهي قرية من بلاد بنت (بلاد اللبان والبخور والمرّ والصبر) التي تمتدّ على سواحل حضرموت والمهرة وظفار إلى عدن.

ولا شك أن تجارة البخور واللبن والمرّ والصبر وبعض الأشجار النادرة مثل شجرة دم الأخوين كانت تنقل من الموانئ اليمنية مثل قانا (كنة الموجودة في ساحل حضرموت عند رأس فرتك) وعدن التي اشتهرت عند اليونان والرومان باسم العربية السعيدة (Eudmmon Arabia)، ثم باسم فرضة بلاد العرب (Arabia Emporiom)، وميناء أقليس Oclis عند مضيق باب المندب، ومسخا شرق رأس فرتك أي أنها تقع في دولة عمان الحالية، في منطقة خور روي بمنطقة ظفار من ساحل عُمان الجنوبي.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، (مجموعة من المستشرقين)، ج ١١ / ٤٧٣.

(٤) Brain Doe: Island of Tranquility. Immel Publishing Ltd, London, ١٩٩٢.

وبرين دو كان مديراً لمتحف عدن.

وكانت تجارة اللبان والبخور رائجة جداً حيث يحرقون اللبان والبخور في المعابد المصرية القديمة، وكذلك في المعابد الآشورية والبابلية والكلدانية في العراق والشام وتمتد أيضاً إلى اليونان القديمة، وبعدها إلى روما القديمة.

وكان الكلدانيون في العراق يحرقون سنوياً عشرة آلاف طالين من اللبان (لعلها وحدة وزن أو وحدة نقدية قديمة) كما يذكرها فيتالي نعومي في كتابه جزيرة العنقاء: سقطرى^(٥).

وقد أطلق بليناس على سقطرى اسم جزيرة كلارا Clara Insula. ووصف آغا ثرخيدس مملكة سبأ ومملكة حضرموت، وجزيرة سقطرى وعدن وقانا التي تصدر الصبر واللبان والمر والعطور.

وذكر ثيوفراستس Theophrastus جزائر اللبان التابعة لملاك جنوبي بلاد العرب. وأطلق اليونانيون على سقطرى أيضاً اسم جزيرة ديوسقوريدس Dioscorides أعظم وأشهر عشابي اليونان لأنه اهتم بها وبأعشابها المتعددة.

الإسكندر المقدوني وسقطرى

تزعم المصادر العربية القديمة مثل مروج الذهب للمسعودي^(٦)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي^(٧)، وكتاب الصيدنة لليروني^(٨)، والجغرافي الإدريسي^(٩) أن

(٥) فيتالي نعومي: جزيرة العنقاء، سقطرى، ص ٢٤.

(٦) علي بن الحسين المسعودي وفاته ٣٤٦هـ / ٩٥٦م من نسل الصحابي عبد الله بن مسعود: مروج الذهب ج ٢/١٩، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٧) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥، ج ٣/٢٢٧، مادة سقطرى.

(٨) أبو الريحان البيروني وفاته ٤٣٣هـ: كتاب الصيدنة، تحقيق: د. رنا إحسان إلهي والحكيم محمد سعيد، مؤسسة همدرد، كراتشي ١٩٧٣ (مخطوط مصور)، ص ٢٤٢، ٢٤٣، مادة الصبر.

(٩) الإدريسي، كما ينقله عنه أحمد العييلي: سكان سقطرى في المصادر العربية المبكرة. صحيفة الحياة، العدد ١١١٠٨ في ٢٣/١/١٤١٤هـ، الموافق ١٣/٧/١٩٩٣م.

أرسطوطاليس (الفيلسوف اليوناني المشهور) كتب إلى تلميذه الإسكندر المقدوني ينصحه بأن يحتل سقطرى لما فيها من اللبان والبخور والمرّ والصبر وشجرة دم الأخوين (العندم). وأن الإسكندر المقدوني أرسل جنده إليها فاحتلّوها وطردوا من بها من الهند. وأن جنده استوطنوا الجزيرة من أجل الصبر واللبان الذي كانوا يصدّرونه إلى اليونان ومختلف بلاد العالم. ولما ظهرت المسيحية تنصّروا، وأنه «ليس في الدنيا موضع فيه قوم من اليونانيين يحفظون أسابهم، ولم يداخلهم في أسابهم رومي ولا غيره غير أهل هذه الجزيرة».

وهذا الكلام غير صحيح فأهل سقطرى هم من المهرة من قضاة من اليمن. وسكن في سقطرى بعض الهنود والأحباش وبعض اليونان الذين جاؤوا للتجارة، ولم يكونوا من أهل سقطرى قط، بل كان غرضهم هو اللبان والمرّ والصبر... إلخ. وهذه الأشياء الثمينة كانوا يحصلون عليها من موانئ اليمن المشهورة آنذاك مثل قانا (كنة كما وردت في سفر حزقيال) وعدن والمخا.

وقد انتقد الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى سنة ٣٤٤هـ / ٩٧٥م والمعاصر للمسعودي في كتابه: «صفة جزيرة العرب» هذا القول، وذكر أن أهل عدن، وهم أعرف الناس بسقطرى، نفوا نفيّاً قاطعاً أن يكون بها روم أو يونان، وإنما تنصّر أهلها عند ظهور النصرانية ودخول أجزاء من اليمن مثل نجران وغيرها في هذا الدين. ويقول إن هؤلاء النصارى قد فنوا في زمنه، وأن سكانها هم من الشراة (الخوارج) في ذلك الحين. (والمقصود بذلك سواحل سقطرى لا جبالها التي بقيت فيها النصرانية إلى الغزو البرتغالي).

ويقول المستشرق سارجنت في الفصل الذي كتبه عن سقطرى في كتاب: «سقطرى جزيرة السكينة» تحرير براين دو^(١٠) إن كلام الهمداني في كتابه «الإكليل»

R.B.Serjeant: The Coasted Population of Socotra. In Doe B.: Socotra: (١٠)
Island of Tranquility. Immel Publishing Ltd, London, ١٩٩٢, p١٣٣- ١٨٠.

يختلف عما جاء في كتابه صفة جزيرة العرب حيث قال في الإكليل إن السقطري الذي يسكن الجبال هو من نسل اليونان، ولكن هؤلاء تزاجوا مع قبيلة القمر من المهرة واختلطوا بهم. أما السواحل فكلهم من المهرة.

ديودوروس الصقلي وسقطري

وصف ديودوروس الصقلي Diodorus The Sicilian جزيرة سقطري وخلط الحقائق بالأساطير، وذلك في القرن الأول قبل الميلاد^(١١)، وقال إن سقطري وجنوب الجزيرة العربية تمد العالم بالمرّ واللبن واللدن، وإن سكانها يبيعون هذه المواد الثمينة إلى التجار العرب الذين ينقلونها إلى مصر وسوريا وكافة أقطار الدنيا. وأرجع سكان سقطري آنذاك إلى أربعة عناصر:

١- السكان الأصليون Aborigins.

٢- اليونان والرومان.

٣- الهنود.

٤- العرب: وهؤلاء هم رعاة ومزارعون، ومقاتلون أشداء، وتجار، ومنهم

الغنيون والكهان.

وتحدّث عن معبد جويبتير (ربّ الأرباب عند الرومان وهو مقابل لزيوس ربّ الأرباب عند اليونان) في سقطري. ونقل عن كاتب سالف عاش في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد وهو يوهيمرس (من مسينا) Euhemerus of Messina الذي كتب في التاريخ المقدّس لاتوبيا (Utopia) أي السعادة، أنه في أثناء رحلته إلى الهند وصل إلى جزيرة السعادة الحقّة، وهي جزيرة لا توجد فيها ملكية فردية، بل كل شيء مشاع... وفي هذه الجزيرة معبد لكبير الآلهة زيوس^(١٢) (كان هذا المعبد للهندوس أولاً ثم صار لليونان للإله زيوس ثم صار لليونان للإله

(١١) Vitaly Naumkin: The Island of Phœnix. Ithaca Press, Reading U.K. ١٩٩٣, P.٢٧.

(١٢) المصدر السابق.

جوبيتين).

كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» لمؤلف يوناني تاجر مجهول الاسم في القرن الأول بعد الميلاد (بريلوس) وعرف أيضاً باسم «الطواف على البحر الأحمر» The Periplus of the Erythra Sea.

يعتبر كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» لمصنّف يوناني مجهول الاسم من القرن الأول بعد الميلاد أشهر المراجع اليونانية التي تحدثت عن موانئ اليمن والنشاط التجاري البحري لليمنيين، كما تحدثت عن جزيرة سقطرى التي تعود للملك إليازوس (تخريف للاسم اليمني إيل عز) الذي كان يقيم في أرض شبوة وجردان بحضرموت. ويحكم هذا الملك أرض حضرموت والمهرة وظفار وسقطرى مستقلاً عن مملكة سبأ المجاورة^(١٣). وقد وصف المؤرخ بليني الأكبر أن أهل حضرموت قد فقدوا استقلال بلادهم وتحولت منطقتهم إلى ولاية سبئية. أما كتاب رحلة إلى البحر الأحمر فيؤكد أن حضرموت قد استقلت عن حكم السبئيين منذ عهد يوبا (جوبا Jupa) وأن هذا الملك كان يحكم سقطرى أيضاً ويضع فيها حامية من جنده^(١٤).

ويقول المصنّف المجهول إن سكان سقطرى قليلون وأغلبهم يعيشون على الساحل الشمالي من الجزيرة وإن سكانها خليط من العرب والهنود واليونان. وإن التجار من الهند يأتون بالأرز والحبوب والأقمشة وبعض الإماء، ويأخذون من الجزيرة المرّ واللبان وشجرة دم الأخوين (العندم) والصبر وقشر السلاحف البحرية. وذكر المصنّف أن الفواكه والأعشاب معدومة في الجزيرة ما عدا أشجار النخيل التي توجد بكثرة. وتتميّز الجزيرة بأنواع السلاحف البحرية والبرية والسلاحف

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية، مصدر سابق، ج ١١ / ٤٧٠ - ٤٨٠، وج ١٢ / ٣ - ٨.

(١٤) المصدر السابق. وكتاب سقطرى الجزيرة السحرية للمؤلف.

البيضاء ويصدّر قشر تلك السلاحف إلى الهند واليونان وغيرهما من البلدان^(١٥)، كما ذكر المصنّف أنه في الجزيرة مجموعة من التماسيح والثعابين الكبيرة وبها سحليات كبيرة يأكل السكّان لحمها، ويذيون دهنها كما نستخدم زيت الزيتون^(١٦).

ولا يوجد أي دليل على وجود التماسيح في سقطرى سوى ما جاء في هذا الكتاب... وكذلك ذكر السحالي الكبيرة التي يؤكل لحمها ويؤتمد بدهنها... ويبدو أن ذلك من الإضافات والأساطير.

ويذكر كتاب رحلة إلى البحر الأحمر أهم المواني اليمنية: موزع (Muza) على الساحل الغربي، وهي قرية من المخا الحالية، على ساحل منطقة موزع في شمال غرب اليمن. وقد وصفها بقوله: «إنها مدينة تجارية يسودها القانون... مزدهمة بملاك السفن العرب، والبحّارة. مشغولة بالشؤون التجارية، فأهلها يتاجرون مع الساحل البعيد ومع (باريجازا) ويرسلون سفنهم إلى هناك»^(١٧).

وموزع، حسب قوله، بلا رصيف تربط به السفن، لكن لها مرسى جيد. والسلع الواردة إليها مؤلفة من الملابس بأنواعها ومقادير قليلة من المراهم العطرية وكمية من النبيذ والخمر. وتقدّم للملك ووالي المدينة الخيل والبغال والأواني الذهبية والفضية والنحاسية، والملابس الفاخرة. وهي تصدّر المرّ واللبن وميعة البخور القتبانية - المعينية (دول في اليمن القديمة)، والرخام. وأفضل موسم للسفر إلى هذا المكان من مصر هو في شهر سبتمبر (توت عند المصريين).

وبعد قطع حوالي ثلاث مائة أستاذيا Stadia (اصطاديون: وحدة طول تساوي

(١٥) فيتالي نعموكين: سقطرى جزيرة العتقاء ص ٢٨ و٢٩. وكتاب سقطرى جزيرة السكينة لبرين دو، ص ٣٧-٣٩، ودائرة المعارف الإسلامية ج ١١ / ٤٧٠-٤٨٠.

(١٦) المصادر السابقة.

(١٧) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ٤٤-٥٧.

٢٠٢ ياردة)، من موزع يتقارب الساحلان العربي والبربري (الأفريقي) حول خليج أفاليتس. وهناك بوغاز ضيق طوله ستون أستاذا تشطره جزيرة ديودوروس Diodorus إلى شطرين. لذلك تندفع التيارات بداخله بعنف، ويشتدّ عنده هبوب الرياح من ناحية الجبال المطلّة عليه. وعلى ساحل هذا المضيق مباشرة قرية تابعة لزعيم (المعافر) تسمى أوكليس (أوقليس Ocelis)، وموقعها الآن قرية الشيخ سعيد، وهي مكان لرسوّ السفن ومورد للماء.

عدن (العربية السعيدة)

وبعد أوقليس يتّسع البحر إلى جهة المشرق. وبعد ألف ومائتي أستاذا تأتي العربية السعيدة Eudmmon Arabia. وهي قرية على الشاطئ تابعة لمملكة «كرب إيل السبئية» لها مرسى جيد، وأماكن للتزوّد بالماء، وهو أعذب وأفضل من ماء أوقليس. وتقع على مدخل الخليج ويتراجع البرّ عنها^(١٨).

ويقول صاحب كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» إنها كانت تتلقى السفن التجارية من الهند ومصر تماماً كما تتلقى الإسكندرية السلع من مصر وخارجها. ولكن قبل أيامنا بزمان طويل دمرها قيصر.

ولم يذكر أي قيصر هو الذي دمر هذا الميناء الهام المدعو العربية السعيدة، ويقول الأستاذ عبد الله محيرز في كتابه «العقبة»، والسيد حسن صالح شهاب في كتابه «عدن فرضة اليمن»: إن ما أطلق عليه «العربية السعيدة» أو العربية اليدمونية Eudmmon Arabia ليس إلا مدينة عدن، فكل المسافات التي وصفها من باب المنذب إلى هذا الميناء (١٢٠٠ أستاذا) تحدّد موقع عدن، وكذلك الوصف الذي وصفه صاحب كتاب رحلة إلى البحر الأحمر ينطبق على عدن انطباقاً تاماً^(١٩).

(١٨) عبد الله محيرز: العقبة ص ٢٢، وحسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ٤٥.

(١٩) المصدر السابق. وبها أن الأستاديون (اصطاديوم) يساوي ٢٠٢ ياردة، فإن المسافة بين أوقليس عند=

وقد شكك المستشرق البريطاني (انجرامس H. Ingrams) في أن «العربية السعيدة» في كتاب رحلة إلى البحر الأحمر (بريبلوس) هي عدن، لأن الكاتب اليوناني يقول إن ماء العربية السعيدة أعذب من ماء أوقليس. وماء عدن ليس عذباً.

ويردّ عليه حسن صالح شهاب بقوله: «لقد فات انجرامس أن جميع الثغور والمدن على سواحل البحار لا توجد بها بالطبع مياه عذبة، وبخاصة تلك التي لم تنشأ عند مصاب الأنهار والأودية الخصبة كعدن. وأن ماء عدن العذب الذي تزوّدت به بريبلوس لم يكن من أرض عدن نفسها، وإنما كان يجلب إليها من مورد على مسافة مرحلة منها»^(٢٠).

ويستشهد حسن صالح شهاب بأن انجرامس نفسه في الطبعة الثالثة لكتابه (١٩٦٦) بلاد العرب والجزر «Arabia and The Isles» عاد واعترف بأن «عدن كان لها مورد عذب في تلك الأيام من ماء الصهاريج المشهورة التي زارها أغلب من مرّ بعدن من الرحالة. ويبدو قول بريبلوس هذا محتملاً، إذ كان ماء عدن يأتي من مستودعات ماء المطر»^(٢١).

ويبدو أن عدن (العربية السعيدة) قد فقدت كثيراً من أسباب سعادتها في زمن صاحب رحلة إلى البحر الأحمر (بريبلوس)، وذلك عندما توصلت السفن المصرية إلى الهند مباشرة دون الوقوف بعدن وذلك في زمن البطالمة (البطالسة) وهم خلفاء

= باب المنذب وعدن العربية السعودية التي ذكرها بريبلوس وهي ١٢٠٠ أستاذيون تساوي ١٣٨ ميلاً. وهي المسافة بين عدن وباب المنذب.

(٢٠) عدن فرضة اليمن، ص ٤٩، ٥٠.

(٢١) H. Ingrams: Arabia and the Isles, p٤. نقلاً عن حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن،

الإسكندر المقدوني على حكم مصر، وبالتالي فإن السفن التي كانت تفرغ حولتها من الهند ثم تعيد شحنها إلى مصر والشام أو العكس، توقفت عن ذلك، مما أدى إلى انخفاض تجارة عدن. وهو يشبه ما حدث لعدن بعد قفل قناة السويس في العصر الحديث وانهار الميناء بعد الاستقلال (نوفمبر ١٩٦٧) ومجيء الحكم الشمولي الماركسي مما جعل السفن تتجنب عدن، بعد أن كانت عدن ثالث أهم ميناء في الكومنولث البريطاني، ولا تسبقها في ذلك سوى لندن وليفربول. وكانت عدن تأتي حتى قبل سنغفورة وهونج كونج حيث وصل عدد السفن الكبيرة التي ترسو في ميناء عدن ما بين ستة آلاف وثمانية آلاف سفينة سنوياً في أواخر الخمسينات وبداية الستينات من القرن العشرين حيث تتجول تلك السفن وتتاجر مع عدن وما حولها.

وقد قام بطليموس الثاني (وفاته ٢٧٥ قبل الميلاد) ببناء أسطول تجاري مصري قوي يستطيع الوصول إلى الهند دون الحاجة للوقوف في عدن. إلا أن عدد هذه السفن التي كانت تقوم بهذه الرحلة الطويلة المباشرة لم يكن يزيد عن عشرين سفينة سنوياً وذلك حتى بداية عهد القيصر الروماني أغسطس. ومنذ تولي أغسطس قيصر زاد الأسطول المصري الذي يصل إلى الهند مباشرة حتى وصل إلى ١٢٠ سفينة سنوياً. وهو عدد كبير بكل المقاييس في ذلك الزمان (تولّى أغسطس قيصر الحكم سنة ٣٩ ق.م واستمر إلى سنة ١٤ بعد الميلاد).

وكان أغسطس يريد الاستيلاء على اليمن لسيطر على منتوجاتها الثمينة، فأمر واليه على مصر إيليوس جاليوس (Aelius Gallus) أن يغزوها عن طريق البر، فجهّز جيشاً نقلته السفن من مصر إلى الحجاز ثم انحدر إلى اليمن، ولكن جيوشه عانت من مشاكل جمة، فعادت فلول جيشه إلى ساحل الحجاز بعد أن فتك الأعداء والجوع والمرض بعدد كبير من رجاله، وذلك سنة ٢٥ قبل الميلاد^(٢٢)^(٢٣).

(٢٢) حسن شهاب: عدن فرضة اليمن ص ٥١.

(٢٣) يذكر حزة علي لقمان في كتابه: «معارك حاسمة من تاريخ اليمن»، ص ١٥ و١٦: إن أبوس

وتبقى مسألة أن قبصر أحرق عدن التي ذكرها صاحب رحلة إلى البحر الأحمر (بريلوس) غامضة وغير معروفة. فلم يذكر التاريخ أن أحد القياصرة وصل إلى عدن وأحرقها. ويتأول ذلك بعض الباحثين على أن كلمة Caesar (قيصر) التي ذكرها صاحب الرحلة (بريلوس) قد تكون تحريفاً لإيل عز ملك حضرموت والذي يكتبه اليونانيون والرومان (Elisar) إيلزار، وأحياناً يكتبونه إليازوس، والذي يقال إنه حارب عدن ودمرها. ويرفض آخرون هذا التأويل على اعتبار أن ملك حضرموت لم يهاجم عدن بل إن الذي هاجمها هو «كرب إيل» ملك سبأ وذي ريدان حتى تصبح موزع بدلاً من عدن هي المركز التجاري الهام. ومن المعروف أن التنافس بين عدن وموزع والتي حلّت محلّها المخا أمر قديم، واستمرّ على مدى القرون، ولهذا فإن احتمال أن يكون كرب إيل هو الذي دمر عدن احتمالاً وارد^(٢٤).

وكانت السفن المصرية (الرومانية) تنطلق من الساحل المصري من برانيك (برانيق) كما يقول المؤرخ الروماني بليني، وبعد ٣٠ يوماً تصل إلى أوقليس على الساحل الغربي عند مضيق باب المنذب، حيث تتزوّد بالماء، ومنها تنطلق إلى الهند التي تصلها بعد أربعين يوماً أخرى. وأحياناً تنطلق السفن المصرية دون توقّف حتى تصل إلى قانا في ساحل حضرموت ومنها تنطلق إلى الهند.

جالوس خرج من ميناء كليوباتريس المجاور للسويس في جيش يتألف من عشرة آلاف روماني وخمسة عشر ألف من جنسيات مختلفة في ٨٠ سفينة حربية و١٣٠ زورقاً، وذلك سنة ٢٥ ق.م. وعانت هذه الحملة من الأمراض ونقص الغذاء وداء الاسقربوط (نقص فيتامين ج) وبعد سنتين رجعت الحملة بخفيّ حنين.

(٢٤) يذكر حمزة لقمان في كتابه: «معارك حاسمة في تاريخ اليمن»: أن الإمبراطور الروماني الذي حطم عدن هو القيصر كلوديس، وهو متأخر عن القيصر أغسطس. وكان كلوديس مهتماً بأن يجعل تجارة مصر مباشرة مع الهند دون التوقف في عدن والمبادلة معها. ولكن محاولاته تلك فشلت في نهاية الأمر، واضطر الرومان للتعامل مع عدن بعد ذلك.

وتحدّث صاحب رحلة إلى البحر الأحمر (بريبلوس) عن علاقة اليمن بشرق أفريقيا، وأن أمير قبيلة المعافر (هي الحجريّة اليوم) The Mapharitic Chief يحكم الساحل الجنوبي لليمن الذي سمّاه الساحل الأوساني Ausanic Coast، حيث قامت دولة أوسان التي حكمت عدن والمناطق الداخلية لها، وامتدّت إلى حدود بيحان، وسيطروا على الساحل الأفريقي المقابل، وبالذات منطقة حافون (الصومال) ووصل الأوسانيون إلى ربطة Rhabta على الساحل الشرقي الأفريقي. ولم يكتفوا بحكم تلك المناطق بل أقاموا علاقة وثيقة مع أهلها وتزاوروا معهم. وأثبت أمير المعافر (في دولة أوسان) أنه قادر على السيطرة على كلا الساحلين اليمني والأفريقي المقابل له الذي يمتد من خليج أوفاليتس Gulf of Avalites إلى رأس التوابل Cape of Spices. ويعتقد بعض الباحثين أن أوفاليتس هي زيلع^(٢٥).

وبلاد البربر أو الساحل الأفريقي الذي كانت أوسان وعدن على علاقة وطيدة معه تشمل السودان وأرتيريا والصومال والحبشة.

عدن عند بطليموس

اعتمدت أجيال من الجغرافيين على كلوديوس بطليموس في أعماله الجغرافية، وظلّ مسيطراً ومرجعاً للجغرافيين من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الميلادي، عندما بدأ الجغرافيون العرب يغيّرون في تلك المفاهيم، وأهمهم الإدريسي والبحارة مثل ابن ماجد وسليمان المهري.

وقد استشهد الهمداني بآراء بطليموس، ولكنه كان يخالفه أحياناً، والهمداني من رجال القرن العاشر الميلادي (وفاته ٣٤٤هـ / ٩٥٥م).

وقد وصف بطليموس عدن وسمّاه فرضة بلاد العرب Arabia Emporium وأظهر أهميتها التجارية البالغة. ولكنه لم يعطها اسم عدن. وقد يجادل بعض

(٢٥) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ٥٦.

الباحثين في المقصود من فرضة بلاد العرب، وهل هي فرضة عدن؟ أم فرضة (موزع)؟ وهي قريبة من المخا التي اشتهرت فيما بعد، وحلت محلها وفاقتها، وفرضة (أوقليس) وموقعها الآن قرية الشيخ سعيد عند باب المنذب. وقد كانت مكاناً للرسو السفن والتزوّد بالماء؟ وهناك فرضة قانا (قنا أو كنة كما جاءت في سفر حزقيال [الأصحاح ٢٧]) وهي ميناء هام شرق عدن، وموقعها الآن بير علي ما بين منطقة الواحدي وحضرموت على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب.

ولكن أقرب وصف لفرضة بلاد العرب، وأهميتها التجارية في ذلك الوقت هو وصف لمدينة عدن. ومن المحيّر أن يقوم بطليموس (القرن الثالث الميلادي)، بإطلاق هذه الصفة «فرضة بلاد العرب» على ميناء معروف في التاريخ، ومنذ قرون قبله باسم عدن. وكذلك من المستغرب أن يطلق كتاب «رحلة إلى البحر الأحمر» أو «الطواف على البحر الأحمر» في القرن الأول للميلاد «Periplus of The Erythea Sea» على عدن اسم العربية السعيدة Eudmmon Arabia والذي أطلق فيما بعد على اليمن بكاملها Arabia Felix مع أن اسم عدن معروف في زمنه (القرن الأول للميلاد) والأزمة التي قبله.

ويبدو أن أول من أطلق من اليونان اسم عدن المعروف هو أورانيوس Uranius في القرن الثالث للميلاد وسماها Adana وتكتب أحياناً Adane^(٢٦).

ويبدو أن الدولة الرومانية لم تستطع أن تقوم بمشروعها والاستمرار فيه، وهو الوصول إلى الهند مباشرة دون الحاجة إلى وساطة عدن. وقد انقطعت رحلات الرومان من مصر إلى الهند، ولا توجد عملة رومانية منذ عهد الإمبراطور كراكلا Caracalla (٢١٢-٢١٧ ميلادية).

وكانت المخاطر والمشاق التي كانت تواجهها السفن الرومانية واليونانية

(٢٦) د. جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢/٦٣.

المتجهة من مصر إلى الهند هي أحد أهم الأسباب لفشل هذه التجربة. فالرحلة تبدأ من مصر في شهر يوليه (أبيب في الأشهر القبطية) من ميناء برانيق Beranic على الساحل المصري على البحر الأحمر بالقرب من السودان، ولا تصل إلى ميناء أوقليس (الشيخ سعيد) عند باب المنذب إلا بعد ثلاثين يوماً أو إلى ميناء قانا (قنا، بير علي) بعد أربعين يوماً، ثم تنطلق إلى الهند لتصل إليها بعد أربعين يوماً أخرى لتصل إلى ميناء موزيريس Muziris، أقرب مكان من الهند. هذا إذا كان هبوب الرياح موافقاً، وهي الرياح التي سماها اليونان والرومان (هيالوس) كما يقول المؤرخ بليني Pliny، وكما ينقله عنه حسن صالح شهاب^(٢٧)، أو رياح الداماني كما يسميها الملاحون العرب.

أما موسم عودة السفن من الهند فيبدأ من شهر ديسمبر (طوبة من الشهور القبطية) كما يقول بليني ويقبلون من الهند بالرياح الجنوبية الشرقية، وفي البحر الأحمر يسافرون بالرياح الجنوبية أو الجنوبية الشرقية^(٢٨). وإذا فاتها الموسم من السفر من الهند فإنها تضطر إلى البقاء إلى الموسم في العام القادم.

وأما السفن اليونانية التي كانت تذهب إلى الصين فلم يكن أمامها من سبيل للعودة إلى مصر إلا بعد عامين.

وهذه التكلفة تجعل الرحلة غير اقتصادية، ومن الأيسر أخذ البضائع الصينية أو الهندية من عدن والعودة إلى مصر مرتين في العام، وبذلك تتضاعف الأرباح^(٢٩)، ومن المعلوم أن الملاحين العرب كانوا أقدر على الوصول إلى الهند، وفي وقت أسرع مما تفعله السفن اليونانية والرومانية، فهم أعرف بهذه البحار وبالموانئ الهندية. وكذلك كانت

(٢٧) حسن صالح شهاب: عدن فرضة اليمن، ص ٦١، ٦٢.

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) المصدر السابق، ص ٦٧.

تفعل السفن الهندية. وبالتالي كانت التجارة قوية بين عدن والهند من جهة، وعدن والصين عن طريق موانئ الهند من جهة أخرى، وتوفّر على اليونان والرومان مشاقّ تلك الرحلات وكلفتها الباهظة. ولهذا عادت مرة أخرى إلى النمو والازدهار.

ولكن ظهرت لعدن قوة منافسة هي قوة الأحباش (الأكسوم) وميناءهم التجاري «عدول» (Adulis) في أرتيريا. وقد شجّعهم الرومان على ذلك وخاصة أنهم دخلوا المسيحية مثل الدولة البيزنطية التي اعتنقت المسيحية في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (مؤتمر نيقية ٣٢٥ ميلادية). وأصبح الأكسوميون أقوىاء في البحر الأحمر، بينما ضعفت اليمن بسبب المناحرات المستمرة والقتال الدائم بين دولها المختلفة.

وخضعت اليمن لملك الأكسوم من الحبشة المدعو ألاً أميدا (Alla Amida) وتلقّب بملك «أكسوم وحمير وريدان وسبأ وسنخن». ثم قام ابنه عزانا (Ezana) بتوسيع مملكته بالاستيلاء على البجة (في شرق السودان)، وأطلق عزانا على نفسه (قبل اعتناقه النصرانية) لقب عزانا بن الأميدا ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحين وسيامو وبيجا وكاسوا، ابن محرم الذي لا يقهر».

ويقال إن عزانا دخل النصرانية على يد الأسقف فرومنتيوس Frumentius واختلف في سنة دخوله على أقوال: سنة ٣٣٤، ٣٥٠ أو ٣٥٦^(٣٠).

وقد قدمت بعثة دينية مسيحية إلى عدن عام ٣٤٥ ميلادية برئاسة تيوفيليس Theophilus وأنشأت كنيسة في عدن من أجل التجار من اليونان والرومان، الذين كانوا يقيمون فترات طويلة نسبياً في عدن^(٣١). وهذا يدلّ على أن الجالية بلغت حدّاً احتاجت معه إلى كنيسة خاصة. وقد سبق الإشارة إلى ذلك.

(٣٠) د. زاهر رياض: تاريخ أثيوبيا (مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة ١٩٦٦)، ص ٣٨-٤١.

(٣١) حوراني (جورج فضلو): العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة السيد يعقوب، ص ٩٤-٩٦.

الفصل التاسع

ما ورد في فضل أهل اليمن
في القرآن والسنة

قوم يحبهم الله ويحبونه

١- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤).
 ذكر السيوطي في تفسيره الدر المنثور، وصديق خان في فتح البيان، قالوا: أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، والبخاري في تاريخه، والحاكم في الكنى، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية، قال: «هؤلاء من أهل اليمن من كندة، ثم من السكون ثم من تحيب»^(١). (والسكون فخذ من كندة، وتحيب فرع من السكون).
 وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب التفسير عن الطبراني في الأوسط، وقال: إسناده حسن. وأخرج البخاري في تاريخه، وأبو الشيخ وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون»^(٢).
 وأخرج البخاري في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمر رضي الله عنهما فرحبت بي، ثم تلا قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، ثم ضرب على منكبي، وقال: أحلف بالله تعالى إنهم لمنكم أهل اليمن - ثلاثاً^(٣).
 وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، قال: هم قوم سبأ. وأخرج ابن عساکر في تبیین کذب المفتری وابن جریر في تفسيره بإسنادهما إنهم قوم من سبأ.

(١) نقلاً عن نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون، للسيد محمد بن علي الأهلبي، الدار اليمينية للنشر

والتوزيع - دار المناهل - بيروت ١٩٨٧، ص ٣٥-٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

وقال الخازن في تفسيره: قيل هم أهل اليمن، ثم ذكر حديث: «الإيمان يمان». وقيل أحبار من اليمن. وروى ابن جرير بإسناده عن مجاهد قال: أناس من أهل اليمن^(٤). وفي تفسير أبي السعود وتفسير صديق خان، قيل: هم أهل اليمن لقول النبي ﷺ: «هم قوم هذا» يعني أبا موسى الأشعري^(٥).

وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل (دلائل النبوة) وابن أبي حاتم والحافظ السلفي وابن عساكر في تبين كذب المفتري من طرق، وابن جرير وابن سعد في الطبقات، وغيرهم عن أبي موسى الأشعري قال: تلوت عند رسول الله ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، فقال: «قومك يا أبا موسى، أهل اليمن». وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح... وفي تفسير ابن جرير في تفسير هذه الآية ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ أنهم أهل اليمن الذين لم يرتدوا وقد كانوا أعواناً وأنصاراً^(٦).

وذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، في ترجمته لأبي موسى الأشعري^(٧) أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، سأل الصحابة عن هؤلاء القوم، فقال رسول الله ﷺ: «قومك يا أبا موسى، وأوماً إليه». وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

دخول أهل اليمن الإسلام أفواجاً

٢- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (سورة النصر).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠، ج ٢/ ٣٨٠-٤٠٢.

ذكر البغوي في تفسيره عن عكرمة ومقاتل أنهما قالوا إنها نزلت في أهل اليمن، فقد وفد منهم دفعة واحدة سبعمائة إنسان مؤمنون مسبحون. وذكر بإسناده حديث أهل اليمن. وذكر الخازن في تفسيره كذلك أنهم أهل اليمن. وقال ابن الديبع في تحفة الزمن، قال الماوردي في تفسيره: الناس ههنا هم أهل اليمن... وفي تفسير النسفي «وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا»، هم أهل اليمن، يدخلون في ملة الإسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون أفراداً. وفي روح المعاني للألوسي عن عكرمة: المراد بالناس أهل اليمن، وفد منهم سبعمائة رجل على رسول الله ﷺ معلنين إسلامهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: بينا رسول الله ﷺ بالمدينة، إذ قال: «الله أكبر الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن»، ذكره ابن جرير في تفسيره بسنده^(٨).

وقال عكرمة ومقاتل: أراد بالناس أهل اليمن، وذلك أنه ورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين طائعين، بعضهم يؤذن، وبعضهم يقرأ القرآن، وبعضهم يهتل، فسّر النبي ﷺ بذلك. وبكى عمر وابن عباس. وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قرأ: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» وجاء أهل اليمن رقيقة أفئدتهم، لينة طباعهم، سخية قلوبهم، عظيمة خشيتهم «يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا». وروى الطبراني في الكبير والأوسط، أن رسول الله ﷺ قال: «جاء الفتح، وجاء نصر الله، وجاء أهل اليمن. فقال رجل: يا رسول الله، وما أهل اليمن؟ قال: قوم رقيقة أفئدتهم، لينة قلوبهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»^(٩).

وفي تفسير الكشاف للزمخشري في تفسير سورة النصر، أن النبي ﷺ قال: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»^(١٠).

(٨) نثر الدرر المكنون من فضائل اليمن الميمون، للسيد محمد بن علي الأهدلي، الدار اليمينية ص ٣٩-٤١.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) المصدر السابق ص ٤٥.

قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رسول الله ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر، الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، جاء أهل اليمن». قيل: يا رسول الله وما أهل اليمن؟ قال: قوم رقيقة قلوبهم، لينة طباعهم، الإيوان يان، والفقه يان، والحكمة يانية».

قال ابن كثير وروى عن عكرمة مرسلاً. وقال الطبراني بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ حتى ختم السورة، قال: نُعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت، قال: فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة. ثم روى الحديث المذكور أعلاه. وقال البخاري عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» يتأول القرآن. وأخرجه أحمد عن عائشة بقوله ﷺ: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه».

قال ابن كثير: «والمراد بالفتح فتح مكة قولاً واحداً، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة، دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً، ولم يبق في سائر العرب إلا مظهر للإسلام، والله الحمد والمنة. وأخرج البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة مثله.

بعض ما ورد في أهل اليمن من أحاديث

لقد ورد في فضل أهل اليمن الكثير الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة والحسنة. وقد أشرنا إلى بعضها في فصل الإسلام في اليمن، ووفود أهل اليمن على النبي ﷺ وسنوجزها هاهنا ثم نذكر الأحاديث الأخرى:

(١) أخرج الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم»، فقدم الأشعريون فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبَّ محمدًا وحزبه

(٢) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي، باب قدوم الأشعرين وأهل اليمن): وقال أبو موسى (الأشعري) عن النبي ﷺ: «هم مني وأنا منهم». قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري: «هو طرف من حديث أوله: إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو جمعوا (أي ما لديهم من الطعام)، ثم اقتسموا بينهم، فهم مني وأنا منهم» الحديث. وقد وصله المؤلف (أي البخاري في صحيحه) في الشركة (أي كتاب الشركة من صحيحه)، وقد رواه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الأشعريين، ولفظه: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلَّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم».

(٣) أخرج البخاري في صحيحه (كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن) والترمذي في سننه كلاهما عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن أضعف قلوباً وأرقُّ أفئدة. الفقه يان، والحكمة يمانية».

(٤) ومثله عن البخاري والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن هم أرقُّ أفئدة، وألين قلوباً، الإيوان يان، والحكمة يمانية. والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم». وأخرج مثله مسلم في صحيحه.

قال ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري: «أتاكم أهل اليمن» خطاب للناس، ومنهم الأنصار (رغم أن الأنصار الأوس والخزرج من بني جفنة من اليمن). قالوا: والمراد بذلك الموجودون حيثئذ لا كل أهل اليمن في كل زمان. وعقب على ذلك ابن حجر بقوله: لا مانع أن يكون المراد أعم من ذلك، أي يشمل أهل اليمن في كل زمان والمقصود بيمان: يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى والقبيلة. بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال،

فغالب من يوجد من جهة اليمن رفاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان. (انتهى كلام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري).

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله ﷺ بالمدينة قال: «الإيمان بيان، والفقهاء بيان، والحكمة بيان» أخرجه البزار.

(٦) عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ قال: «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خير أهل الأرض». أخرجه أحمد في سننه وأبو يعلى والبزار والطبراني.

(٧) عن عمرو بن عبسة أن النبي ﷺ قال لعبيدة بن حصن (رئيس قبائل فزارة من نجد): أي الرجال خير؟ قال: رجال أهل نجد. قال: كذبت، بل هم أهل اليمن، الإيمان بيان، والحكمة بيان. أخرجه الطبراني، وأخرجه أيضاً من حديث معاذ بن جبل.

(٨) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: أتى نفر من بني تميم النبي ﷺ فقال: «اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: يا رسول الله قد بشرتنا فاعطنا، فرؤي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن، فقال: اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق، وأخرجه في كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري إن الذين قدموا من أهل اليمن في وقت وفد بني تميم هم من حمير، لأن الأشاعرة قد قدموا سنة سبع عند فتح خيبر بينما قدم وفد تميم عام الوفود، وهو عام تسع. وفيه قدم وفد حمير. وحدثهم رسول الله ﷺ عن بدء الخلق والعرش، وما كتب في اللوح المحفوظ، ثم خلق السموات والأرض.

(٩) عن أبي مسعود أن النبي ﷺ قال: «الإيمان هاهنا- وأشار بيده إلى اليمن، والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذنان الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربعة ومضر». أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

(١٠) عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: «الإيمان بيان، والفتنة هاهنا. هاهنا يطلع قرن الشيطان». وأشار بيده إلى نجد. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن.

(١١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «يخرج من عدن أربعمائة ألفاً ينصرون الله ورسوله. هم خير من بني وبينهم». أخرجه أحمد بسنده ج ٣٣٣/١، وأبو يعلى الحديث رقم ٢٤١٥، والطبراني في الكبير (ج ١١/٦٥)، ويحيى بن معين (كتاب الفوائد رقم ٧٢)، وابن عدي في الكامل ٢١٨٤/٦. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ١٠/٥٥): رواه أبو يعلى والطبراني... ورجالهما رجال الصحيح غير منذر الأفطس وهو ثقة.

(١٢) عن أبي قلابة عن رسول الله ﷺ قال: «الأمانة في الأزدي وحضرموت فاستعينوا بهم». أخرجه بسنده سلمة بن سالم العوفي الصحاري في كتابه «أنساب العرب». وقد اشتهر الحضارمة خاصة بأمانتهم إلى يومنا هذا فتولوا الأمور المالية أينما ذهبوا واستقروا.

(١٣) عن البراء بن عازب ؓ قال: كنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد (إلى اليمن) فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علياً بن أبي طالب ؓ فأمره أن يقفل خالداً (أي أمره بالرجوع إلى المدينة) إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع عليّ فليعقب معه. قال البراء: فكنت فيمن عقب مع عليّ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّى بنا عليّ ؓ، ثم صفنا صفّاً واحداً،

ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً؛ فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ خراً ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان. السلام على همدان». رواه البخاري في صحيحه مختصراً في كتاب المغازي، باب بعث النبيّ عليّ بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع، وذكره كاملاً ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري، ونقله عن الإسماعيلي. كما أخرجه البيهقي في سننه بسند صحيح، كما يقول ابن القيم في كتابه زاد المعاد.

(١٤) عن سويد بن الحارث الأزدي قال: وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمئنا وزيننا، وستأني قصته كاملة في فصل وفود أهل اليمن.

(١٥) أوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن وعهد إليه وولاه الجند. وقال له: «يسر ولا تعسر، وبشر ولا تنفر، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك ما مفتاح الجنة؟ فقل: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له». وذلك يدل على فقههم ورغبتهم في الحق والدين.

(١٦) روى البخاري وغيره عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة». وهكذا، فأخبره بالزكاة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، فمن أبي فعليه الجزية دينار من كل حالم أو عدل ذلك معافياً (ثياب يمنية مشهورة من منطقة المعافر باليمن). والحديث دليل على أن كثيراً من أهل اليمن من أهل الكتاب، وأن الدعوة لهم تكون متدرّجة وقد استجابوا لهذه الدعوة المباركة.

(١٧) مدح رسول الله ﷺ وفد تجيب وهم من كندة ومنازلهم في هدون وعندل

ودمون الهجرين وريدة الدين... إلخ من أراضي حضرموت. وسيأتي ذكرهم في فصل وفود أهل اليمن.

(١٨) وتكرّر القصة في وفد سعد هذيم من قضاة (وقضاة من قبائل اليمن)، وكان معهم غلام على رحلهم، فسألهم عنه رسول الله فكان أفضلهم وأقراهم للقرآن، وأمره رسول الله ﷺ أن يؤمهم. (زاد المعاد ج ٣ / ٥٥).

وبشّر رسول الله ﷺ وفد خولان بقول: «من زارني بالمدينة كان في جواربي يوم القيامة». وقد جاؤوه راغبين زائرين. وهي بشرى لزواره ﷺ. (ذكره ابن القيم في زاد المعاد ج ٣ / ٥٩).

(١٩) ذكر ابن القيم في زاد المعاد (ج ٣ / ٦٠، ٦١) قدوم زياد بن الحارث الصدائي (صداء من قبائل اليمن) وسيأتي ذكره تفصيلاً في الفصل التالي (وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ).

(٢٠) وكان ممن وفد على النبي وائل بن حجر الحضرمي من ملوك كندة بحضرموت، بشّر بمقدمه النبي ﷺ، فكان من المجاهدين ودعا له رسول الله ﷺ، ولنسله وأجلسه على ردائه وأصعده على منبره.

(٢١) حُجّر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير. وفد على النبي ﷺ، وكان أميراً مطاعاً كريماً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له شاهد في الجهاد. وقد دعا له النبي ﷺ وكان من أصحاب عليّ في صفين ومن رجاله المعدودين. وقتله معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب واستشهاد الحسن بن علي (ع) مسموماً.

(٢٢) عن سلمة بن نفيل أن النبي ﷺ قال: «إني أجد نفس الرحان من هاهنا». وأشار إلى اليمن. أخرجه السيوطي في الجامع الكبير.

(٢٣) عن عمرو بن عبسة أن رسول الله ﷺ قال: «خير الرجال أهل اليمن،

والإيمان بيان، وأنا بيان». أخرجه أحمد والحاكم في المستدرک وقال: صحيح الإسناد. وقال صاحب كنز العمال: رواه الطبراني من ثلاث طرق. وكفى بذلك فخراً أن يكون رسول الله ﷺ بيانياً (لأن الكعبة بيانية).

(٢٤) عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مروا بكم (أي أهل اليمن) يسوقون نساءهم ويحملون أبناءهم على عواتقهم فإنهم مني وأنا منهم». رواه أحمد والطبراني وإسنادهما حسن. رواه أحمد في مسنده ج ٤ / ١٨٤، عن عتبة بن عبد. وفي كنز العمال للهيثمي رواه الطبراني عن عتبة بن عبد.

(٢٥) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «أين أصحابي الذين أنا منهم وهم مني، وأدخل الجنة ويدخلون معي». فقلنا: يا رسول الله أخبرنا من هم، قال: «هم أهل اليمن المطروحوون في أطراف الأرض المدفوعون عن أبواب السلطان، يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يقضها». رواه الطبراني، وفي روايته جماعة فيهم خلاف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد.

(٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا»، قالوا: وفي نجدنا، قال: «هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان». رواه البخاري في صحيحه كتاب الاستسقاء، وفي باب قول النبي: الفتنة من قبل المشرق. وفيه عن ابن عمر مرفوعاً: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا، قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا»، فأعادوا القول فقال في الثالثة عند قولهم: وفي نجدنا. هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان.

(٢٧) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بيان، والكفر من قبل المشرق، وإن السكينة في أهل الغنم وإن الرياء والفخر في أهل الفدادين، أهل الوبر وأهل الخليل. ويأتي المسيح، أي الدجال، من قبل المشرق، وهمته المدينة حتى إذا جاء دبر

أحد تلقته الملائكة فصرفت وجهه قبل الشام، هنالك يهلك، هنالك يهلك». أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ / ٣٩٧ - ٤٠٧، ٤٥٧، والترمذي في سننه وقال عنه حديث صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٢٨) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بيان ثلاثاً، ونحا بيده نحو اليمن. ورأس الكفر المشرق والكبر والفخر في الفدادين أصحاب الوبر». أخرجه أحمد في مسنده ج ٢ / ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٢٦، ٥٤١.

(٢٩) ومثله: «جاء أهل اليمن أرق أفئدة، وألين قلوباً والفقهاء بيان، والإيمان بيان، والحكمة بيان، والخلاء والكبر في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء». مسند أحمد ج ٢ / ٢٣٥، ٢٥٢، ٢٦٧، ٣٩٧، ٤٠٧، ٤٨٠، ٥٠٢. ورواه البخاري في صحيحه باب: خير مال المسلم غنم، وقدم الأشعرين، ورواه مسلم في صحيحه في باب: تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه، والطحاوي في مشكل الآثار ج ١ / ٣٤٧، وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود مثله، ورواه ابن حبان في صحيحه وأخرجه النسائي، والبغوي في تفسيره بإسناده^(١١).

(٣٠) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «ألا إن الإيمان بيان، والحكمة بيان، وأجد نفس ريكم من قبل اليمن. إلا أن الكفر وقسوة القلب في الفدادين أصحاب الشعر والوبر، الذين تغتالهم الشياطين على أعجاز الإبل». مسند أحمد ج ٢ / ٥٤١، وقال عنه الزين العراقي أول رجاله ثقات، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح إلا شبيب فثقة^(١٢).

(٣١) عن أنس عن النبي ﷺ قال: «أتاكم أهل اليمن وهم أرق قلوباً منكم،

(١١) نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون، للسيد محمد بن علي الأهلبي، الدار اليمانية، ص ٦٢.

(١٢) المصدر السابق، ص ٦٢، ٦٣.

وهم أول من جاء بالمصافحة». مسند أحمد ج ٣ / ٢١٢، ٢١٥، والبخاري في الأدب المفرد، وأبو داود^(١٣).

(٣٢) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من الإيثار إلا قبضته». رواه مسلم في صحيحه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرک، وأبو داود والبيهقي.

(٣٣) أخرج أبو داود في سننه، كتاب اللباس عن سعيد بن عمر القرشي أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى رفقة من أهل اليمن رحالهم الأدم، فقال: من أحب أن ينظر إلى أشبه رفقة كانوا بأصحاب رسول الله ﷺ فليتنظر إلى هؤلاء.

(٣٤) عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا هاجت الفتن، فعليكم بأرض اليمن، فإنها مباركة». أخرجه الحافظ القرشي في فضائل اليمن.

(٣٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يرجع ثلثا بركة الدنيا إلى اليمن، فمن كان هارباً من الفتنة فإليه يهرب، فإن العبادة فيه». وعنه أيضاً: «عليكم باليمن إذا هاجت الفتن، فإن قومه رحماء، وأرضه مباركة، والعبادة فيه أجر كبير». أخرجه الملا في كتابه وسيلة المتعبدين^(١٤).

عدن في الأحاديث النبوية

هناك حديثان عن عدن الأول في صحيح مسلم وكتب السنن، والثاني أخرجه أحمد في المسند وأبو يعلى والطبراني في الكبير وغيرهم.

الحديث الأول: عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال: أطلع النبي ﷺ ونحن نتذاكر. فقال: ما تذاكرون؟ قلنا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول

(١٣) المصدر السابق.

(١٤) المصدر السابق، ص ٦٨.

عيسى بن مريم، وبأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

ومثله في صحيح مسلم أيضاً: «ونار تخرج من قُعرَة عدن تُرَحِّل الناس»^(١٥).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: هكذا هو في الأصول: قُعرَة بالهاء والقاف المضمومة. ومعناه من أقصى قعر عدن. وعدن مدينة مشهورة باليمن. قال الماوردي سميت عَدَنًا من العُدون وهو الإقامة. لأنَّ تَبَعًا كان يجس فيها أصحاب الجرائم. وهذه النار الخارجة من قعر عدن هي الحاشرة للناس.

«أما حديث لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى فقد خرجت سنة ٦٥٤ هـ، وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة (خرجت بالمدينة من الحرة الشرقية).

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه أيضاً عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه وهو لا يختلف عن حديث مسلم الأنف ذكره، وفيه: «وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى الحشر».

وأخرج الحديث نفسه الإمام الترمذي في سننه عن حذيفة بن أسيد وفيه «نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس أو تحشر الناس فتبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا». قال أبو عيسى الترمذي، وهذا حديث حسن صحيح.

وقد روى هذا الحديث أيضاً ابن ماجه في سننه وابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرک والإمام أحمد في مسنده، والبيهقي في سننه.

هذا الحديث من معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم.

(١٥) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الفتن وأشراط الساعة، ج ١٨ / ٢٧ - ٢٩. دار الفكر،

وعدن أبين هي فوهة بركان قديم كان مشتعلًا قبل خمسة إلى ستة ملايين سنة (٥,٥ إلى ٦,٥ سنة في العصر المايوسين-البلايوسين).

ومدينة عدن أسماها الإنجليز بعد احتلالها ودراسة طبوغرافيتها وتكوينها الجيولوجي «فوهة البركان» كريتير Crater. وهو بركان خامد منذ ملايين السنين. ولكن علماء الجيولوجيا يقولون إنه سيثور في آخر الزمان. وإن البراكين العاتية ستكون بالنسبة له مثل لعب الأطفال أو الألعاب النارية.

يقول المهندس الجيولوجي معروف عقبة في بحثه «عدن... البعد التاريخي والحضاري» المقدم للندوة العلمية الأولى ١٥-١٧ مايو ١٩٩٩ (عدن الماضي-الحاضر-المستقبل)^(١٦):

«يعتبر بركان عدن أحد المراكز البركانية الستة التي تقع في خط بركاني واحد، وتمتدّ من باب المنذب، عند المدخل الجنوبيّ للبحر الأحمر حتى مدينة عدن.

«ويعتبر بركان عدن من أشهر براكين العالم، بل عندما تمت دراسة براكين عدن من قبل البعثة الملكية لعلوم البراكين (البريطانية) خلال عام ١٩٦٤، بدأ البروفسور I.G. Gass ورقته العلمية بقوله: «إن البراكين الحالية ما هي إلا ألعاب نارية أمام بركان عدن». وذلك من خلال التركيب البنيويّ لتلك البراكين^(١٧).

ونجد في مجلة المختار Readers Digest ١٩٧٩ مقالاً لأميلي وبير أولاولير وفيه: أن بركان كراكاتو في أندونيسيا الذي انفجر عام ١٨٨٣ والذي اعتبر أقوى بركان في ذاكرة البشرية المدوّنة، وتسبّب في قتل ٣٦,٠٠٠ شخص، وسُمع دويّ

(١٦) المهندس معروف إبراهيم عقبة: عدن- البعد التاريخي والحضاري. الندوة العلمية الأولى ١٥-١٧ مايو ١٩٩٩، (عدن: الماضي-الحاضر-المستقبل)، جامعة عدن ١٩٩٩، محافظة عدن وجامعة عدن، ص ١٦١-١٦٢.

(١٧) أ.ج. جاس: براكين عدن، ترجمة: محمد سعيد باحاج، ١٩٨٩.

البركان على بعد مسافة خمسة آلاف كيلومتر، وحجب الرماد البركاني ضوء الشمس لمدة أسبوع عن الأرض، وأدى البركان إلى اختفاء معظم الجزيرة، وقد قُدرت القوة التفجيرية لذلك البركان بيائة قبلة هيدروجينية... وينتهي المؤلفان إلى أن هذا البركان الضخم يعتبر مثل الألعاب النارية مقارنة ببركان عدن^(١٨).

ومما تقدّم يتّضح بكل جلاء الإعجاز العلمي لحديث الرسول ﷺ فهو قد أخبر أن عدن تقوم على بركان، وأن هذا البركان سيثور في آخر الزمان. وهو بركان مروع يحشر الناس ويسوقهم إلى المحشر. وتأتي الأبحاث العلمية الجيولوجية الحديثة لتثبت أن عدن ليست إلا فوهة بركان، وقد أسماها الإنجليز كريتير- أي فوهة البركان. كما تثبت أن البركان الذي حدث قبل أكثر من خمسة ملايين سنة كان شديداً جداً. ولا يوجد ما يمنع من ثورانه مرة أخرى وربما بصورة أشدّ مما كان عليه، وهو ما يخبرنا به حديث المصطفى صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله.

الحديث الثاني

جاء في مسند الإمام أحمد (ج ١/٢٣٣): حدثنا عبد الرزاق عن المنذر الأفيطس. قال سمعت وهباً يحدث عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله هم خير من بيني وبينهم».

والحديث أخرجه أبو يعلى (٢٤١٥) والطبراني في الكبير (ج ١١/٥٦)، ويحيى ابن معين في الجزء الثاني من حديث يحيى بن معين (كتاب الفوائد رقم ٧٢)، وأخرجه الخلال في العلل، كما في المنتخب لابن قدامة، وابن عدي في الكامل ج ٦/٢١٨٤، وابن الجوزي في العلل المتناهية (ج ١/٣٠٦)، كلهم عن طريق المنذر ابن النعمان الأفيطس عن وهب بن منبه، والمنذر بن النعمان الأفيطس روى عنه عدد

(١٨) معروف عقبه: مصدر سابق.

من علماء الحديث منهم معتمر بن سليمان وعبد الرزاق الصنعاني. وقال عنه يحيى ابن معين: ثقة، (الجرح والتعديل ٨/ ٢٤٢)، ووثقه ابن حبان. وذكره البخاري في التاريخ الكبير (ج ٧/ ٣٥٨) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج ١٠/ ٥٥) رواه أبو يعلى والطبراني وقال (من عدن أتين) [وهو تصحيف والصواب - عدن أئين]. ورجالها رجال الصحيح غير منذر الأفطس وهو ثقة.

وقد قال الإمام أحمد عن المنذر بن النعمان (وهو الأفطس) ثقة صنعاني ليس في حديثه مسند غير هذا.

وخلاصة القول إن هذا الحديث رجاله رجال الصحيح كما يقول الهيثمي في مجمع الزوائد ما عدا المنذر بن النعمان وهو ثقة.

وهو بشارة كبرى لعدن (أئين) لأنه لم يخرج إلى الآن من عدن أئين اثني عشر ألفاً ينصرون الله ورسوله، «وهم خير ما بيني وبينهم»، كما يقول المصطفى صلوات ربّي وسلامه عليه وعلى آله.

ولا شك أن إخبار النبي ﷺ بذلك هو من الإخبار بالغيب، وكم قد أخبر من الغيوب وتحققت كما قال ﷺ. وهذا من إخباره ﷺ بهذا الغيب وبشارة عظمى لعدن وأهل عدن حيث يخرج منهم هذا العدد الكبير من جند الله المجاهدين الذين ينصرون الله ورسوله... وأنهم (خير ما بيني وبينهم)... فهذه الخيرية تجعلهم في مصاف أولياء الله المجاهدين في سبيله، الناصرين لدينه. فبشراك يا عدن. وبشراكم أهل عدن بهذه البشارة العظيمة من سيد الخلق أجمعين. أما وقت خروجهم فهو غير محدد، ولعلمهم يخرجون عند ظهور المهديّ ﷺ الذي بشرت به الأحاديث الكثيرة التي بلغت درجة التواتر المعنوي كما قال كثير من العلماء (ومن آخرهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله).

وقد قال الإمام الشوكاني في رسالته: (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح): «وجميع ما سقناه بالغ حدّ التواتر، كما لا يخفى على من له فضل اطلاع». وقال ابن حجر الهيثمي المكيّ في (الصواعق المحرقة): «والأحاديث التي جاء فيها ذكر ظهور المهديّ كثيرة متواترة».

وتأتي المهديّ أبدال الشام وعصائب مصر وأجناد اليمن والرايات السود التي تخرج من خراسان لا يصدّها شيء حتى ترد إيليا (بيت المقدس).

الفصل العاشر

وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ

أول من أسلم من القبائل اليمنية هم الأنصار ﷺ، وهم الأوس والخزرج من بني جفنة من الغساسنة، خرجوا من اليمن بعد تهدم سد مأرب، فسكنوا يثرب وسكن بنو عمّهم الغساسنة من بني جفنة في الشام... وقصة إسلامهم معروفة فلا داعي للكلام عنها ها هنا.

أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) والأشاعرة

وأول من وفد من أهل اليمن أبو موسى الأشعري وقومه الأشاعرة، وهم من أهل زبيد، وفدوا في سفينة واحدة مع جعفر بن أبي طالب ﷺ، جاءوا من الحبشة ووافوا النبي ﷺ بعد فتح خيبر مباشرة في السنة السادسة، وقيل السابعة من الهجرة. وفرح بهم النبي ﷺ فرحاً شديداً، وخاصة بمقدم ابن عمه جعفر، وفرض لهم من غنائم خيبر وأشرك معهم الأشاعرة.

وقد أسلم أبو موسى الأشعري (عبد الله بن قيس) قديماً بمكة قبل الهجرة. وقيل إنه هاجر إلى الحبشة. ثم عاد منها بصحبة جعفر بن أبي طالب ووافوا النبي ﷺ بعد انتصاره على يهود خيبر مباشرة.

وقد أنكر الواقدي هجرة أبي موسى إلى الحبشة. وقال إنه أسلم بمكة قديماً، ورجع إلى زبيد باليمن وطنه. ثم قدم هو وأناس من الأشعريين على رسول الله ﷺ. وروى أبو بريدة بن أبي موسى عن أبيه قال: «خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي، ونحن ثلاثة أخوة: أنا وأبو رهم وأبو عامر، فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي، وعنده جعفر وأصحابه، فأقبلنا حين افتتحت خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «لكم الهجرة مرتين، هاجرتم إلى النجاشي، وهاجرتم إلي»^(١).

وقد أخرج الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «يقدم عليكم غداً قوم

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٩٠، ج٢/٣٨٠-٤٠٢.

هم أرقُّ قلوباً للإسلام منكم»، فقدم الأشعريون فلما دنوا جعلوا يرتجزون:

غداً نلقى الأحبَّ محمداً وحزبه

وأخرج البخاري في صحيحه والترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة. الإيمان بيان، والحكمة بيانة».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ: جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً. والإيمان بيان، والحكمة بيانة، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخلاء في الفدادين من أهل الوبر، قبل مطلع الشمس (أي جهة المشرق).

وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ حُبُّهُمْ وَبُحُبُّهُمْ﴾ (المائدة: ٥٧)، سأل الصحابة عن هؤلاء القوم، فقال رسول الله ﷺ: «هم قومك يا أبا موسى، وأوماً إليه»، صححه الحاكم - ووافقه الذهبي عليه^(٢). وهناك رواية أخرى في هذه الآية أنها نزلت في سلمان الفارسي وقومه.

وكان أبو موسى ﷺ حسن الصوت، حتى قال عنه رسول الله ﷺ: «لقد أوتي هذا مزاراً من مزامير آل داود». وقد أخرج مسلم في صحيحه عن بريدة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً عند باب المسجد يصلي بالليل، فقال لي: «يا بريدة، أترأه يراني؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: بل هو مؤمن منيب، لقد أعطي مزاراً من مزامير آل داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى فأخبرته. ووردت روايات كثيرة في الصحيحين ومسنند أحمد وكتب السنن كلها تنتهي بقوله ﷺ: «لقد أعطي هذا مزاراً من مزامير آل داود». وفي بعضها أن النبي ﷺ استمع لقراءة أبي موسى وهو لا يشعر، فلما أخبره بذلك. قال: لو أعلم بمكانك لحبّرته لك تحبيراً». أي زدت في تحسين صوتي.

وقد دعا رسول الله ﷺ لأبي موسى الأشعري قال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس

(٢) المصدر السابق.

ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً». أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، غزوة أوطاس، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل (فضائل الصحابة).

وقد استعمله النبي ﷺ على زيد وعدن. وأرسله مع معاذ وأمرهما أن يتفقا ولا يختلفا. وجعل معاذ بن جبل على الجند وجعل أبا موسى على زيد وتهامة وعدن. وقد مدح رسول الله ﷺ قوم أبي موسى لأنهم إذا أرملوا (أو قحطوا) في الغزاة جمعوا ما معهم من الطعام واقتسموه بالسوية. وقال عنهم: أنا منهم وهم مني... وهي منقبة عظيمة لهم^(٣).

وقد أرسل رسول الله ﷺ أبو موسى الأشعري إلى اليمن، ثم تبعه معاذ بن جبل ولما قدم معاذ بن جبل على أبي موسى ألقى له أبو موسى وسادة. وقال: انزل. وإذا رجل موثق عند أبي موسى، فقال معاذ: من هذا؟ قال أبو موسى: كان هذا يهودياً فأسلم ثم تهوّد. فدعاه أبو موسى عشرين ليلة ليعود إلى الإسلام فأبى، فلما عرف معاذ بالقصة قال: لا أجلس حتى يقتل، فقتل. وهو حديث صحيح أخرجه الشيخان البخاري ومسلم وأبو داود في سننه.

وقد تولّى أبو موسى أمر الكوفة في عهد عمر بن الخطاب، وكذلك إمرة البصرة، وجاهد مع النبي ﷺ ما بعد خيبر، وبعثه النبي ﷺ في معركة أوطاس بعد معركة حنين. ودعا له فيها رسول الله ﷺ: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً».

(٣) جاء في فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، ج ٨ / ٩٦، ٩٧: «قال أبو موسى عن النبي ﷺ «هم منّي وأنا منهم» هو طرف من حديث أوله «أن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو جمعوا ثم اقتسموا بينهم، فهم مني وأنا منهم». قال ابن حجر: وقد وصله المؤلف (أي البخاري) في الشركة (أي كتاب الشركة من صحيح البخاري) هناك.

وكان ممن اشتهر بالقضاء من أصحاب محمد ﷺ وهم علي وعمر وابن مسعود وأبي وزيد وأبو موسى. (أخرجه ابن عساکر). وكان من المفتين والعلماء من الصحابة رضوان الله عليهم.

وكان أبو موسى اعتزل الناس في الفتنة بعد مقتل عثمان، ولم يقا تل مع الإمام عليّ ؑ، وكان في جيش الإمام عليّ عدد كبير من اليمانية، فلما رفع أصحاب معاوية المصاحف في معركة صفين عندما رأوا الهزيمة ستحيق بهم، وطالبوا بالتحكيم، عين الإمام عليّ من قبله عبد الله بن عباس ليواجه داهية العرب عمرو بن العاص فأبى اليمانية من جيشه ذلك. وطالبوا بأبي موسى الأشعري باعتباره يانئاً صحابياً. فاقترح عليهم الإمام عليّ كرم الله وجهه الأحنف بن قيس، فإنه مجرب من العرب، وقرن لعمرو بن العاص الداهية. فأبى اليمانية إلا أبا موسى الأشعري. فوافق الإمام عليّ على مفض لما يعرفه من انخداع أبي موسى. وهكذا فقد خدعه عمرو بأن يخلع كلاً منهما صاحبه - وقدم أبا موسى ليخلع علياً، فلما فعل ذلك، قام عمرو وثبت معاوية فثارت الفتنة في جيش عليّ، وأدى ذلك إلى فتنة الخوارج وانشعب أمر الإمام كرم الله وجهه.... وبتلك الخديعة نجم عهد الخداع والكذب والرشوة والنفاق... وتحولت الخلافة الراشدة إلى ملك عضوض. كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ ونقضت عرى الاسلام عروة عروة، وأولها الحكم وآخرها الصلاة، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ.

قدوم قيس بن نمط وإسلام همدان على يد الإمام عليّ بن أبي طالب ؑ

قديم قيس بن نمط (وقيل قيس بن مالك، قالوا: ونمط لقبه وبه اشتهر)، على النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة، وكان قد قدم للتجارة فتعرف على النبي ﷺ وسمع منه دعوته فأمن بها. ثم عاد إلى اليمن. وفي المرة التالية قدم معه أخوه الأصغر منه سنأ وهو مالك بن نمط. وأخبر النبي ﷺ بأن أفراداً معدودين من قومه قد أسلموا. فقال له

النبي ﷺ وهو يفكر في الهجرة هل عند قومك من منعه؟ فقال قيس: نحن أمنع العرب... ولكن الله أراد للأوس والخزرج المكانية السامقة، فبادروا إلى رسول الله ﷺ وصارت مدينتهم يثرب معقل الإسلام، وعاصمته الأولى ومقر دولته، وعرفت بمدينة الرسول ﷺ وعرفوا بالأنصار الذين يؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة.

وبقي الإسلام محدود الانتشار جداً في همدان، وأرسل رسول الله ﷺ خالداً ليدعوهم إليه، فمكث ستة أشهر لم يستجب له إلا من قد آمن من قبل، فبعث رسول الله ﷺ علياً في أثره، فأسلمت همدان بكاملها في يوم واحد.

قال ابن القيم في كتابه «زاد المعاد»: إن البيهقي أخرج في سننه بسند صحيح عن البراء بن عازب ؓ أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء فكننت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب ؓ فأمره أن يقفل خالداً (أي يأمره بالرجوع إلى المدينة) إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع علي ؓ فليعقب معه. قال البراء، فكننت فيمن عقب مع علي - فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّى بنا علي ؓ ثم صفّنا صفّاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب علي ؓ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه، فقال: السلام على همدان، السلام على همدان.

وأصل الحديث في صحيح البخاري. وأورده الإسماعيلي كاملاً، وذكره بالتفصيل ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ؓ، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع (ج ٨ / ٦٥).

وفود اليمن: وفد همدان

وفد علي رسول الله ﷺ وفوداً متتالية من اليمن:

ومنهم وفد همدان وافوا النبي ﷺ عند رجوعه من تبوك وعليهم الخبرات والعمامة العدنية (نسبة إلى عدن)، وهم على النجائب المهريّة (نسبة إلى المهرة) والخيول الأرحبية (نسبة إلى قبيلة أرحب). وكان هذا الوفد من خاراف ويام وشاكر وهم يرتجزون:

همدان خير سُوقَة وأقيال ليس لها في العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الأبطال لهم إطبابت بها وآكال
ومن شعره يذم صنمهم يعوق وأنه لا يضرّ ولا ينفع إلا الله.
يريش الله في الدنيا ويبري ولا يبري يعوق ولا يريش

قال ابن هشام^(٤): قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ منهم مالك بن نمط، وأبو ثور وهو ذي المشعار، ومالك بن أنفع، وضام بن مالك السلماني، وعميرة بن مالك الخارقي، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وعليهم مُقَطَّعات الخبرات والعمامة العدنية برحال الميس على المهريّة (نسبة إلى قبائل الجمال المهريّة) والأرحبية (نسبة إلى قبائل أرحب)... وقد أسلم مالك بن نمط قديماً على يد أخيه قيس بن نمط ووفد على النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة مع أخيه، ثم عاد إلى وطنه... ولما كان عام الوفود قدم مع وفد همدان في رجب عام تسعة من الهجرة مع ١٢٠ من قومه وقال مالك بن نمط: يا رسول الله نصيب (خيار القوم) من همدان من كل حاضر وباد، أتوك على قُلص نواج (الإبل السريعة)، متصلّة بحبائل الإسلام، لا تأخذهم في الله لومة لائم، من مخلاف خاراف ويام وشاكر، أهل السود (الإبل) والقود (الخيل) أجابوا دعوة الرسول، وفارقوا الآلهات والأنصاب، عهدهم لا ينقض ما أقامت لعلع - (اسم مكان بالقرب من المدينة) وما جرى اليعفور (ولد الظبية)، بضلع (أي بقوة وسرعة)، فقال رسول الله ﷺ: «نعم الحيّ همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد»^(٥).

(٤) سيرة ابن هشام ج ٤ / ٢٦٧ وما بعدها.

(٥) الجامع الكبير للسيوطي (ص ١٩)، والإصابة لابن حجر العسقلاني.

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من رسول الله محمد ﷺ لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب (أي الأماكن المرتفعة) وحقاف الرمل مع وافدها ذي المشعار لمالك بن نمط، ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها (أعالي الأرض) ووهاطها (الأرض المنخفضة جمع وهط)، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها (ثمر الطلح والمقصود ثمارها)، ويرعون عافياها، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله، وشاهدهم المهاجرون والأنصار». فأنشد مالك بن نمط:

ذكرت رسول الله في فحمة الدجى	ونحن بأعلى رحرحان وصلدٍ
وهُنَّ بنا خوص طلائح تغتلي	بركبنا في لاحب متمدٍ
على كل فتلاء الذراعين جسرة	تمربنا مرَّ الهجن الحفيدٍ
حلفت برب الراقصات إلى منى	صواحر ركبنا من هضبٍ قردي
بأن رسول الله فينا مصدقٌ	رسولٌ أتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أشدَّ على أعدائه من محمدٍ
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه	وأمضى بحدِّ المشرفيِّ المهديِّ

قيس بن نمط: هو أخو مالك بن نمط، وهو الأكبر سنّاً والأقدم إسلاماً، حيث أسلم والنبي ﷺ بمكة قبل الهجرة. وقد ذكرت بعض كتب تراجم الصحابة قيس بن نمط، وقيل قيس بن مالك. ويبدو أن نمط كان لقباً لمالك فكان يدعى تارة قيس بن مالك وتارة قيس بن نمط. وقالوا إنه هو الذي وفد على النبي ﷺ عام الوفود، وهو العام التاسع من الهجرة. وقيس بن مالك أو قيس بن نمط هو زعيم بكيل ومن بكيل تفرّعت أرحب. وبكيل وحاشد هما جناحاهمذان. ومناطق بلاد قيس بن نمط هي ما يعرف الآن بالجوف من اليمن، وحرف سفيان بمحافظة عمران، قبيلة شاكر التي ينتمي إليها قيس تفرّعت إلى ذي محمد وذو حسين في ناحية برط وما جاورها،

وبني سفيان بمحافظة عمران حالياً، ووائله بن شاکر بمحافظة صعدة إلى نجران. وكانوا يعبدون الأوثان وبالذات يعوق ويغوث بعد أن كانوا تهوّدوا فترة ثم عادوا إلى الأوثان.

وقد تقدّم ذكر قدوم قيس بن مالك إلى مكّة قبل الهجرة وإسلامه.

ثم قدم قيس بن نمط على رسول الله ﷺ، وهو في المدينة وسماه رسول الله ﷺ الوقي، واستعمله على قبائل همدان جميعها وذلك سنة قدوم الوفود وهو العام التاسع من الهجرة. وكتب له عهداً وفيه أمر بطاعة همدان لقيس بن نمط (أحمورها) أي قبائل قُدَم، وآل ذي مران، وآل ذي لعوة، وأذواء وهمدان، (وغربها) أي قبائل أرحب، ونهم، وشاكر، ووداعة، ويام، ومرهبة، ودالان، وخارف، وغدر وحجور وخلاتظها ومواليها، أن يسمعوا له ويطيعوا. وأن لهم ذمة الله وذمة رسوله ما أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطعمة ثلاثمائة فرق من خيوان: مائتان زبيب وذرة شطران. ومن عمران الجوف: مائة فرق بُرّ، جارية (أي تجري عليه وعلى نسله) من مال الله أبداً^(٦).

وذكر ابن الأثير في أسد الغابة خطاب النبي ﷺ لقيس بن مالك (نمط) الأرحبي ما نصّه: «باسمك اللهم، من محمد رسول الله إلى قيس بن مالك الأرحبي. سلام عليك، أما بعد، فإني استعملتك على قومك غربهم وأحمورهم ومواليهم. وأقطعتك ذرة نثار مائتي صاع، ومن زبيب خيوان مائتي صاع، جارٍ لك ولعقبك من بعدك أبداً أبداً».

قال الهمداني في الإكليل إنها استمرت في أعقاب قيس بن مالك حتى قطعها يحيى بن الحسين العلوي في أحداث سنة ٢٠٩ هـ.

(٦) الوثائق السياسية للعهد النبوي لمحمد حميد الله، ص ٢٣٢، وطبقات ابن سعد ج ٢ / ٧٣.

الكتب التي كتبها رسول الله ﷺ وأعطائها لمالك بن نمط أو أرسلها معه^(٧):

١- كتاب لمالك بن نمط:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف، وأهل جناب الهضب، وحقاف الرمل، مع وافدها ذي المشعار، لمالك بن نمط، ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها. يأكلون علافها ويرعون عفاءها، ما سلّموا بالميثاق والأمانة. لهم من الصدقة الثالب، والنباب، والفصيل، والفارض، والداجن، والكبش الحوري، وما عليهم فيها الصالغ والقارح. لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله. وشاهدهم المهاجرون والأنصار»^(٨).

٢- كتاب رسول الله ﷺ لعمير ذي مران مع مالك بن نمط:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله إلى عمير ذي مران، ومن أسلم من همدان. سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم، الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد ذلكم، فإنه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الروم فأبشروا فإن الله قد هداكم بهداه. وإنكم إذا شهدتم أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، فإن لكم ذمة الله وذمة رسوله على دماءكم وأموالكم، وأرض البون التي أسلمتم عليها، سهلها وجبلها وعيونها وفروعها، غير مظلومين ولا مضيق عليكم. وأن الصدقة لا تحل لمحمد وأهل بيته، وإنما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين، وإن مالكم قد حفظ الغيب، وبلغ الخبر، فأمركم به خيراً، فإنه منظور إليه. وأمرك به يا ذا مران خيراً فإنه منظور إليه، والسلام».

(٧) محمد حسين الفرح: يمانيون في موكب الرسول، الهيئة العامة للكتاب صنعاء، ٢٠٠٤، ص ٥٧-

٥٩، وهو استقاهها من الوثائق السياسية للمعهد النبوي ص ٢٣٠، وأسد الغابة ج ٢/ ١٤٥ وغيرها

من المراجع كالاستيعاب ص ٣٧٥، والإصابة ج ٣/ ٣٥٦.

(٨) المصدر السابق.

٣- كتاب رسول الله ﷺ لمالك بن نمط وقيس بن نمط:

قال القرطبي في الاستيعاب: «وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لمالك بن نمط فيه إقطاع». وذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً، وأمر عليهم مالك بن نمط، واستعمله على من أسلم من قومه.

وقد أخرج ابن منده وأبو يعلى وأبو نعيم خطاب رسول الله ﷺ لقيس بن نمط، وفيه: «سلام عليكم، أما بعد، فإني استعملتك على قومك، غربهم وأحمرهم ومواليهم». ويشمل ذلك كل همدان حاشدها ويكيلها.

وفي طبقات ابن سعد والمطالب العالية لابن حجر: «كتب رسول الله ﷺ لقيس الهمداني (أي ابن نمط) على قومه همدان: أحورها وغربها، وخلاتطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا».

وكان قيس بن نمط قد بلغ من الكبر عتياً، فكان أخوه مالك بن نمط هو الذي يتولى الأمور كعامل لرسول الله ﷺ على همدان، في إطار الولاية العامة لمعاذ بن جبل حتى وفاة رسول الله ﷺ.

ولما توفى رسول الله ﷺ وارتدت كثير من قبائل العرب اجتمع زعماء همدان عند ذي المشعار في ناعط. قال ابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٩): «فقام عليهم عبد الله ابن مالك (بن نمط) الأرحبي، وكان من أصحاب النبي ﷺ، وله هجرة وفضل في دينه فقال: يا معشر همدان، إنكم لم تعبدوا محمداً، إنما عبدتم ربَّ محمد، وهو الحي الذي لا يموت، غير أنكم أطعتم رسوله بطاعة الله، واعلموا أنه استنذكم من النار، ولم يكن الله ليجمع أصحابه على ضلالة. ثم أنشد:

لعمري لئن مات النبي محمدٌ لما مات، يا ابن القليل، ربُّ محمدٍ
دعاه إليه ربُّه فأجابَه فإجابَه غوري، ويا خير منجدٍ

(٩) ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة: ج ٢ / ٣٦٥، ترجمة عبد الله بن مالك الأرحبي.

فثبتت همدان على الإسلام وبعثت وفداً إلى أبي بكر الصديق فيهم عبد الله بن مالك ابن نمط الأرحبي، ومُرَّان بن عمير ذي مران، ومسروق بن الحارث الحاشدي الهمداني. ولم يزل مالك بن نمط من الصحابة الزعماء في اليمن إلى أن توفي ﷺ.

العوام بن جهيل سادن بيت الصنم (يعوق) يفد على النبي ﷺ مؤمناً

كان مع وفد همدان الذي قدم إلى النبي ﷺ برئاسة مالك بن نمط وأبي ثور ومالك ذي المشعار (وهو أكبر شخصية في الوفد من حاشد ومخلاف خارف) سادن بيت الصنم يعوق، الذي كانت تعبده حاشد وبكيل في جاهليتهما، وهو العوام بن جُهَيْل الهمداني. وكان العوام يحدث أصحابه بعد إسلامه أنه كان ذات ليلة في بيت الصنم، فسمع هاتفاً من الصنم يقول: يا ابن جُهَيْل، حَلِّ بالأصنام الويل، هذا نور سطع من الأرض الحرام، فودَّع يعوق بالسلام. يقول العوام: فألقى الله في قلبي البراءة من الأصنام^(١٠). فأسلم العوام ولحق بوفد همدان، ودخل على النبي ﷺ وأخبره ما سمع من الصنم، فسُرَّ النبي ﷺ وقال: أخبر المسلمين، وأمره بكسر الأصنام، فرجع إلى اليمن فكسَّر الأصنام وامتلاً قلبه بالإسلام. وقال شعراً:

من مُبْلِغ عَنَّا شَامِي قومنا ومن حَلَّ بالأجواف، سِيراً وأجهرا
بأنَّنا هَدَانَا اللهُ الحَقَّ بعدما تهوَّد مِنَّا حَائِرٌ أَوْ تَنَصَّرَا
وأنا سرينا من يغوث وقربه يعوق، وتابعتك يا خير الوري

وقد صدق العوام، فقد كانت باليمن اليهودية والنصرانية وعبادة الأوثان. وقد وجدت نقوش في همدان بالخط المسند من عصور ملوك سبأ وحمير، ومنها نقش من ريدة باسم القيل يسجل قيامه بأعمال عمرانية تم إنجازها بعون الله سيد السماء والأرض (مرا سموين وأرض) في عهد أبي كرب أسعد ملك سبأ وريدان

(١٠) محمد حسين الفرخ: يانيون في موكب الرسول، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠٤، ص ٤٦-

٥٤. وقد نقل ذلك عن الإصابة لابن حجر العسقلاني.

وحضرموت ويمنت وأعرابهم طودا (أي مرتفعات) وتهامت (أي تهامة أي المنخفضات). ومن المعروف أن أبا كرب أسعد قد تهوّد آنذاك كما أن هناك نقوشاً بالخط المسند تتحدّث عن ربّ السماء والأرض، وعن المسيح ابنه، وهي تدلّ على أن صاحب النقش كان نصرانياً. ثم أن الوثنية عادت مرة أخرى وأصبح لكل قبيلة معبودها الخاص^(١١).

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد (سيرة ابن هشام ج ٤ / ٢٥٢)
 قدم عمرو بن معد يكرب في وفد من زبيد على رسول الله ﷺ، فأسلم وصدّق برسول الله ﷺ، ثم عاد إلى قومه من بني زبيد، وعليهم فروة بن مسيك. فلما توفّي رسول الله ﷺ ارتدّ عمرو بن معد يكرب. فقاتلوه حتى عاد المرتدون إلى حظيرة الإسلام.

قدوم الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي في وفد كندة (سيرة ابن هشام ج ٤ / ٢٥٤) والذهبي في سير أعلام النبلاء ج ٢ / ٣٨ - ٤٣

وقدم الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً على رسول الله ﷺ، فدخلوا مسجده وقد رجّلوا جمهم، وتكحلّوا، عليهم جُبب الحَبْرَة، وقد كفّفوها بالحرير. فلما دخلوا على رسول الله ﷺ، قال: ألم تسلّموا؟ قالوا: بلى. قال: فما (بال) هذا الحرير في أعناقكم؟ قال: فشقّوه ثم ألقوه. وقال الأشعث: يا رسول الله نحن بنو آكل المرار، وأنت ابن آكل المرار. فتبسّم رسول الله ﷺ وقال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة بن الحارث». ثم قال لهم: «لا بل نحن بنو النضر ابن كنانة لا نقفو (أي نتبّع) أمنا (أي في النسب)، ولا نتنفي من أبينا». فقال الأشعث لقومه: هل فرغتم يا معشر كندة. والله لا أسمع رجلاً يقولها إلا ضربته ثمانين (أي حدّ الإفك)، وآكل المرار هو أحد رؤساء كندة، والمرار نبات مُرّ

(١١) المصدر السابق، ص ٤٥

الطعم أكله حجر بن معاوية الكندي في تلك الغزوة فاشتهروا بذلك.

قال الأشعث: في نزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (آل عمران: ٧٧). قال: خاصمت رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقال: ألك بيّنة؟ قلت: لا. قال: فيحلف. قلت: إذا يحلفُ. فقال رسول ﷺ: من حلف على يمين فاجرة ليقطع بها مالاً، لقي الله عليه وهو غضبان». أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، ومسلم في صحيحه كتاب الإيوان، والطبراني في الكبير، وأحمد في مسنده.

وارتدَّ الأشعث بن قيس في ناس من كندة، فحوصر، فأخذ الأمان لسبعين وقيل لعشرة من رجاله، ولم يأخذ الأمان لنفسه. فلما قدم على أبي بكر، قال له أبو بكر الصديق: إنا قاتلوك، لا أمان لك. فقال: تَمُنُّ عليّ وأسلم؟ قال: ففعل أبو بكر ذلك، ثم زوجه أبو بكر أخته فروة بنت أبي قحافة. فدخل الأشعث سوق الإبل وأخذ يقتلها ويعرقبها، ويقول للناس: انحروا وكلوا... ويا أهل الإبل تعالوا خذوا ثمنها. وذلك فرحاً بزواجه بفروة بنت أبي قحافة وعودته إلى الإسلام. كما أن عكرمة بن أبي جهل تزوج قتيبة بنت قيس أخت الأشعث بعد انهزام الأشعث وأسرته.

وكان الأشعث مع جند عليّ في صفين، وهو الذي أزاح جند معاوية عن الماء عندما غلبوا عليه وأبوا أن يستقي منه أصحاب عليّ، فلما فعل ذلك لم يمنع الإمام عليّ أعداءه من الماء كما فعلوا.

وكان الأشعث من قواد الإمام عليّ، وتزوج الحسن بن عليّ عليه السلام بنت الأشعث، فلما مات الأشعث، وذلك في خلافة الإمام الحسن القصيرة غسلوه بالكافور وصلّى عليه الحسن. وكانت وفاته سنة أربعين بعد وفاة عليّ بأربعين ليلة. وقال بعض أهل التاريخ (سير أعلام النبلاء للذهبي) إن ابنة الأشعث هي التي سمّت الحسن عليه السلام بعد أن أغراها معاوية، أما ابن الأشعث عبد الرحمن فكان أحد

العلماء القرءاء الذين تزعموا الثورة ضد الحجاج وذلك سنة ٧٠هـ.

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي في وفد من قومه^(١٢)

قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدي في وفد من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن. فخرج صرد إلى اليمن وحاصر مدينة جرش وبها قبائل من اليمن وخشم فامتنعوا عنه، فرجع عنها بعد شهر من الحصار فخرجوا في طلبه، فانقض عليهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وكانوا في منطقة تدعى شكر. فأخبر النبي بذلك رجلين من أهل تلك المنطقة كانا قد وصلا إليه قائلاً: «إن بدن الله لتنحر عنده الآن» فلم يفهما ما يريد، فأخبرهما أبو بكر أن رسول الله ﷺ ينعي قومها. فقاما إلى رسول الله ﷺ يسألانه أن يرفع عنهم ذلك فقال: «اللهم ارفع عنهم».

فلما رجعا إلى قومهم وجدوا ما أصاب قومهم من صرد بن عبد الله الأزدي في اليوم الذي حدثهم به رسول الله ﷺ.

وأسلم أهل جرش وقدم وفد منهم إلى رسول الله ﷺ فحمى لهم حمى لأفراسهم ومواشيهم.

ثم إنهم بعثوا وفداً منهم إلى رسول الله بعد أن فشا فيهم الإسلام، وعلموا وعملوا بتعاليمه، فكانوا خير وفد على رسول الله حتى قال فيهم: علماء حكماء كادوا أن يكونوا أنبياء.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد^(١٣) عن سويد بن الحارث الأزدي قال: وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رآه من

(١٢) سيرة ابن هشام، ج ٤ / ٢٥٦ - ٢٥٨.

(١٣) ابن القيم: زاد المعاد، ج ٣ / ٦٣.

سمتتنا وزيننا، فقال: ما أنتم؟ قلنا: مؤمنون. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم؟ قلنا: خمس عشرة خصلة: خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقتنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلى الآن، إلا أن تكره منها شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: وما الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا: أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت.

قال: وما الخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها؟ قلنا: أمرتنا أن نقول لا إله إلا الله، ونقيم الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت الحرام من استطاع إليه سبيلاً. قال: وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ قالوا: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمرّ القضاء، والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشائنة بالأعداء. فقال رسول الله ﷺ: «حكماء، علماء، كادوا من فقهم أن يكونوا أنبياء». ثم قال ﷺ: «وأنا أزيدكم خمساً فتتم لكم عشرون خصلة. إن كنتم كما تقولون، فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبوا ما لا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غداً تزولون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون، وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون».

فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها.

إسلام ملوك حِمَيْر^(١٤):

بعث رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحِمَيْرِي، فأجاب وأسلم ملوك حِمَيْر: الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل (رئيس) ذورعين، وقبائل معافر وقبائل همدان وأرسلوا إلى النبي ﷺ كتاباً بذلك يحمل ملك بن مرة الرهاوي، فُسِّرَ بذلك النبي ﷺ، وذلك عند مقدمه من

(١٤) سيرة ابن هشام، ج ٤ / ٢٥٨ - ٢٦١، وص ٢٧٩

تبوك. وهذا خطاب النبي ﷺ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله النبي، إلى الحارث بن عبد كلال، وإلى نعيم بن عبد كلال، والنعمان قيل ذورعين ومعاfer وهمدان. أما بعد ذلكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد، فإنه قد وقع بنا رسولكم مُتَقَلِّبًا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم به، وخبر ما قبلكم، وأبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم حُسَّ الله وسهم النبي ﷺ ووصفيته، وما كتب على المسلمين من الصدقة من العقار (الأرض الزراعية): عشر ما سقت العين وسقت السماء، وعلى ما سقى العَرَبُ (الدلو العظيمة) نصف العشر». ثم ذكر لهم زكاة الإبل وزكاة البقر والغنم وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين له ما لهم وعليه ما عليهم، وله ذمة الله وذمة رسوله. ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُرَدُّ عنها (أي لا يمنع) وعليه الجزية على كل حالم أو أنثى حر أو عبد دينار وافر من قيمة المعافر (ثياب من ثياب اليمن).

ثم أوصى رسول الله ﷺ بأن يحسنوا وفادة رسل رسول الله ﷺ الذين قرر أن يرسلهم إلى اليمن وهم: معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعقبة ابن نمر، ومالك بن مرة وأصحابهم، وأن يجمعوا لهم ما يجب عليهم من الصدقة من مخاليفهم... وأن أمير هؤلاء معاذ بن جبل.

وأرسل رسول الله ﷺ كتاباً خاصاً إلى زرعة بن سيف ذي يزن أحد ملوك حمير بأن لا يخونوا ولا يتخاذلوا وأوصاه بحمير خيراً. وأخبره أن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد وأن رسول الله ﷺ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم. وأن الزكاة إنما هي للفقراء من المسلمين وابن السبيل.

وحمل هذا الخطاب إلى ملوك حمير مالك بن مرة الرهاوي، وهو الذي جاء

بكتبهم إلى رسول الله ﷺ، وأثنى عليه رسول الله ﷺ، وأخبرهم أنه أرسل إليهم من أهل بيته (أرسل الإمام عليّ كرم الله وجهه)، ومجموعة من خيرة أصحابه يعلمونهم الإسلام وفرائضه.

وفشا الإسلام في أهل اليمن وأسلمت همدان كلها في يوم واحد، على يد الإمام عليّ بن أبي طالب، ولما بلغ الخبر إلى رسول الله ﷺ سرّ بذلك وقال: سلام على همدان، سلام على همدان. كما قد مرّ معنا.

وقد روى معاذ أن رسول الله ﷺ أمره أن يأخذ من أهل الجزية من كل حالم ديناراً أو عدله معافرياً وهي ثياب يمنية اشتهرت تصنع بالمعافر من بلاد اليمن.

قدم فروة بن مسيك المرادي

قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم. وقد كان قبيل الإسلام وقعة بين مراد وهمدان، انهزمت فيها مراد في يوم يقال له يوم الردم. فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال له: «يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟»، قال: يا رسول الله! من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك؟ فقال له رسول الله ﷺ: «أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً». واستعمله النبي ﷺ على مراد وزبيد ومذحج كلها. وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه حين تُوّي رسول الله ﷺ.

وكان فروة بن مسيك لما توجه إلى رسول الله ﷺ عرض على قومه وملوكهم أن يقبلوا الإسلام فأبوا فقارقهم، وأنشد قائلاً:

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرّجل خان الرّجل عرق نساءها

قرّبت راحلتي أوّم محمّداً أرجو فواضلها وحسن ثرائها

وقد قام فروة بن مسيك المرادي بالولاية على المناطق التي ولاه إيّاها رسول الله ﷺ من أرض مراد ومذحج وزبيد. وله مسجد معروف شمالي صنعاء

يعرف بمسجد مسيك وفيه قبره. وهو قبر مشهور. كما قام بعمارة الجبانة (المقبرة) شمال صنعاء بأمر النبي ﷺ.

ذهاب جرير بن عبد الله البجلي إلى اليمن^(١٥): بعث رسول الله ﷺ جريراً ليهدم ذي الخلصة، وكان بيتاً في حثعم يسمّى الكعبة اليبانية، وفيه الأوثان، فذهب جرير ومائة وخمسين راكباً فغزاه وهدمه وقتل عبّاد الأوثان. فسّر النبي ﷺ ودعا لجرير. ثم إن جرير لقي رجلين من اليمن: ذا كلاع وذا عمرو، فحدّثهم عن رسول الله ﷺ، فقال له ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك فقد مرّ على أجله منذ ثلاث (أي ثلاثة أيام) قال جرير: حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم، فقالوا: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبا بكر والناس صالحون، فقالا: أخبر صاحبك (أي أبا بكر) إنّنا قد جئنا، ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن.

قدوم وفد تجيب من كندة:

منازل تجيب في هدون وعندل ودمون المهجرين وريدة الدّين من أراضي

حضر موت:

قال ابن القيم في زاد المعاد^(١٦): وقدم عليه ﷺ وفد تجيب، وهم من السكون (من قبائل اليمن من كندة) ثلاثة عشر رجلاً، قد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسّر رسول الله ﷺ بهم، وأكرم منزهم. وقالوا: يا رسول الله سقنا إليك حقّ الله في أموالنا. فقال رسول الله ﷺ: ردّوها فاقسموها على فقرائكم. قالوا: يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا. فقال أبو بكر: ما وقد من العرب بمثل ما وفد به هذا الحيّ من تجيب. فقال رسول الله ﷺ: إن الهدى بيد الله عزّ

(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة، وباب ذهاب جرير إلى

اليمن، الحديث رقم ٤٣٥٥-٤٣٥٩.

(١٦) زاد المعاد، ج ٣ / ٥٤، ٥٥. انظر ص ٢٤٥، ٢٤٦.

وجلّ. فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان. وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن، فازداد بهم رسول الله ﷺ رغبة، وأمر بلالاً أن يُحسّن ضيافتهم، فأقاموا أياماً، ولم يطيلوا اللبث فقيل لهم: ما يعجلكم؟ فقالوا: نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤيتنا رسول الله ﷺ وكلامنا إياه وما ردّ علينا.

وجاؤوا رسول الله ﷺ يوّدعونه فأرسل إليهم بلالاً فأجازهم بأرفع مما كان يجيز الوفود. وسألهم هل بقي منكم أحد؟ قالوا: نعم غلام خلفناه على رحالتنا، فأرسلوه إلى النبي ﷺ، فقال الغلام: إني من الرهط الذين أتوك آنفاً، فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي يا رسول الله، قال: وما حاجتك؟ قال: إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي، وإن كانوا قدموا راغبين في الإسلام، وساقوا ما ساقوا من صدقاتهم. وإني والله ما أعملني من بلادي إلا أن تسأل الله ﷻ أن يغفر لي ويرحمي، وأن يجعل غنائي في قلبي. فسّر رسول الله ﷺ وأقبل عليه. وقال: «اللهم اغفر له وارحمه، واجعل غناه في قلبه». ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه. فانطلقوا راجعين إلى أهلهم، ثم وافوا رسول الله ﷺ بمنى سنة عشر فقالوا: نحن بنو أبندي (من تحيب) فقال رسول الله ﷺ: ما فعل الغلام الذي أتاني معكم؟ قالوا: يا رسول الله ما رأينا مثله قط. وما حدّثنا بأقنع منه بما رزقه الله. لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت إليها. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، إني لأرجو أن يموت جميعاً. فقال رجل منهم: أوليس يموت الرجل جميعاً يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: تشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا. فلعلّ أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله ﷻ في أيها هلك. قالوا: فعاش ذلك الغلام فينا على أفضل حال وأزهد في الدنيا، وأقنع بها رزق.

وفد بني سعد هذيم من قضاة (وقضاة من قبائل اليمن من أبناء مالك بن

حَيْر)

وذكر ابن القيم في زاد المعاد^(١٧) عن الواقدي أن وفد بني سعد هذيم من

قضاة قدموا على رسول الله وقد أسلموا، فلما وصلوا مسجد رسول الله ﷺ وجدوا رسول الله ﷺ يصلي على جنازة، فقاموا ناحية ولم يصلوا، فلما انصرف رسول الله ﷺ من صلاته، قال: من أنتم؟ قالوا: من بني سعد هذيم. فقال: أمسلمون أنتم؟ قالوا: نعم. قال: فهلاً صليتم على أخيكم؟ قالوا: يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك. فقال رسول الله ﷺ: أينما أسلمتم فأنتم مسلمون». قالوا: فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ. ثم انصرفنا إلى رحالنا قد خلفنا عليها أصغرنا. فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا فأتي بنا، فتقدم صاحبنا (أي الغلام) فبايعه على الإسلام. فقلنا يا رسول الله إنه أصغرنا وخادمنا فقال: أصغر القوم خادمهم. بارك الله عليه. فصار خيرهم وأقربهم للقرآن وأمره رسول الله ﷺ أن يؤتمهم.

وإلى قضاة تنتمي المهرة وخولان بن عمرو بن الحاف بن قضاة في بلاد صعدة، وهم خولان العالية، ومنهم أبو مسلم الخولاني، من خيار التابعين، وله كرامات كثيرة في الفتح وعبر بهم البحر بجنوده في سبيل الله. وقد قال شاعر خولان العالية:

أيها السائل عن أنسابنا نحن خولان بن عمرو بن قضاة
نحن من حِبرٍ في ذروتها ولنا المربع فيها والرباعه

وفد بهراء من اليمن

قال ابن القيم في زاد المعاد^(١٨) نقلًا عن الواقدي، أن ضباة بنت الزبير بن عبد المطلب (ابنة عم رسول الله ﷺ) قالت: قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله ﷺ، وهم ثلاثة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى باب المقداد، فخرج إليهم ورحب بهم، وقدم لهم جفنة من حيس، فأكلوا منها حتى شبعوا فردوا القصة وفيها أكل، ثم بعثنا بتلك القصة إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ضباة

(١٨) زاد المعاد، ج ٣/ ٥٦.

أرسلت بهذا، فقالت سدرة (مولاة ضباعة): نعم يا رسول الله، فقال: ما فعل ضيف أبي معبد (أي المقداد)؟ قالت: عندنا. فأصاب منها رسول الله ﷺ هو ومن معه في البيت حتى نهلوا، وأكلت معهم سدرة ثم قال: اذهبي با بقي على ضيفكم. قالت سدرة: فأكل منها الضيف ما أقاموا، وما تغيض، حتى جعل القوم يقولون: يا أبا معبد إنك لتنهلنا من أحب الطعام إلينا... وقد ذكر لنا أن الطعام ببلادكم إنها هو العلق (أي كمية قليلة) ونحن عندك في الشبع. فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ، وأنها من بركة أكله منها وبركة أصابعه، فجعل القوم يقولون: نشهد أنه رسول الله. ثم ذهبوا إلى رسول الله ﷺ يعلمهم فرائض الإسلام فلما انصرفوا إلى أهلهم أمرهم بجوائزهم.

وفد بلي

قدم وفد بلي في ربيع الأول سنة تسع للهجرة، فنزلوا على رويغ بن ثابت البلوي (وهو أحد الصحابة الذين أسلموا وأقاموا مع النبي في المدينة وشهد معه المشاهد) فقدم رويغ على رسول الله ﷺ وقال: هؤلاء قومي. فقال له رسول الله ﷺ: مرحباً بك وبقومك، فأسلموا. فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار. فقال له شيخ الوفد أبو الضبيب: يا رسول الله، إني رجل في رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر؟ قال: نعم. وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة. ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيخرجك. قال: يا رسول الله. الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الأرض؟ قال: هي لك أو لأخيك أو للذئب. قال: فالبعير؟ قال: ما لك وله، دعه حتى يجده صاحبه.

ثم إن رسول الله بعث إلى رويغ بتمر وقال له: استعن بهذا التمر. فأقاموا ثلاثاً، ثم ودّعوا رسول الله ﷺ وأجازهم، ورجعوا إلى بلادهم.

وفد خولان من اليمن^(١٩)

قدم على رسول الله ﷺ وفد من خولان في شهر شعبان سنة عشر فقالوا: يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا، ونحن مؤمنون بالله ﷻ ومصدقون برسوله. وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وقد ركبنا حزون الأرض وسهولها، والمينة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك. فقال رسول الله ﷺ: «أما ما ذكرتم من مسيركم إليّ، فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة. وأما قولكم زائرين فإنه من زارني بالمدينة كان في جوارى يوم القيامة. قالوا: يا رسول الله هذا السفر الذي لا قُوى عليه.

ثم قال رسول الله ﷺ: ما فعل عم أنس، وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه، (عم من أسماء القمر عندهم مثل سين وود والمقه ويعبدونها من دون الله). قالوا: بدلنا الله ما جئت به. وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به. ولو قدمنا عليه لهدمناه إن شاء الله، فقد كنا منه في غرور وفتنة. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما أعظم ما رأيتم من فتنة؟ قالوا: لقد رأيتنا أستتنا (أي أصابتنا القحط والسنة) حتى أكلنا الرمة (أي جيف الحيوانات الميتة)، فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها لعم أنس قرباناً في غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوج إليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا العشب يوارى الرجال، ويقول قائلنا: أنعم علينا عم أنس.

وذكروا الرسول الله أنهم كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحرثهم (إذا حصدوه) ويجعلون لله جزءاً وللصنم جزءاً، فما كان لله جعلوا منه نصيباً لصنمهم، وما كان للصنم جعلوه له خالصاً، فأخبرهم رسول الله بأن الله أنزل في ذلك قرآناً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْوِهِمْ

وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الأنعام: ١٣٦).

قالوا وكنا نتحاكم إليه فيتكلم. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الشياطين تكلمكم. وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار، وأن لا يظلموا أحداً فإن الظلم ظلمات يوم القيامة». ثم إنهم ودَّعوه بعد أيام، وأجازهم، فرجعوا إلى قومهم، فلم يجلبوا عقدة حتى هدموا عمّ أنس.

قدوم وفد صداء سنة ثمان للهجرة (وصدء من أبناء مذحج ومذحج مرجعها كهلان بن سبأ الأكبر)

قدم وفد صدء من اليمن عند انصرافه من الجعرانة بعد أن كان يريد غزوهم، وقد وفد ١٥ رجلاً منهم، فقال سعد بن عباد: يا رسول الله دعهم ينزلوا عليّ، فنزلوا عليه فأكرمهم وكساهم، ثم راح بهم إلى رسول الله ﷺ فبايعوه على الإسلام، وقالوا: نحن لك على من وراءنا من قومنا، فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة في حجة الوداع.

وذكر ابن القيم في زاد المعاد^(٢٠): أن زياد بن الحارث الصدائي قدم على رسول الله ﷺ عندما علم بعزم رسول الله ﷺ على غزو قومه، فقال له: اردد الجيش يا رسول الله وأنا لك بقومي، فردّهم ثم وفد عليه نفر من قومه. فقال رسول الله ﷺ: يا أخا صدء إنك لمطاع في قومك. فقال زياد: بلى يا رسول الله، من منّ الله ﷻ ومنّ رسوله. وشاهد زياد فوران الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ عندما أراد أن يتوضأ مع قلة الماء، فتوضأ رسول الله ﷻ ثم توضأ كل من كان مع رسول الله ﷻ من ذلك الماء القليل، ثم أخذوا منه في أسقيتهم فكفاهم أجمعين.

وسمع زياد رسول الله ﷻ وهو يقول: «لا خير في الإمارة لرجل مسلم»،

(٢٠) زاد المعاد، ج٣/ ٦٠، ٦١.

وسمعه وهو يقول لرجل يطلب مالاً من الصدقة: «إن كنت من أهلها الثمانية أعطيتك، وإن كنت غنياً عنها فإنها هي صداع في الرأس وداء في البطن».

فقال زياد في نفسه: لقد سألت الإمارة وأنا رجل مسلم، وسألته من الصدقة وأنا غنيّ، فذهب إلى رسول الله واستقاله من الإمارة وردّ عليه كتابه. فأعجب به رسول الله ﷺ، وطلب منه أن يدلّه على رجل يصلح للإمرة من قومه فدله. وقال: يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قلّ علينا فتفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف، فادع الله ﷻ لنا في بئرننا. فقال رسول الله ﷺ: ناولني سبع حصيات، فأخذهن رسول الله وعركهنّ بيده ثم أعطاه إياها وقال: إذا انتهيت إلى البئر فألقها فيها حصاة حصاة وسمّ الله. ففعل ذلك زياد فجاش ماؤها ولم يدركوا لها قعرأ.

وفد الجعفيين من جردان (بمضرموت)

والجعفيون من مذحج من أبناء كهلان

وفد على رسول الله ﷺ قيس بن سلمة الجعفيّ هو ورهط من أصحابه فأكرمهم رسول الله ﷺ. وقدم لهم القلب في وليمتهم. ويبدو أن سبب ذلك أن الجعفيين كانوا لا يأكلون القلب كما يعاف كثيرون الرثة والأمعاء والكرش والمخ. وقد قدّم رسول الله ﷺ لقيس وصحبه القلوب مشوية فأكلوا منها وذهب منهم ما كانوا يجدونه. وعادوا إلى بلادهم بعد أن تعلّموا الإسلام وأحكامه.

وتالت الوفود زرافات ووحداناً. ومنهم الأسود الكندي من عرمة وجردان،

وكليب البقلي من وادي تنعه.

والعجيب حقاً أن هؤلاء كانوا لا يمكنون في المدينة سوى أيام أو أسابيع قليلة على الأكثر فيعودون، وقد عقلوا مبادئ الإسلام وأحكامه الأساسية... وهذا يدلّ على يسر الإسلام وأحكامه، وأنها لا تحتاج إلى قضاء سنين طويلة، فأحكامه وعقائده كلها كان يتعلّمها هؤلاء الأقوام خلال أيام قليلة يمكنونها عند رسول الله ﷺ،

يتعلمون منه الإسلام، ثم يعودون إلى قومهم ليدعوهم ويرشدونهم إلى تعاليم القرآن والسنة. فما أعجب هذا الدين وما أبركه وما أيسره، فله الحمد والمنة.

وائل بن حجر الحضرمي^(٢١)،^(٢٢)،^(٢٣) (وائل بن حجر بن سعد بن مسروق)

أبو هنيذة، أحد أشرف حضرموت من أهل شبوة، كان سيداً في قومه، له وفادة وصحبة ورواية وجهاد. كان قبلاً من أقبال حضرموت وكان أبوه من ملوكهم، وقد وفد على رسول الله ﷺ وحده، وبشّر رسول الله ﷺ أصحابه بمقدمه قبل أن يصل بأيام وقال: «يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة، من حضرموت، طائعاً، راغباً في الله ﷻ، وفي رسوله. وهو بقية أبناء الملوك».

فلما دخل وائل بن حجر على رسول الله ﷺ رحّب به وأدناه من نفسه، وقرب مجلسه، وبسط له رداءه، وأصعده على منبره، ودعاه ولنسله بالبركة إلى يوم القيامة. قالوا ومن نسله عبد الرحمن بن خلدون صاحب المقدمة المشهورة والعديد من قضاة مصر والأندلس وغيرها من البلاد.

وقد استعمله الرسول ﷺ على الأقبال من حضرموت، وأقطعها أرضاً. وكتب له رسول الله ﷺ ثلاثة كتب ومن أشهرها كتابه الطويل المتضمن بعض أصول الأحكام الشرعية وفيه وجه رسول الله ﷺ الكلام إلى الأقبال العباهلة^(٢٤)، وفي الخطاب كلمات حثيئة. وهذا يدل على سعة علم رسول الله ﷺ بلغات العرب وأنه خاطب كل قوم بألفاظ خاصة بهم لا يستعملها غيرهم.

وقد روى وائل بن حجر أن رسول الله ﷺ أرسل معه معاوية بن أبي سفيان عند

(٢١) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج ١ / ١٠٦، (دار المعرفة - جدة، ط ٢، ١٩٨٣).

(٢٢) ابن الأثير، علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب - القاهرة، ج ٥ /

٤٣٥.

(٢٣) محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة - بيروت، ٧٥، ١٩٩٠، ج ٢ / ٥٧٢.

(٢٤) الأقبال هم حكام المقاطعات في اليمن، أقل درجة من الملوك والعباهلة طائفة من الأقبال.

مقدمه المدينة فمشى معاوية في ركابه والحزب شديد، ومعاوية آنذاك كما قال رسول الله ﷺ: «صعلوك لا مال له»، وليس له نعل. فقال معاوية لوائل: اردفني خلفك، وشكاه حزر الرمضاء، فقال وائل: لست من أرداف الملوك. فقال: أعطني نعلك. فقال وائل: انتعل ظل الناقة. قال معاوية: وما يعني عني ذلك؟ ورفض وائل أن يعطيه نعله.

ثم دارت الأيام، وتولى معاوية الملك فقدم عليه وائل بن حجر فسلم على معاوية فأحسن معاوية استقباله وأجلس معه على سريره. وذكره بما فعل معه في المدينة، فاعتذر وائل بقرب عهده من الجاهلية، وقال وائل: «وددت أني كنت حملته بين يدي». وشهد وائل بن حجر معركة صفين مع الإمام عليّ وكان على راية حضر موت يومئذ.

وكان وائل بن حجر يعارض زياد بن أبيه المستبد الطاغية الذي ولي لمعاوية وضبط العراقيين بالشدة والبطش. وكان وائل ممن يؤيدون حجر بن عدي (ستأني ترجمته) الذين كانوا ينكرون على زياد لعنه للإمام عليّ وتأخير الصلوات، وشدته في الحكم. فوجه زياد بحجر وأصحابه إلى معاوية بعد أن ألقى القبض عليهم وأرسل إليه أن هؤلاء يفسدون أمري فقتل معاوية حجراً. واختلفت الروايات في وائل بن حجر بن ربيعة (وقيل بن سعد) بن مسروق الحضرمي. فمنهم من قال إنه لم يكن مع حجر بن عدي الذين أرسلوا إلى معاوية، ومنهم من قال إنه كان معهم، وأن معاوية قتل حجراً وستة من أصحابه ثم أطلق الباقيين وهم ستة، ومنهم وائل بن حجر. وتوفي وائل بعد هذه الواقعة بمدة قريبة، رحمه الله رحمة الأبرار.

وقد روي عن النبي ﷺ أحاديث، وروى عنه ابنه علقمة، وأما عبد الجبار ابنه، فقد روى عن أخيه علقمة وأمه عن أبيه وائل، فقد قيل إنه لم يولد إلا بعد وفاة أبيه، وقيل بل كان صغيراً لا يعقل عند وفاة أبيه.

ويقول الذهبي: قدر روى له الجماعة (أي أصحاب الكتب الستة) إلا البخاري.

حجر بن عدي الكندي (٢٥) (٢٦)

حُجر بن عدي بن معاوية بن جبلة الكندي، المعروف بحجر الخير. وكان شريفاً أميراً مطاعاً، أماًراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، وكان ذا إصلاح وتعبّد كما يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء. وهو الذي افتتح مرج العذراء في الشام.

وفد على رسول الله ﷺ هو وأخوه هاني. وشهد القادسية، وكان من فضلاء الصحابة، وكان على قبيلة كندة يوم صفين مع الإمام عليّ، كما كان قائد الميسرة يوم النهروان. وقد شهد وقعة الجمل مع الإمام عليّ، وكان من أعيان الصحابة ورجاله الذين يعتمد عليهم في السلم والحرب.

وقد كان زياد بن أبيه مع الإمام عليّ، ثم اشتراه معاوية، وادعى أنه أخوه (من الزنا) وولاه العراقين، فكان من الحكام القساة الظلمة الذين يقتلون بالشبهة وبأدنى منها. ولما ولي العراق دعا بحجر وقال له: «تعلم أي أعرفك، وقد كنت أنا وأنت على ما علمت من حبّ عليّ، وأنه قد جاء غير ذلك. فأنشذك الله أن يقطر لي من دمك قطرة، فاستفرغه كله. املك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لديّ فاكفني نفسك، فإني أعرف عجلتك، فأنشذك الله يا أبا عبد الرحمن في نفسك، وإياك وهذه السفلة أن يستزلوك عن رأيك، فإنك لو هنت عليّ، أو استخففت بحقك، لم أخصك بهذا»^(٢٧).

ولكن حُجراً لم يستطع السكوت على لعن الإمام عليّ من على المنابر والازدراء به، وسبّه. وقد رأى الصلاة تؤخّر عن وقتها، والظلم والجبروت يتفشى والطغيان يزداد، وأموال الأمة تنتهب، وعباد الله يتخذونهم خولاً وعبداً لبني أمية وحكامهم، فلم يطق حُجر ﷺ السكوت على ذلك كله، فأمر بالمعروف ونهى عن

(٢٥) محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣ / ٤٦٢ - ٤٧٦.

(٢٦) ابن الأثير: علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١ / ٤٦١ - ٤٦٢.

(٢٧) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج ١ / ١٠٩، في ترجمته لوائل بن حجر.

المنكر، ولم يقبل المداينة في دينه، وأن يبيع آخرته بدنياه كما فعل كثيرون، فغضب زياد وأرسل إليه الشرط فألقوا القبض عليه. وحُجر يعلن أنه لم ينقض بيعته لمعاوية، فبعث به زياد بن أبيه (وأبوه أبو سفيان زنى بأمه سمية البغي في الطائف قبل الإسلام، فألحقه معاوية بأبي سفيان ودعاه أخوه)، فلما وصل عديّ إلى الشام سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهي بالمدينة ما حدث لعدي فأسرعت وأرسلت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام إلى معاوية تسأله أن يخلي سبيلهم. فلما علم معاوية بمقدمهم رفض أن يقابلهم. وأمر بقتل حجر بن عدي وصحبه عند قرية عذراء^(٢٨)، فلما وصلوا إليها قال حجر: أما والله إني لأول مسلم نتج كلاهما في سبيل الله، وكان هو من افتتحها. فقتلوا حجراً وصحبه حتى إذا قتلوا سبعة جاءهم أمر معاوية بإطلاق سراح الباقين وكانوا ستة، ومن بينهم الصحابي الجليل وائل بن حُجر الحضرمي الذي سبقت ترجمته.

وغضبت أم المؤمنين عائشة من قتل حجر بن عدي وأكثرت ملامة معاوية وقالت: أين ما بلغني من حلمك؟ فلما أكثرت عليه قال: وجدت في قتله مصلحة للناس، وخفت فسادهم. فردّت عليه قوله، فقال معاوية: دعيني وحجراً، حتى نلتقي عند ربنا.

وكان ابن عمر في السوق لما بلغه نعي حجر بن عدي فغلب عليه النحيب، وكان يوم نعيه يوم حداد في المدينة. وقد قالت هند الأنصارية في رثائه:

ترفّع أيها القمر المنير ترفّع هل ترى حجراً يسيراً
يسيراً إلى معاوية بن حرب ليقتله كما زعم الخبير
تجبرت الجبابر بعد حُجر فطاب لها الخورنق والسدير^(٢٩)
وأصبحت البلاد له محولاً كأن لم يُجِها يوماً مطيراً

(٢٨) عذراء من قرى غوطة دمشق، تبعد عنها ١٥ ميلاً شمال شرقي دمشق، وبها قبر حجر بن عدي واصحابه إلى اليوم في مسجدها.

(٢٩) الخورنق والسدير من قصور الجاهلية في الحيرة تشرب فيها الخمر ويكثر فيها الفسق والفجور.

ألا يا حُجْرُ بنِي عَدِيٍّ تَلَقَّتْكَ السَّلَامَةُ وَالسَّرُورُ
فَإِنْ تَهْلِكُ فَكُلُّ عَمِيدِ قَوْمٍ إِلَى هُلُوكِ مِنَ الدُّنْيَا يَصِيرُ

وقد طلب حجر أن يدفنوه في ثيابه لأنه سيعت مخاصماً لمعاوية، ولم يغسلوا له
دماً ولا أطلقوا عليه حديداً من قيوده حسب وصيته. ودفنوه بها. أجزل الله مثوبته
ورفع درجته.

الفصل الحادي عشر

قصة وفود لجران
من النصارى ومن آمن منهم

قصة وفد نجران^(١)

قال ابن القيم في زاد المعاد^(٢): إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد. فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه ذعر ذعراً شديداً، وبعث إلى شرحبيل بن وداعة يستشيريه، فقال: لو كان من أمر الدنيا أشرت عليك، أما في أمر النبوة فليس لي رأي. وبعث الأسقف إلى جيار بن قيص يسأله فلم يجبه بشيء. فاجتمعوا وقرروا الذهاب إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر ولبسوا حلاً من الحبرة وخواتيم من ذهب، فلم يكلمهم رسول الله، ثم أشار عليهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن يلبسوا ثياب السفر فكلمهم.

ويقول ابن كثير والألوسي وغيرهما من المفسرين: إن الله سبحانه وتعالى أنزل بضعا وثمانية آله من أول سورة عمران إلى (٨٢) آية في مجادلة وفد نجران وتبيين حقيقة عيسى عليه السلام وأمه.

قال ابن كثير^(٣): وكان سبب نزول هذه المباحلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا وفد نجران لما قدموا (المدينة) فجعلوا يجاجون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردّاً عليهم.

ونقل ابن إسحاق في سيرته أن وفد نصارى نجران ستون ركباً، وأمرهم يؤول

(١) نقلاً عن كتاب المصنّف: معاملة غير المسلمين، سلسلة كتب قيمة، دار القلم، دمشق - الدار الشامية، بيروت ٢٠٠٤.

(٢) محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية): زاد المعاد في هدي خير العباد، البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٠، ج ٣/٤٥.

(٣) ٣٦٨ / ١

إلى ثلاثة، هم (العاقب) وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم ولا يصدرون إلا عن رأيه، و(السيد) وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، و(أبو حارثة بن علقمة) وكان أسقفهم وصاحب مدرستهم، وقد عظمت الروم وبنوا له الكنائس. قدموا على رسول الله ﷺ المدينة، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر، عليهم ثياب الخبرات (ثياب موشاة مخططة حمراء جميلة) حتى قال مَنْ رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم. وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم». فصلوا إلى المشرق.

إنها صورة عجيبة فذة من الساحة واليسر؛ فقد سمح رسول الله ﷺ لهذا الوفد من نصارى نجران أن يصلُّوا صلاتهم في مسجده، ولما أراد بعض الصحابة أن يمنعهم من ذلك قال: «دعوهم».

هل يمكن أن نتخيل مثل هذا الموقف النبيل المتسامح لقوم من النصارى بقسهم ورؤسائهم يصلُّون في مسجد رسول الله ﷺ؟! فلما قضوا صلاتهم وكلمهم والتفت إلى أسقفهم (أبي حارثة بن علقمة) وأميرهم (العاقب) و(السيد الأيهم). وكانوا من فرق النصرانية الملكانية (أي على دين الملك؛ والمقصود به ملك الروم). وكانت النصرانية فرقا شتى يكفر بعضها بعضاً، فمنهم من يقول: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، ومنهم من يقول: إنَّ المسيح هو ابن الله، ومنهم من يقول: إنَّ الله ثالث ثلاثة. فنزل القرآن الكريم يجادلهم في ذلك كله، ويوضح لهم ما هم عليه من الضلال ومضاهاتهم لمن سبق من ملل الكفر التي جاءت بمثل هذه الأقوال (ومنهم المصريون القدماء أصحاب عقيدة التثليث: حوريس وإيزيس وأوزيريس، وأنَّ الله ثالث ثلاثة... ومنهم قدماء الفرس والهنود واليونان)^(٤). وقد استعرضنا ذلك كله في كتاب خاص عن عقائد النصارى^(٥).

(٤) انظر: كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية)، تأليف: محمد طاهر التنير، ط بيروت، ١٣٣١ هـ.

(٥) دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، للمؤلف، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

وجادلهم رسول الله ﷺ حتى قال العاقب (وهو صاحب رأيهم): والله يا معشر النصارى لقد عرفتم إنَّ محمداً لنبىُّ مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم (أي عيسى عليه السلام). ولقد علمتم أنه ما لآعن قومٌ نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم. وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم والإقامة على ما أتمت عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضى.

فقال رسول الله ﷺ: «أتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين»، فاختار لهم أبا عبيدة أمين هذه الأمة ﷺ.

وروى البخاري في (صحيحه) هذه الحادثة فقال: جاء العاقب والسيد صاحباً نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعناه لا نبقى نحن ولا عقبنا من بعدنا. قال: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تبعث معنا إلا أميناً، قال: «لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام، قال رسول الله ﷺ: «هذا أمينُ هذه الأمة». قال ابن كثير: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.

ولم يلاعنهم الرسول ﷺ إلا بعد أن نزلت بضع وثمانون آية في مجادلتهم، فلما عرفوا الحق وأنكروه بعد معرفتهم إياه، عرض عليهم المباحلة حتى يُنهي هذا الجدل الذي طال عن حده.

آية المباحلة: قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمُ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمُ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿آل عمران: ٥٩-٦٧﴾.

وقد نزل صدر سورة آل عمران في قصة مريم وأمها وابنها ونفي الربوبية عنه وتنزيه المولى عن ذلك، وقصة مولد عيسى عليه السلام والمعجزات التي صاحبته مولده، وكلامه في المهد من الآيات العجيبات، ثم إرساله إلى بني إسرائيل بالبينات والكتاب المبين مؤيداً بمعجزات عظيمة مثل: إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والنفخ في الطير من الطين فيكون طيراً بإذن الله، وتوضيح ضلال فرق النصراني في عيسى عليه السلام وأمه وعقائدهم المختلفة فيه، حيث جعلته فرقة هو الله، وفرقة جعلته ابن الله، وثالثة جعلته ثالث ثلاثة، وفرق أخرى رفعت أمه مريم إلى مقام الألوهية بينما فرقهم كافة تجعلها مجرد امرأة كانت وعاء لابن الله أو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فلما طال الجدل وعرف القوم صدق ما جاء به رسول الله ﷺ لكنهم استكبروا أن يسلموا فتضجع عليهم مكانتهم ومغانمهم. فأمر رسول الله ﷺ بالمباهلة، وهي الملاعبة، فجاء الرسول ﷺ بعد أن اتفقوا على ذلك، وخرج النصراني (العاقب) و(السيد) و(أبو حارثة بن علقمة) أسقفهم، وخرج رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعليّ عليهم السلام، فلما رأوا تلك الوجوه قالوا لبعضهم بعضاً:

إن نلاعن هذه الوجوه هلكننا، فقام شرحبيل وهو العاقب، وقال للرسول ﷺ: إني قد رأيتُ خيراً من ملاعتك.

فقال: «وما هو؟».

فقال: حكمتك اليوم إلى الليل وليلتك إلى صباحك؛ فمهما حكمت فينا فهو

جائز!!.

فقال رسول الله ﷺ: «لعلَّ وراءك أحداً يثرب عليك»، فقال شرحبيل: سل صاحباي (أي السيد والأسقف)، فسألها: فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل.

فرجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه، فكتب لهم كتاباً أمرهم فيه بدفع ألفي حلة من حلال نجران كل عام، في كل رجب ألف حُلة، وفي كل صفر ألف حُلة، وأن يقرؤا (يضيفوا) رسل رسول الله ﷺ، وإن احتاج المسلمون إلى خيل أو ركاب أو دروع فعليهم أن يعيروهم إياها عارية مضمونة يردوها لهم المسلمون، فإن نقص منها شيء تكفل رسول الله ﷺ بردها عليهم، فتعاقدوا على ذلك. وكانت تلك جزيتهم. ذكره ابن كثير في (التفسير) نقلاً عن البيهقي في (دلائل النبوة). ثم إنهم طلبوا حكماً عدلاً أميناً ليحكم بينهم في بعض ما اختلفوا فيه في بلدهم، فعين لهم أبا عبيدة ؓ كما قد مر معنا.

وروى الحاكم في (المستدرک على الصحيحين) قال: قدم على النبي ﷺ العاقب والطيب (وفد نجران)، فدعاهما إلى الملاعنة، فواعدها على أن يلاعناه الغداة. قال: فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما (أي إلى العاقب والطيب) فأبيا أن يجيبا، وأقرآ له بالخراج. فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق لو قالوا: لا، لأمطر عليهم الوادي ناراً». قال جابر (بن عبد الله) ؓ: وفيهم نزلت: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾، قال جابر: (أنفسنا وأنفسكم) رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب. (وأبناءنا) الحسن

والحسين. (ونساءنا) فاطمة، فعلي بن أبي طالب هو نفس رسول الله ﷺ بنص القرآن. والحسن والحسين هما ابناه وربحانتاه من الدنيا؛ وقد جعلها الله سبحانه وتعالى أبناءً للرسول، ولم يأت رسول الله ﷺ بأحد من نسائه سوى فاطمة رضي الله عنها. وهو مقامٌ عظيمٌ رفع الله به آل بيت النبي ﷺ وآل الكساء إلى هذا المقام الخاص الذي لا يُداني.

وقال ابن جرير في (تفسيره)^(٦): فلما غدوا غدا النبي ﷺ محتضناً حسناً، أخذاً بيد حسين، وفاطمة تمشي خلفه، فدعاهم إلى الذي فارقه عليه بالأمس، فقالوا: نعوذ بالله (أي من مباحلتك، لأنهم قد علموا أنهم لو باهلوه هلكوا جميعاً) مراراً. قال: فإن أبيتهم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله ﷻ، فإن أبيتهم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون.

وأخرج بسنده عن زيد بن علي بن أبي طالب في هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦١). قال: كان النبي ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، أي الذين خرجوا للمباهلة، فنكص نصارى نجران.

وأخرج ابن جرير بسنده: «أن النبي ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: اتبعنا، فخرج معهم للمباهلة فنكص النصارى».

«وأصل كلمة المباهلة الملاعنة، ويقال: بهله الله: أي لعنه الله. والبهل: اللعن، وصارت الكلمة تطلق على التضرع في الدعاء وخاصة إذا كان باللعن».

(٦) ابن جرير: (أبو جعفر) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة: ٣/

تفسير القرطبي^(٧):

«قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا﴾: دليل على أن أبناء البنات يسمون أبناء، وذلك أن النبي ﷺ جاء بالحسن والحسين وفاطمة تمشي خلفه، وعليّ خلفها وهو يقول: إن أنا دعوت فأمنوا» وهو معنى قوله: ﴿ثُمَّ نَبَّهْلُ﴾ أي نتصرّع في الدعاء... عن ابن عباس رضي الله عنهما: نلتعن. وأصل الابتهاال: الاجتهاد في الدعاء باللعن وغيره. يقال: بهله الله أي لعنه، والبهل: اللعن.

ثم قال: قال كثير من العلماء: إن قوله ﷺ في الحسن والحسين لما باهل: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ وقوله في الحسن: «إن ابني هذا سيد»، مخصوص بالحسن والحسين أن سُميا ابني النبي ﷺ دون غيرهما، لقوله ﷺ: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي».

وقد جاء في كتاب النبي ﷺ لوفد نجران بعد أن أقرأوا بالجزية ما يلي: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدتهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير»^(٨).

وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد^(٩): أن رسول الله ﷺ كتب لأهل نجران كتاباً بعد أن قدموا المدينة، ونكصوا عن المباهلة وأقرأوا بالجزية، جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بيعهم ورقيقهم وملتهم وسواطتهم، وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل أو

(٧) أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٣٠ وما بعدها.

(٨) أبو يوسف: كتاب الخراج، ص ٨٦. وذكره محمد حميد الله الحيدر آبادي في كتابه: (مجموعة الوثائق السياسية). ورواه أيضاً ابن سعد في كتب النبي ﷺ ووفوده، كما رواه البلاذري في (فتوح البلدان).

(٩) زاد المعاد: ج ٣/ ٤٨.

كثير، جوار الله ورسوله، لا يغيّر أسقف من أسقفيتّه، ولا راهب من رهبانيتّه، ولا كاهن من كهانته، ولا يغيّر حقّ من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه. على ذلك جوار الله ورسوله أبداً ما نصّحوا وأصلحوا عليهم غير متقلّبين بظالم ولا ظالمين^(١٠). وكتب المغيرة بن شعبه، فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف إلى قومه ومن معه، فأذن لهم فانصرفوا.

إسلام بني الحارث بن كعب من أهل نجران

قال ابن إسحاق^(١١): بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا فيها دُعوا إليه. فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيّه.

ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ يخبره بما فعل حسب أوامر النبي ﷺ وأن بني الحارث بن كعب قد استجابوا لدعوة رسول الله ﷺ فأسلموا قاطبة. فسُرّ بذلك

(١٠) وقد ورد النصّ مطوّلاً: «هذا ما كتب محمّد النبي ﷺ لأهل نجران إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة، وفي كل صفراء وبيضاء ورفيق فأفضل ذلك عليهم، وترك ذلك كله لهم على ألفي حُلّة من حلل الأواقي، في كل رجب ألف حُلّة، وفي كل صفر ألف حُلّة، كل حُلّة أوقية من الفضة فما زادت على الخراج، أو نقصت الأواقي فالحساب. وما قضا من دروع أو خيل أو ركاب أو عروض أخذ منهم بالحساب. وعلى نجران مائة رسل وامتعتهم، ما بين عشرين يوماً فما دون ذلك، ولا تحبس رسلي فوق شهر... ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملّتهم وغائبهم وشاهدتهم، وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير...» وبقية العهد مثل ما ذكر أعلاه. (انظر كتاب نجران منطلق القوافل لعبد الرحمن الطيب الأنصاري ص ٣٠، ٣١).

(١١) سيرة ابن هشام: ج ٤ / ٢٦٢-٢٦٦.

النبي ﷺ، وكتب النبي ﷺ جواباً إلى خالد يبشّرهم، ويأمره أن يُقبل إلى المدينة، ومعه وفد منهم، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وكان مع الوفد من رجال بني الحارث بن كعب: قيس بن الحصين ذي العُصّة (لأنه كان يصاب بالاختناق)، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المحجّل، وعبد الله بن قراد الزياتي، وشداد بن عبد الله القناني، وعمرو بن عبد الله الضبابي، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال: من هؤلاء القوم كأنهم رجال الهند؟ قيل: هؤلاء بني الحارث بن كعب، فأسلموا وتشهدوا أمامه.

ثم قال لهم رسول الله ﷺ: بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا: لم تكن تغلب أحداً قال: «بلى كنتم تغلبون من قاتلكم». قالوا: «كنا نغلب من قاتلنا يا رسول الله، إنا كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم». قال: «صدقتم». وولى عليهم قيس بن الحصين. ورجعوا إلى قومهم في بقية من شوال، فلم يمكنوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ.

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنّة ومعالم الإسلام، وكتب معه بكتاب جاء فيه: «هذا بيان من الله ورسوله، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود. عهد من محمد النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن. أمره بتقوى الله في أمره كله، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون». وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله، وأن يبشّر الناس بالخير، ويأمرهم به، ويعلم الناس القرآن، ويفقههم فيه، وينهى الناس فلا يمسّ القرآن إنسان إلا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذي لهم والذي عليهم، ويلين للناس في الحق، ويشدّد عليهم في الظلم، فإن الله كره الظلم ونهى عنه، وذمّ الظالمين فقال: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود: ١٨)، ويبشّر الناس بالجنّة ويعملها، وينذر الناس النار وعملها، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين، ويعلم الناس معالم الحجّ وسننه وفريضته، وما أمر الله به والحجّ الأكبر الحجّ الأكبر، والحجّ الأصغر هو العمرة. وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب

واحد صغير إلا أن يكون ثوباً يثني طرفه على عاتقيه، وينهى الناس أن يجتبي أحد في ثوب واحد يفضي بفرجه إلى السماء»، ثم أمره بإسباغ الوضوء، وإتمام الركوع والسجود، وأوقات الصلاة، ومقادير الزكاة وخمس المغنم. ثم قال: «وإنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ إسلاماً خالصاً من نفسه ودان بدين الإسلام فإنه من المؤمنين، له مثل ما لهم، وعليه مثل ما عليهم. ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حرٌّ أو عبد، دينار واف أو عوضه ثياباً، فمن أدى ذلك فإن له ذمّة الله وذمّة رسوله».

وهذا كله يدل على أن الإسلام بدأ يفشو في أهل نجران، والفرق بين قدوم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة أسقف نجران وبين إسلام بني الحارث بن كعب لا يجاوز السنة، بل ربما كان أقل من ذلك. ويبدو أن أهل نجران تحوّلوا طواعية من النصرانية إلى الإسلام في خلال فترة وجيزة^(١٢). وأن القول بأن عمر أجلى نصارى نجران قول غير صحيح، لأن عمر لم يجلب اليهود من اليمن. وقد بقي اليهود في اليمن إلى يومنا هذا. وقد غادر الآلاف منهم إلى إسرائيل عام ١٩٤٨، ورغم ذلك بقي منهم المئات.

ويقول ابن القيم في زاد المعاد إن نجران وحواشيها كان منهم نصارى ومنهم عبّاد أوثان ونجوم، وإن بني الحارث بن كعب كانوا من المشركين. ولهذا أمر

(١٢) ورغم ذلك فقد بقي بعض النصارى في نجران. وبعد وفاة الرسول أرسل نصارى نجران وفداً إلى أبي بكر الصديق يمددون العهد الذي تصالحوا عليه مع الرسول محمد ﷺ. وعندما خرج يحيى بن الحسين بن القاسم الحسيني على الخلافة العباسية واستولى على نجران سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م فرض الجزية على من بقي من نصارى نجران، وكانت نجران مقرّاً لضرب المسكوكات (العملة) منذ العهد الجُمَيْرِي قبل الإسلام إلى عهود إسلامية متأخرة ومنها عملة (درهم) ضرب سنة ٦٥١هـ في عهد المهدي بن أحمد بن الحسين ومخفوظ في متحف الآثار بأسطنبول بتركيا. وهذا كله ينفي نفيّاً تامّاً أن عمر بن الخطاب أجلى نصارى نجران من نجران (انظر كتاب نجران منطلق القوافل لعبد الرحمن بن الطيب الأنصاري ص ٣١، ٣٢).

بمقاتلتهم إن لم يسلموا. وأما أهل الكتاب فقد قبل منهم الجزية.

ومما يدل على أن الإسلام انتشر في نجران في زمن النبي ﷺ ما جاء في سيرة ابن هشام^(١٣) من أن النبي ﷺ بعث علياً رضي الله عنه إلى أهل نجران ليجمع صدقتهم (أي من المسلمين) ويقدم عليه بجزيتهم (أي من النصارى).

فجمع عليّ الصدقة والجزية ثم قدم على رسول الله ﷺ إلى مكة حيث توجه النبي ﷺ إليها حاجاً (وهي حجة الوداع، ولم يحج النبي في الإسلام إلا حجة واحدة)، فلما وصل عليّ رضي الله عنه إلى مكة دخل على زوجته فاطمة (ع) فوجدها قد حلت وتميأت. فقال لها: ما لك يا بنت رسول الله؟ قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحلّ بعمره فحللنا. ودخل عليّ على رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله ﷺ: انطلق فطف بالبيت وحلّ كما حلّ أصحابك. فقال عليّ: يا رسول الله إني قلت حين أحرمت: اللهم إني أهلُّ بها أهلُّ به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ. قال: فهل معك من هدي؟ قال: لا، فأشركه رسول الله ﷺ في هديه. فلما فرغ من الحج نحر رسول الله ﷺ بيده الشريفة ٦٧ من الإبل وأمر علياً بنحر باقي المائة. ففعل. فكان الرسول ﷺ وعليّ هما القارنان في تلك الحجة، بينما حلّ الصحابة جميعهم.

واشكى ناس ممن كانوا مع عليّ في نجران، فغضب رسول الله ﷺ، وقال: «أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله»، رواه أبو سعيد الخدريّ، وذكره بسنده ابن إسحاق في السيرة.

(١٣) سيرة ابن هشام: ج ٤ / ٢٧١.

الفصل الثاني عشر

ولاية الرسول ﷺ على اليمن
ومن بعثهم إليها لتعليم أهلها الإسلام

(١) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

لقد بعث النبي ﷺ عدداً من كبار الصحابة للدعوة للإسلام، منهم ابن عمه وختنه، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وقد أرسله مرتين: الأولى عندما أبطأ إسلام أهل اليمن وبالذات همدان التي أرسل إليها خالد بن الوليد فمكث ستة أشهر وهم لا يستجيبون له، فبعث النبي ﷺ علياً، وأمر خالداً بأن يقفل راجعاً إلى المدينة هو ومن معه، إلا رجلاً ممن كان مع خالد، أحب أن يبقى مع علي عليه السلام. قال البراء بن عازب: فكننت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّى بنا علي عليه السلام، ثم صفنا صفّاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، فأسلمت همدان جميعاً في يوم واحد. فكتب علي عليه السلام إلى الرسول ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب، خرّ رسول الله ﷺ ساجداً لله شكراً ثم رفع رأسه فقال: السلام على همدان! السلام على همدان!^(١)

ومكث علي عليه السلام في رحلته هذه أشهراً في اليمن، يعلم الناس الإسلام. ولا تذكر كتب السيرة والمغازي وكتب الحديث، المناطق التي مكث فيها وذهب إليها. وقد ثبت أنه كان في صنعاء وما حولها، وذهب إلى أراضي همدان وأسلمت على يديه، كما أنه ذهب إلى زبيد وإلى عدن وإلى آبار علي في الواحدي، بل قيل إنه وصل إلى تريم في حضر موت. وهو أمر يحتاج إلى تثبّت.

وقد بعث النبي ﷺ علياً مرة أخرى إلى اليمن. وفي هذه المرة الثانية، بعثه إلى نجران ليجمع صدقتهم ممن أسلم منهم، ويقدم عليه بجزيّتهم من النصارى^(٢).

(١) والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، (باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد

إلى اليمن قبل حجة الوداع)، ورواه البيهقي بسند صحيح، كما يقول ابن القيم في «زاد المعاد».

(٢) سيرة ابن هشام، ج ٤ / ٢٧١، وأوردها ابن القيم في زاد المعاد في حجة الإمام علي مع النبي ﷺ، كما أوردها البخاري وأهل الحديث. وهي في فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ج ٦٦/٨ المطبعة السلفية.

قال: بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسنّ مني، وأنا حديث السن لا أبصر القضاء. قال: فوضع يده على صدري. وقال: «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه. وقال: يا عليّ إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر».

وفي صحيح البخاري^(٧) عن البراء ؓ قال: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن قال: ثم بعث عليّاً بعد ذلك مكانه فقال: مُر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل. فكنيت فيمن عقبَ معه. قال: (أي البراء) فغنمت أواقى ذات عدد».

قال ابن حجر العسقلاني في الفتح: «أورد البخاري هذا الحديث مختصراً، وقد أورده الإسماعيلي... فزاد فيه: «قال البراء: فكنيت ممن عقبَ معه، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلّى بنا عليّ وصفنا صفّاً واحداً، ثم تقدّم بين أيدينا فقراً عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً، فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه وقال: السلام على همدان»^(٨).

(٢) معاذ بن جبل (أبو عبد الرحمن)^(٩) (١٠)

الصحابي الجليل معاذ بن جبل الخزرجي الأنصاري. وهذا أحد السبعين الذين شهدوا العقبة، وكان عمره آنذاك سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً. وشهد بدرأً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكانت وفاته في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨ هـ في خلافة عمر رضي الله عنهم جميعاً، وعمره ٣٣ أو ٣٤ أو ٣٥ عاماً.

(٧) صحيح البخاري كتاب المغازي، باب بعث عليّ بن أبي طالب ؓ وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع.

(٨) فتح البخاري ج ٨ / ٦٥.

(٩) ابن الأثير (عليّ بن محمد الجزري): أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٥ / ١٩٤-١٩٧.

(١٠) محمد بن أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١ / ٤٤٣-٤٦١.

كان معدوداً في علماء الصحابة المفتين، قالوا كانوا ستّة: ثلاثة من المهاجرين هم عليّ وعمر وعثمان، وثلاثة من الأنصار وهم أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وكان من كتبه الوحي وحفظه القرآن.

وكان رسول الله ﷺ يَخُصُّه بمزيد من الحب حيث قال له: يا معاذ إني أحبُّك فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك^(١١).

وروى معاذ عن رسول الله ﷺ العديد من الأحاديث منها قوله: «من شهد أن لا إله إلا الله، مخلصاً بها قلبه، دخل الجنة»^(١٢).

وقد قال فيه رسول الله ﷺ: خذوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبيّ بن كعب ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة^(١٣).

وأخرج البخاري في صحيحه^(١٤) أن معاذاً كان رديف رسول الله ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ. هل تدري حقَّ الله على عباده، وما حقَّ العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حقَّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقَّ العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً. فقلت: يا رسول الله ألا أبشّر الناس؟ قال: لا تبشّرهم فيتكلوا»، فتحدث بها معاذ قبل موته تأثراً من كتمان العلم.

(١١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة، باب الاستغفار. والنسائي ج ٣ / ٥٣، وصححه الحاكم في المستدرک ٣ / ٢٧٣.

(١٢) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة في ترجمته لمعاذ، وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبي ﷺ وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، وأخرجه الترمذي في سننه في المناقب.

(١٣) مسند أحمد، ج ٢ / ١٩٠.

(١٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد ج ٦ / ٤٤ باب اسم الفرس والحمار.

وكل صاحب استصحبه أحد خاذه وخائنه إلا العمل الصالح. انظروا لأنفسكم واصبروا لها بكل شيء، فإذا رجع موثر الرأس، أدعج، أبيض، براق، وضاح»^(١٨).

وقد ولّاه رسول الله ﷺ على الجند وما حولها إلى عدن، وقد دخل عدن، ولحج، ودثينة. وهو الذي بنى مسجد الجند المعروف، وكان له دور عظيم في نشر الإسلام وعلومه. ويقال إنه بنى المسجد الذي في عدن ومنارة المسجد لا تزال موجودة وقد جددت في عهد الاستعمار البريطاني، وكان المسجد ملعباً لكرة القدم. ويقال إن الذي أمر ببناء هذا المسجد عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل الراشد. كما أن هناك أقوالاً أخرى.

وقد جاء في كتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ في ترجمة معاذ ﷺ أن النبيّ ﷺ قسّم بلاد اليمن بين خمسة رجال هم:

- ١- خالد بن سعيد الأموي وقد ولّاه على مدينة صنعاء.
 - ٢- المهاجر بن أبي أمية المخزومي، ولّاه على كندة شرق حضرموت.
 - ٣- زياد بن ليبيد (البياضي الأنصاري)، ولّاه على حضرموت.
 - ٤- معاذ بن جبل، ولّاه على الجند (وسط اليمن).
 - ٥- أبو موسى الأشعري، ولّاه على زبيد وعدن والساحل ورمح.
- وقد وصل معاذ ﷺ في دعوته إلى حضرموت. ذكره الشاطري في أدوار التاريخ الحضرمي.

وهناك ولاية كثيرون، وقد يكون أحدهم على الصدقة والآخر على الصلاة، وتعليم الناس الإسلام، فقد استعمل رسول الله ﷺ فروة بن مسبك المرادي على مراد ومذحج، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ليقوم على الصدقة، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ.

(١٨) ضعيف في سنده لضعف زيد وجابر الجعفي.

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» (١٩).

(٣) أبو موسى الأشعري

وقد تقدّمت ترجمته في فصل «وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ». وقد وّلاه على قومه وزنيد وعدن وتهامة.

(٤) وائل بن حجر الحضرمي

وقد تقدّمت ترجمته في فصل «وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ». وقد وّلاه على منطقتة من كندة في شبوة وما حولها.

(٥) حُجر بن عدي الكندي

تقدّمت ترجمته. وقد وّلاه الرسول ﷺ على قبيلته من فروع كندة.

(٦) زياد بن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي

أحد شجعان الصحابة وذوي الفضل فيهم وأصحاب الرأي. وّلاه رسول الله ﷺ على حضرموت وكان من واجباته فيها نشر تعاليم الإسلام، والحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ، وجمع الصدقة وتوزيعها على مستحقّيها، تؤخذ من أغنيائهم وتردّ على فقرائهم، وما زاد عن حاجتهم يبعث به إلى رسول الله ﷺ في المدينة.

(١٩) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ إلى اليمن، قبل حجة الوداع، الحديث رقم ٤٣٤٧.

وقد مكث زياد بن ليبيد الأنصاري والياً على حضرموت في عهد رسول الله ﷺ (آخر سني عهد رسول الله ﷺ) وخلافة أبي بكر وصدرأ من خلافة عمر، وكان أكثر مقامه في شبام (حضرموت) وتريم. وتوفي زياد في أول أيام معاوية بن أبي سفيان.

وكان زياد بن ليبيد يُسمى المهاجري الأنصاري لأنه قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة وأسلم وأقام معه في مكة حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، فهاجر إلى المدينة (وطنه). وشهد العقبة ويدرأ وأحدأ والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أحاديث، منها أن رسول الله ﷺ قال: «ذاك عند ذهاب العلم (بعد أن ذكر شيئاً). قالوا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم، ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا، ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم؟ قال: نكلكم أمك ابن أم ليبيد!! أوليس اليهود والنصارى يقرأون التوراة والإنجيل ولا ينتفعون منها بشيء» أخرجه الثلاثة.

(٧) خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي

خالد بن الوليد أشهر من أن يُعرَف... العبقريّة الفذة في المجال العسكري. لم ينهزم في معركة قطّ. وكان صاحب خيل قريش في الجاهلية.

قدم على رسول الله ﷺ في صلح الحديبية، هو وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة العبدري، فلما رأهم رسول الله ﷺ قال لأصحابه: رمتكم مكة بأفلاذ كبدها. وقد قال عنه رسول الله ﷺ: نعم عبد الله خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله، وذلك بعد ما بلغه ما فعل في موقعة مؤتة بعد استشهاد زيد وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن رواحة، الذين جعلهم الرسول على التوالي أمراء لجيش مؤتة. وقد أخذ خالد الراية بعد وفاة هؤلاء الثلاثة وتولّى القيادة، وأوهم الروم وجحافلهم الهائلة أن مدداً قد وصل، وغير الميمنة إلى الميسرة والميسرة إلى الميمنة، وقاتل قتالاً شديداً حتى اندقّ في يده سبعة سيوف يومذاك، واستطاع أن ينسحب بالجيش

سالماً. وشهد مع النبي ﷺ فتح مكة ويوم حنين. وأرسله رسول الله ﷺ إلى صاحب دومة الجندل (أكيدر بن عبد الملك) فأسره خالد وهزم جيشه، ثم إن رسول الله ﷺ صالح الأكيدر على الجزية.

وأرسل رسول الله ﷺ خالداً إلى أهل اليمن يدعوهم، فمكث ستة أشهر يدعوهم ولا يجيبونه، فبعث رسول الله ﷺ أثره علياً بن أبي طالب، وأمره أن يقفل خالداً إلى المدينة، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد على يد الإمام عليّ. ولما بلغ ذلك رسول الله ﷺ خراً ساجداً وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان». وقد سبق ذكر ذلك في قصة وفد همدان.

ولا يعيب خالداً أنه لم ينجح في دعوته أهل اليمن السلمية، فهو عبقرى الحرب وابن بجدها، ثم بعثه رسول الله ﷺ مرة أخرى إلى بني الحارث بن كعب بن مذحج من أهل نجران ودعاهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم فأسلموا. وذهب منهم وفد إلى رسول الله ﷺ. وقد تقدمت قصة إسلامهم عند الحديث عن قصة وفد نجران.

وكان لخالد بن الوليد ؓ الدور العظيم في حروب الردة كلها، وفي فتح العراق والشام، وله مائة غزوة، وأعظم معاركه معركة اليرموك... ومات على فراشه فلا نامت أعين الجبناء، فقد شهد من المعارك والجراحات ما لم يشهده غيره ؓ، وتوفي بحمص من أرض الشام.

(٨) مالك بن نمط من همدان

من خاراف وياح وشاكر. وقد ولاه النبي ﷺ على مخلاف خاراف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل. وقد تقدم ذكر وفد همدان على النبي ﷺ وما قاله لهم وما قالوه له. وشيئاً من قصيدة مالك بن نمط في رسول الله ﷺ. وكذلك تقدمت ترجمة أخيه الأكبر قيس بن نمط وهو الذي قدم على النبي ﷺ بمكة قبل الهجرة، ثم أسلم مالك بن نمط على يد قيس.

(٩) صُرِدَ بن عبد الله الأزدي

ولاه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن. وفتح مدينة جرش وجبل شكر. وانتشر الإسلام في تلك القبائل بعد تلك الواقعة. وقد تقدّم ذكره في فصل الوفود من اليمن على رسول الله ﷺ.

(١٠) إسلام ملوك حمير وتولية رسول الله ﷺ على ما كانوا عليه

وقد تقدّم ذكر إسلام ملوك وذهاب وفد هم على رسول الله ﷺ ، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً يوليهم أمر قومهم ويعرّفهم تعاليم الإسلام ومقدار الزكاة في الزروع والضروع والأموال، وجزية أهل الكتاب، إذا أبوا الدخول في الإسلام، وهم: الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان ملك (قيل) ذو رعين ومعاfer وهمدان، وأرسل رسول الله ﷺ خطاباً خاصاً إلى زُرعة بن سيف بن ذي يزن أحد ملوك حَمِيرَ لأنه كان أول من أسلم من ملوكها، فولّاه على ما كان عليه وشرح له تعاليم الإسلام والزكاة.

وكلمة ملك يقصد بها أحياناً رئيس القوم في ناحية ولا تعني مملكة كما نفهمها اليوم ومثلها كلمة القيل والأقيال والعباهلة.

(١١) فروة بن مسيك المرادي

ولاه رسول الله ﷺ مناطق واسعة من أراضي مراد ومذحج وزبيد. وله مسجد معروف شمالي صنعاء يعرف بمسجد مسيك وفيه قبره، وهو قبر مشهور إلى اليوم. وقد عمر المسجد والجبانة شمال صنعاء بأمر النبي ﷺ.

(١٢) فيروز الديلمي^(٢٠)

أبو الضحّاك فيروز الديلمي ويقال أبو عبد الرحمن... يهاني من أبناء الأساورة

(٢٠) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ج٣ / ٢١٠، الترجمة رقم ٧٠١٠، والإعلام للزركلي مادة فيروز الديلمي.

من فارس الذين كان كسرى قد بعثهم لمحاربة الحبشة وتحرير اليمن منهم عندما استنجده سيف بن ذي يزن الحميري. ويقال لفيروز الديلمي، الحميري لنزوله بجُمَيْر ومخالفته إياهم.

وقيل إنه وفد على النبي ﷺ وروى عنه أحاديث ثم رجع إلى اليمن، فلما ظهر الأسود العنسي المرتد أعان على قتله، وقيل إنه أتى برأسه إلى النبي ﷺ في المدينة. وقال آخرون إنه إنما وفد بعد وفاة النبي ﷺ. وقيل إنه وفد على عمر في زمن خلافته وأنه توجه إلى مصر ومنها إلى بيت المقدس حيث توفي بها.

وقد أخرج أبو داود والترمذي كلاهما عن فيروز الديلمي قال: قلت يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان. فقال: طلق أيهما شئت. وله حديث آخر في الأشربة وما يحرم منها، وهذا يرجح قول الذين قالوا: إنه وفد على رسول الله ﷺ، وأنه وآله حكم صنعاء في اليمن^(٢١). ثم إن الخلاف حول وفاته كبير، فمنهم من قال: إنه مات في زمن عثمان، ومنهم من قال إنه مات في زمن معاوية. وفي الإعلام للزركلي إنه توفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٣م في عهد معاوية في صنعاء، وهو والٍ عليها من قبل معاوية.

واتفقوا على أنه كان عاقلاً حازماً. وأنه دبر قتل الأسود العنسي بواسطة جارية من جواريه أو امرأة من نسائه.

(١٣) جرير بن عبد الله البجلي

بعثه رسول الله ﷺ ليهدم بيتاً لخنعم يقال له الكعبة البيانية، ويعرف بذي الخلصة. فذهب إليه جرير مع فرسان من قومه (١٥٠ ركباً) فغزاهم وهدم ما يسمّى الكعبة البيانية، وحطّم الأوثان. (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة ذي الخلصة وذهاب جرير إلى اليمن).

(٢١) قال الجرافي في (المقتطف من تاريخ اليمن) ص ٨٦ إن فيروز الديلمي كان على صنعاء هو وقيس ابن المكشوح المرادي.

وولاه رسول الله ﷺ على تلك النواحي. وهي لا تدخل في أرض اليمن الحالية في حدود الجمهورية اليمنية، لأن ما كان يطلق عليه اسم اليمن في عهد النبي ﷺ يشمل نجران وجيزان وعسير إلى أرض قحطان وغامد والزهران والبلوى، وهي كلها اليوم في المملكة العربية السعودية. ومن المعلوم أن هذه الحدود تتغير مع الزمن. وإن كانت قبائل هذه المناطق كلها يمنية وليست عدنانية، بل إن قبائل الأوس والخزرج هي قبائل يمنية، ليس ذلك فحسب بل إن الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة (العراق) هم من اليمن الذين تفرقوا في البلاد بعد انهدام سد مأرب حتى قيل في المثل: تفرقوا أيدي سبأ.

(١٤) خالد بن سعيد بن العاص بن عبد شمس القرشي

يلتقي في نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف... أحد السابقين الأولين في الإسلام، هاجر إلى أرض الحبشة وأقام بها بضع عشرة سنة كما تقول ابنته أم خالد، وأنها ولدت بالحبشة، وأن أباهما كان أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم^(٢٢). وعاد من الحبشة مع عبد الله بن جعفر في السفينة، وقسم لهم رسول الله ﷺ من غنائم خيبر.

واستعمله رسول الله ﷺ على صنعاء^(٢٣)، وفي عهد أبي بكر، تولى بعض الجيش في غزو الشام واستشهد في معركة أجنادين^(٢٤). وكان خالد بن سعيد وسيماً جميلاً، وعمّرت ابنته أم خالد إلى عام تسعين من الهجرة.

(١٥) المهاجر بن أمية المخزومي^(٢٤)

المهاجر بن أمية بن المغيرة المخزومي القرشي، أخو أم سلمة زوج النبي ﷺ

(٢٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ / ٢٥٩، ٢٦٠ (الترجمة رقم ٤٨)، وفي طبقات ابن سعد.

(٢٣) ذكر القاضي عبد الله الجرافي في المقتطف من تاريخ اليمن ص ٨٥: أن خالد بن سعيد كان على ما بين رمع وزبيد إلى نجران ولم يتول أمر صنعاء.

(٢٤) ابن الأثير علي بن محمد الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٥ / ٢٧٧، الترجمة رقم ٥١٢٧.

لأبيها وأمها. سَمَّاه رسول الله ﷺ المهاجر حيث كان اسمه الوليد، وهو اسم يكرهه النبي محمد ﷺ. وقد أنبأ عن الوليد الفاسق، وهو الوليد الثاني من بني أمية الذي مزَّق القرآن، واشتهر بالفسق والفجور.

وقد استعمله النبي ﷺ على صدقات قبائل كندة والصدف (في حضرموت). وقد توفي رسول الله ﷺ قبل أن يسير إليها، فبعثه أبو بكر إلى قتال المرتدين باليمن، وخاصة في حضرموت والمهرة، فأبلى بلاءً حسناً، فلما فرغ من قتال المرتدين سار إلى عمله. وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت عام ١٢ من الهجرة، وهو حصن لجأ إليه أهل الرِّدة مع الأشعث بن قيس الكندي، فحاصره عامل النبي ﷺ على حضرموت زياد بن لييد الأنصاري البياضي. وكان المهاجر أحد الذين افتتحوا الحصن مع زياد بن لييد الأنصاري. وسير الأشعث بن قيس أسيراً إلى أبي بكر، فعفا عنه أبو بكر الصديق وزوجه أخته، كما قد مرّ معنا في ترجمة الأشعث بن قيس الكندي.

(١٦) البراء بن عازب

من شباب الصحابة... ومن لدات عبد الله بن عمر أرسله رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى همدان وغيرهم. فمكث خالد يدعوهم ستة أشهر فلم يسلموا، فأمر رسول الله ﷺ علياً بالذهاب إلى اليمن وأمره أن يقفل خالد راجعاً (إلى المدينة) فرجع خالد، وبقي البراء بن عازب مع عليّ فيمن بقي. وروى لنا كيف أسلمت همدان كلها في يوم واحد على يد الإمام عليّ بن أبي طالب (أخرجه البخاري مختصراً في صحيحه في كتاب المغازي وأورده الإسماعيلي كاملاً، وذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، شرح صحيح البخاري مفصلاً، وكذلك فعل ابن القيم في زاد المعاد).

ولم أجد فيما لديّ من المصادر أن رسول الله ﷺ ولّى البراء بن عازب في اليمن،

ورغم ذلك فقد ذكر القاضي عبد الله الجرافي في كتابه المقتطف من تاريخ اليمن وأحمد حسين شرف الدين في كتابه: اليمن عبر التاريخ، وغيرهما، أن البراء بن عازب كان ممن تولوا الإمرة في عهد رسول الله ﷺ في اليمن. ولم يذكروا مصدراً يمكن الرجوع إليه.

(١٧) امرؤ القيس بن عانس الكندي الحضرمي^(٢٥)

أسلم وثبت على الإسلام عندما ارتد الأشعث بن قيس وقاتل الأشعث المرتدين ومنهم عمه. وقد قتل عمه في المعركة في سبيل الإسلام. ويقال إن مسقط رأسه تريم، وقد تنازع هو وربيعه بن عيدان على أرض في حضرموت فذهبا إلى رسول الله ﷺ، فطلب رسول الله ﷺ من المدعي وهو ربيعة البيئة، فلم تكن لديه بيئة، فطلب من امرئ القيس اليميني فأقسم بالله أن لا أرض له، وهي تحت يده، فحذره الرسول بقوله: من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها حق أخيه لقي الله عليه وهو غضبان. فقال امرؤ القيس: فما على من تركها وهو يعلم أنه محق، فقال الرسول ﷺ: الجنة. فقال امرؤ القيس: إني أشهدك أني قد تركتها.

ولامرئ القيس بن عانس شعر جيد يدعو فيه قومه إلى الإسلام.

وقد كتب إلى أبي بكر الصديق في حروب الردة:

ألا أبلغ أبا بكر رسولاً وبلغها جميع المسلمينا

فليس مجاور بيتي بيوتاً بما قال النبي مكذبينا

ولم يرفض جوارهم فقط، ولكنه حاربهم حرباً شديداً، حتى قتل عمه الذي كان مع المرتدين في تلك المعارك.

وقال يرثي نفسه (مقدماتاً):

(٢٥) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي، ج ١/ ١١٣-١١٦.

قف بالديار وقوف حابس وتأن إنك غير آنس
لعبت بهن العاصفات الرائحات إلى الروامس
ماذا عليك من الوقوف بهاق الطللين دارس
ياربِّ باكية عليّ ومنشد لي في المجالس
أوقائل يا فارساً ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا أن تسمعوا هلك امرؤ القيس بن عانس

ورغم ذلك فقد عاش وشارك في الفتوحات، وكان من قواد معركة اليرموك.
وقد كان رئيساً شريفاً في قومه من كندة، وأبقاه الرسول على قومه.

(١٨) قيس بن سلمة الجعفي

كان ممن وفد على النبي ﷺ هو وقومه. وقد أكرمهم الرسول بتقديم القلب لهم
في وليمتهم (لأنهم كانوا يعافون القلب، فأعلمهم بذلك أنه أطيب ما في الذبيحة).
وتعلّموا تعاليم الإسلام وأحكامه، ثم عادوا إلى بلادهم. وولاه الرسول ﷺ أمر
قومه الذين يسكنون منطقة جردان من حضر موت.

(١٩) قيسبة بن كلثوم السكوني^(٢٦)

أحد رؤساء قبيلة سكون الكندية وفارسها، وتولى أمرها ثم كان أحد قادة فتح
مصر عام ٢٠هـ، واستولى على قصر الشمع، وكان من نصيبه في الغنائم، ولكنه
تنازل عنه، فهدم وبني موضعه مسجد الفسطاط وهو مسجد عمرو بن العاص
الشهير. وكان ممن وفد على النبي ﷺ في المدينة... ومدحه الشاعر لتنازله عن داره
فقال مخاطباً ابنه عبد الرحمن:

أبوك سلّم داره وأباحها لجهاه قوم رجع وسجود

(٢٦) الإصابة لابن حجر ج ٣ / ٢٦٤، الترجمة رقم ٧٤٦٦.

(٢٠) وبر بن يحنس الأزدي^(٢٧)

أمره رسول الله ﷺ أن يعمر مسجد صنعاء في بستان باذان، وهو بحيال جبل بصنعاء يدعى الضبيل، وأمره بأن يعمر الجبانة في شمال مدينة صنعاء. احتال في قتل الأسود العنسي بعدما اتفق مع امرأة الأسود على اغتياله. وكانت من أقارب يحنس. وترجم له ابن حجر في الإصابة مرتين أحدهما باسم وبر بن يحنس وفيه أن له صحبة. وقد بعثه النبي ﷺ على الأبناء (أي من ذرية الفرس في اليمن) وبعثه إلى فيروز الديلمي فأسلم وكذلك بنات النعمان بن برزخ فأسلمن. والثاني باسم يحنس ابن وبر.

(٢١) أبو سفيان بن الحارث وعمرو بن حزم

وكان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (وهو ابن عم النبي ﷺ) على الصدقة في نجران وعمرو بن حزم على الصلاة. ومات رسول الله ﷺ وهما على نجران.

(٢٢) عامر بن شهر

كان عامر بن شهر على همدان كلها، إلى وفاة رسول الله ﷺ.

(٢٣) يعلى بن أمية

كان يعلى بن أمية على الجند، كما يقول الجرافي في المقتطف من تاريخ اليمن، والمشهور المعروف أن معاذ بن جبل كان على الجند وما حولها. ولعله تولى أمراً من أمورها. وكان من وظائف معاذ بن جبل تعليم أهل اليمن الإسلام ولم يقتصر جهده على الجند وما حولها، بل ذهب إلى عدن، وإلى حضرموت وإلى معظم مناطق اليمن يعلم الناس أمر دينهم.

(٢٤) الطاهر بن أبي هالة

تولى أمر عك بينما كان أبو موسى الأشعري على زبيد وعدن وتهامة، وقيل إنه

(٢٧) أسد الغابة لابن الأثير ج ٥ / ٤٦٩، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج ٣ / ٦٤٩

الترجمة ٩٢١٦، وج ٤ / ٦٣٠ الترجمة ٩١٠٤.

كان على مأرب... ولا يمنع ذلك فقد تعدد المهام.

(٢٥) قيس بن المكشوح^(٢٨)

أبو شداد، واختلف في اسم أبيه فقبيل هبيرة بن هلال المرادي وقيل عبد يغوث، ولقبه المكشوح لإصابة به.

وقد كان قيس بن المكشوح أحد الذين أعانوا على قتل الأسود العنسي مع فيروز الديلمي، وهذا يدل على إسلامه في عهد النبي ﷺ. وقال بعضهم بل تأخر إسلامه إلى عهد أبي بكر، بل قالوا إلى عهد عمر. والصواب أنه أسلم في عهد النبي ﷺ لاشتراكه في قتل الأسود. والنبي ﷺ قد أخبر بمقتل الأسود العنسي في الليلة التي قتل فيها، وذلك قبل موت النبي ﷺ ببسيرة.

وكان قيس بن المكشوح أحد الفرسان المعدودين في اليمن وهو فارس مذحج غير مدافع وهو ابن أخت عمرو بن معد يكرب، إلا أنها كانا مختلفين في الجاهلية والإسلام. وقد ارتد عمرو بن معد يكرب مع من ارتد فتصدى له ابن أخته يريد قتله وأنشد قائلاً:

فلو لاقيتني لاقيت مرنا وودّعت الحبايب بالسلام
ورّد عليه خاله:

أريد حياته ويريد قتلي عُذيرك من خليلك من مراد

وقد تمثل بهذا البيت الإمام عليّ كرم الله وجهه كما يقولون، عندما كان يداعب عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام فيما بعد، فكان أشقى أمة محمد.

وقد كان لقيس بن المكشوح المواقف المشهودة في القادسية ونهاوند (مع سعد

(٢٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج ٤ / ٤، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني

ج ٣ / ٢٦٠ الترجمة رقم ٧٢٣٩، وج ٣ / ٢٧٤ الترجمة رقم ٧٣١٣.

ابن أبي وقاص، والنعمان بن مقرن) وفتوح العراق وفارس.

وكان في جند الإمام عليّ في صفّين وأخذ الراية، حتى وصل إلى خيمة معاوية ابن أبي سفيان يريد قتله فتصدّى له رومي من حرس معاوية فقطع رجل قيس، فتمالك قيس فقتله. ثم تكاثرت عليه رماح حرس معاوية من الروم وغيرهم، فقتل شهيداً^(٢٩).

وأما عدد الصحابة الذين ذهبوا إلى اليمن لنشر الإسلام ثم لقتال أهل الردّة فكبير جداً.

ومن هؤلاء عبّاد بن بشر الأنصاري الأوسي الخزرجي. وهناك كما يقول الشاطري اثنان باسم عبّاد بن بشر الأنصاري أحدهما خزرجي قتل باليامة في حرب مسيلمة الكذاب، والثاني أوسي (وفي أجداده من يسمى الخزرج) فيقال أوسي خزرجي، وقد استشهد في حروب الردّة في حضرموت في قرية اللسك، ودُفن بأعلى الجبل المسمّى جبل الغراب بحضرموت. وقد أوصل بعض المؤرخين عدة البديريين بترميم، كما يقول الشاطري^(٣٠) إلى سبعين، وعمامة الصحابة الذين دخلوا حضرموت إلى ثلاثمائة.

ومن دخل حضرموت في حروب الردّة عكرمة بن أبي جهل، وقد أخضع المهرة وحضرموت، وكان من جملة قواد أبي بكر في حروب الردّة.

(٢٩) من الغريب حقاً أن نجد حرس معاوية الخاص من الروم النصاري. ويبدو أن تحالفاً تمّ بين الدولة البيزنطية ومعاوية لمحاربة الإمام عليّ، فأخذ هؤلاء المرتزقة، وكانوا من الصقالبة (وهم من السلافيون من أهل أوروبا الشرقية كانوا جنوداً في الدولة البيزنطية. واستخدمهم معاوية ووثق فيهم حتى جعلهم من حرسه الخاص. فما هي العلاقة بين معاوية وبين هؤلاء الكفرة أعداء الإسلام؟).

(٣٠) محمد أحمد الشاطري: أدوار التاريخ الحضرمي ج ١ / ٩٧. ويبدو القول بدخول سبعين من أهل بدر إلى تريم مبالغاً فيه. ولعل ذلك العدد يشمل من دخل اليمن بأكملها من أهل بدر

فهرس تفصيلي بالموضوعات

- مقدمة الطبعة الثانية ٥
- مقدمة الطبعة الأولى ١٥
- النقوش والآثار ١٥- ما ورد من كتابات المؤرخين من اليونان والرومان
١٦- ما ورد في الكتب الدينية المقدسة ١٧- ما ورد في كتب المؤرخين
والإخباريين المسلمين ١٧.
- موضوعات الكتاب ١٩
- الفصل الأول: اليمن: أين هي؟ وما حدودها؟ ولمحة عن تاريخها القديم ... ٢١
- تعريف اليمن في اللغة والأحاديث النبوية ٢٣- تهامة من اليمن ٢٦-
المدينة أيضاً من اليمن ٢٧- الهجرة اليمنية ٣٠- التبابعة ٣٥- هل عرف
اليمنيون القدامى اسم اليمن؟ ٣٨- حدود اليمن عند الهمداني ٤٢.
- شكل رقم (١) اليمن كما حددها الهمداني ٤٥
- شكل رقم (٢) خريطة الطرق ٤٦
- شكل رقم (٣) الخطوط التجارية البرية ٤٧
- شكل رقم (٤) خريطة حديثة لليمن بعد ترسيم الحدود
مع المملكة العربية السعودية ٤٨
- الفصل الثاني: القبائل اليمنية، نظرة سريعة ٤٩
- مخطط تفصيلي للقبائل اليمنية ٥٤- كهلان وفروعها ٥٥- عدنانيون في اليمن ٦١.
- الفصل الثالث: قوم عاد وهود (عليه السلام) ٦٣
- إرم ذات العماد ٦٦- زمن قوم عاد ٦٨- مساكن قوم عاد ٧٠- قصة قوم
عاد ٧٦- من هم قوم عاد؟ ومتى عاشوا؟ ٧٧- صفات قوم عاد ٧٨-
دعوة هود (عليه السلام) ٨١- هلاك قوم عاد ٨٥- الاكتشافات الحديثة
عن قوم عاد وإرم ذات العماد ٨٧.
- صورة نهر الحفيف في الأحقاف ٩٢

- ٩٣..... صورة شعب نبيّ الله هود عليه السلام
 ٩٤ صورة قبر نبيّ الله هود عليه السلام
 ٩٥..... خارطة توضّح قبر النبيّ هود عليه السلام
 ٩٦..... آثار اكتُشفت في ظفار

الفصل الرابع: مملكة سبأ الباذخة في القرآن الكريم وفي التاريخ ١٠١

من هم قوم سبأ؟ ومتى عاشوا؟ ١٠٣ - سبأ في العهد القديم ١٠٦ - سبأ في المؤلفات اليونانية والرومانية ١٠٧ - النقوش والآثار ١١٢ .

١١٥..... خارطة التجارة البرية

١١٦..... خارطة الطرق وتفرعاتها

مملكة سبأ ١١٧ - مكربي سبأ ١١٨ - الملك كرب إل وتر ونقش النصر في صرواح ١١٩ - قائمة ملوك سبأ ١٢٢ - سبأ في التراث الإسلامي ١٢٤ - ما ورد عن سبأ في القرآن الكريم ١٢٥ - قصة سليمان (عليه السلام) مع ملكة سبأ ١٢٩ - ملكة سبأ وسليمان (عليه السلام) ١٣١ - القصة في سفر الملوك ١٣١ - قصة سليمان وملكة سبأ في القرآن الكريم ١٣٢ - التفسير العلمي لقصة سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ ١٣٨ - أهم آثار مملكة سبأ ١٤٢ - مدينة مأرب وسد مأرب ١٤٣ - عرش بلقيس بمأرب ١٤٧ - عرش بلقيس بصرواح ١٥١ - قصر عُمدان ١٥٢ - بلقيس وكنوز اليمن في المتحف البريطاني ١٥٤ .

الفصل الخامس: مملكة سبأ وريدان (١١٥ ق.م. - ٢٧٥ بعد الميلاد) ١٥٩

حكم المكريين ١٦١ - مرحلة ملوك سبأ ١٦١ - تقسيم شرف الدين ١٦٤ - الشرح يحضب بن فرع ينهب ١٦٥ - أسرة يارم أيمن الهمدانية ١٦٧ - شاعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان ١٦٨ - الحرب ضد الأحباش ١٦٩ - الشرح يحضب بن فرع ينهب ١٧٠ - ظهور الأحباش ١٧١ - المدعو صحيم بن جيشم ١٧١ - نجران ١٧٢ - العودة إلى مأرب ١٧٢ - النقش جام (٥٧٤) ١٧٢ - نشأ كرب يها من يهرجب ١٧٤ - وهب إل يجز ١٧٥ -

أسرته ١٧٥.

الفصل السادس: التبابعة ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت

٢٧٥-٥٣٣ بعد الميلاد..... ١٨١

قائمة ملوك التبابعة ١٨٤- تُبَّع في القرآن الكريم والتفاسير والسيرة ١٨٧-
أبو كرب تبان أسعد في سيرة ابن هشام ١٩٣- الأبحاث والنقوش التاريخية
في عهد التبابعة ١٩٤- النقوش في عهد شمر يرعش ١٩٦.

الفصل السابع: الأحباش واليمن، وقصة ذي نواس،

وأصحاب الأخدود، وقصة أبرهة وأصحاب الفيل ٢٠٩

علاقة أكسوم (الحبشة) باليمن ٢١١- بداية النصرانية في اليمن ٢١٦-
الحرب بين النصارى واليهود في اليمن ٢١٧- زرعة ذو نواس ٢١٨-
المذابح التي وقعت للنصارى ٢١٩- أهل الأخدود في القرآن الكريم
والسنة المطهرة ٢٢١- دراسات تاريخية في النقوش اليمنية في فترة ذي
نواس وأبرهة ٢٢٦- تهدم سد مأرب ٢٣١- إعادة بناء السد ٢٣٢-
معركة يوم حلبان ٢٣٣- أبرهة وقصة أصحاب الفيل ٢٣٥- سيف بن ذي
يزن ٢٣٩.

الفصل الثامن: علاقات اليمن التجارية القديمة..... ٢٤٣

اليمن والفراعنة ٢٤٥- اليمن واليونان والرومان ٢٤٦- الإسكندر
المقدوني وسقطرى ٢٤٨- ديودوروس الصقلي وسقطرى ٢٥٠- كتاب
رحلة إلى البحر الأحمر لمؤلف يوناني مجهول ٢٥١- عدن (العربية السعيدة)
٢٥٣- عدن عند بطليموس ٢٥٧.

الفصل التاسع: ما ورد في فضل أهل اليمن في القرآن والسنة..... ٢٦١

قوم يحبهم الله ويحبونه ٢٦٣- دخول أهل اليمن الإسلام أفواجا ٢٦٤- بعض
ما ورد في أهل اليمن من أحاديث ٢٦٦- عدن في الأحاديث النبوية ٢٧٤.

الفصل العاشر: وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ..... ٢٨١

أبو موسى الأشعري والأشاعرة ٢٨٣- قدوم قيس بن نمط وإسلام همدان
٢٨٦- وفود اليمن: وفد همدان ٢٨٧- قيس بن نمط ٢٨٩- الكتب التي

كتبها رسول الله ﷺ وأعطاها لمالك بن نمط ٢٩١- العوام بن جهيل سادن بيت الصنم (يعوق) يفد على النبي ﷺ مؤمناً ٢٩٣- قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من زبيد ٢٩٤- قدوم الأشعث بن قيس في وفد كنده ٢٩٤- قدوم صُرد بن عبد الله الأزدي في وفد من قومه ٢٩٦- إسلام ملوك حِمير ٢٩٧- قدوم فروة بن مسيك المرادي ٢٩٩- قدوم وفد تجيب من كنده ٣٠٠- وفد بني سعد هزيم من قضاة ٣٠١- وفد بهراء من اليمن ٣٠٢- وفد بلي ٣٠٣- وفد خولان ٣٠٤- قدوم وفد صداء ٣٠٥- وفد الجعفيين من جردان بحضرموت ٣٠٦- وائل بن حجر الحضرمي ٣٠٧- حجر بن عدي الكندي ٣٠٩.

الفصل الحادي عشر: قصة وفود نجران من النصارى ومن آمن معهم ٣١٣

قصة وفد نجران ٣١٥- إسلام بني الحارث بن كعب من أهل نجران ٣٢٢.

الفصل الثاني عشر: ولاة الرسول ﷺ على اليمن،

ومن بعثهم إليها لتعليم أهلها الإسلام..... ٣٢٧

- (١) الإمام علي بن أبي طالب ٣٢٩- (٢) معاذ بن جبل ٣٣٢- (٣) أبو موسى الأشعري ٣٣٧- (٤) وائل بن حجر الحضرمي ٣٣٧- (٥) حجر بن عدي الكندي ٣٣٧- (٦) زياد بن لييد الأنصاري ٣٣٧- (٧) خالد بن الوليد ٣٣٨- (٨) مالك بن نمط من همدان ٣٣٩- (٩) صُرد ابن عبد الله الأزدي ٣٤٠- (١٠) إسلام ملوك حِمير وتولية رسول الله ﷺ على ما كانوا عليه ٣٤٠- (١١) فروة بن مسيك المرادي ٣٤٠- (١٢) فيروز الديلمي ٣٤٠- (١٣) جرير بن عبد الله البجلي ٣٤١- (١٤) خالد ابن سعيد بن العاص ٣٤٢- (١٥) المهاجر بن أمية المخزومي ٣٤٢- (١٦) البراء بن عازب ٣٤٣- (١٧) امرؤ القيس الكندي ٣٤٤- (١٨) قيس بن سلمة الجعفي ٣٤٥- (١٩) قيسبة بن كلثوم السكوني ٣٤٥- (٢٠) وير بن يحيى الأزدي ٣٤٦- (٢١) أبو سفيان بن الحارث وعمرو ابن حزم ٣٤٦- (٢٢) عامر بن شهر ٣٤٦- (٢٣) يعلى بن أمية ٣٤٦- (٢٤) الطاهر بن أبي هالة ٣٤٦- (٢٥) قيس بن المكشوح ٣٤٧.